مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد ٧٣
جمادى الآخرة — ذو الحجة ١٤٢٨ هـ

السنة الحادية والثلاثون
تموز — كانون الأول ٢٠٠٧

مجلة

مجمع اللغة العربية الأردني

(مجلة متخصصة محكمة)

تصدر مرتين في السنة

* البحوث التي ترسل إلى المجلة تكون خاصة بها، ولم يسبق أن نشرت في مكان آخر، وأن تتوافر فيها شروط البحث العلمي.
* يرسل كل بحث إلى ثلاثة محكمين مختصين، وفي ضوء تقاريرهم تقرر هيئة التحرير نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره.
* البحوث غير المجازة لا ترد إلى أصحابها.
* يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية.
* تقبل للنشر مراجعات الكتب إذا كانت قيمة.
* يجوز للباحث أن ينشر بحثه في مكان آخر، بعد نشره في مجلة المجمع، شريطة أن يشير إلى ذلك.

الاشتراكات:

في الأردن　　خمسة دنانير سنوياً

في البلاد العربية والأجنبية　　اثنا عشر دولاراً سنوياً أو ما يعادلها

تضاف أجرة البريد الجوي لمن يشاء ذلك من غير الأردنيين

المملكة الأردنية الهاشمية- عمان- ص.ب ١٣٢٦٨ هاتف ٥٣٤٣٥٠٠ - ناسوخ (فاكس) ٥٣٥٧٠٦٤ عمان

بسم الله الرحمن الرحیم

ISSN 0258 - 1094

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد ٧٣

جمادى الآخرة – ذو الحجة ١٤٢٨هـ

السنة الحادية والثلاثون

تموز – كانون الأول ٢٠٠٧م

الفهرس

أولاً: البحــوث

جماليات التصوير الفني عند الشعراء اللصوص في صدر الإسلام والعصر الأموي

د . سمر الديوب *

تعدُّ الصورة تشكيلاً نفسياً قبل أن تكون تشكيلاً فنياً جمالياً ، ترتبط بفكر الشاعر، وبالعوامل التي أسهمت في تكوين نتاجه الشعري.

ولعل البحث في الصورة لدى الشعراء اللصوص تحديداً عمل شائقٌ؛ لما يحتويه هذا الشعر من فلسفة، وفكر، وتأمل، وتحليل مشكلات الواقع على وَفْقِ رؤية خاصة، وطرافة في تقديم الفكرة.

ولا تقتصر الصورة على الأنواع البلاغية المعروفة من تشبيه واستعارة وكناية.

إنها تتعداها إلى عناصر الإيحاء المختلفة. وسيحاول هذا البحث أن يستقصي جوانب الصورة لدى هؤلاء الشعراء من خلال استقراء أشعارهم معتمداً على الربط بين الشعر والواقع الاجتماعي الذي أفرزه من جهة، والربط بين الشعر والمؤثرات النفسية التي شكلته من جهة أخرى. ولن يغفل النواحي الجمالية الناتجة من تشكيل الصورة، كما لن يغفل دور الإيقاع النغمي في إعطاء الصورة جرساً خاصاً لدى هؤلاء الشعراء.

---

* د.سمر الديوب : مدرسة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة البعث – حمص – سورية.

لـــيس الـــبحث في الصورة أمراً جديداً على النقد العربي. إن له أصولاً تراثية قديمة تعود إلى الجاحظ الذي عرّف الشعر بأنه " صناعة وضرب من النسج وجنس مــن التــصوير " (١) ففـــي هذا التعريف حكم على دور الصورة في عملية البناء الــشعري، وعلى أهمية أن يُصَبَّ المعنى ضمن نسيج شعريّ ما لكي يكتسب صفة الشعرية.

ولعلّ الناقد العربي الذي شكّل خرقاً في إنتاجه النقدي لمن سبقه، ومن أتى بعده عــبد القاهر الجرجاني. فقد تكلم على النظم والصياغة، وقصد الصورة. ورأى أن أجزاء الكلام يجب أن تتحد، ويشتد ارتباط الثاني منها بالأول قائلاً: " واعلم أن ليس الــنظم إلاّ أن تــضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهِجَتْ فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيءٍ منها ... " (٢) .

لقد غاص الجرجاني في أعماق الصورة وحلَّلها تحليلاً رائعاً حين وجد أن الصورة قادرة على تطويع أعناق المتنافرات، وجمع المتباعدات" فإنك تجد الصورة المعمولة فــيها كلما كانت أجزاؤها أشدّ اختلافاً في الشكل والهيئة، ثم كان التلاؤم بينها مع ذلك أتمّ، والائتلاف أبين، كان شأنها أعجب، والحذق لمصورها أوجب . " (٣)

- وربما كرّر نقادنا المحدثون ما سبق وأتى به الجرجاني بصياغات مختلفة.(٤)

لقــد اختلفت نظرة النقاد إلى الصورة. فمنهم من رآها متمثلة في التشبيه (٥) ، ومنهم من رآها متمثلة في الاستعارة (٦)، ومنهم من رآها تشبيهاً ومجازاً (٧)، ومن الــنقاد مــن طبّق عليها منهجاً معيناً كالمنهج الأسطوري، فلوى أعناق النصوص الأدبية حين حمّلها ما ليس فيها (٨). ومنهم من وجد الصورة في الرمز والأسطورة إضافة إلى الأنماط البلاغية المعروفة (٩) .

وفي الحقيقة : يجب ألا تنطلق دراسة الصورة من منظور واحد، وإنما يجب أن ينظر إليها على أنها كلٌ متكامل. فهي التشبيه والاستعارة، وهي التمثيل والإيحاء. لقد أتعب النقاد أنفسهم في التقسيم والتفريع في الصور والخيال، وكأنهما من عالمين مختلفين. والحقيقة أنهما من منجم واحد. فالخيال عملية ذهنية، والصورة ثمرة لتلك العملية .

علـى وَفْـقِ هذا الكلام تصلح الصورة لتكون مدخلاً لدراسة الشعر. فالصورة اندماج للذاتي بالموضوعي. فإذا ماأردنا دراسة الإيحاء مثلاً في الشعر فإننا ندرسه مـن خـلال تفاعلـه مـع السياق الشعري، ومن خلال ارتباطه بالنص الشعري بعناصـره كلها مع مراعاة أثر كلّ عنصر في الآخر. فالنص الشعري بناء لغوي متماسك لايمكن فصل عناصره، أو دراسة عنصر بمعزل عن الآخر .

وربَّ سائل يتساءل: لماذا دراسة الصورة في نتاج شعر اللصوص تحديداً ؟

إن تسمية اللصوص أتت من وجهة نظر إسلامية بحتة في هذا العصر .

قـال تعالـى: ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ... ﴾ (١٠) ولصوص الإسلام على علاقة وثيقة بصعاليك الجاهلية مع فارق أن الصعلوك كان يوزع مغانمه على الفقـراء. أمّـا اللص فقد احتفظ بما ملكت يداه. واللص كان يسرق بمفرده، وربما اتجه الصعلوك إلى مشاركة غيره في الإغارة والسلب والنهب .

وقـد اهـتم أدبنا العربي باللصوص اهتماماً كبيراً. ربما للطرافة الموجودة في أشعارهم، وربما لتلك التأملات الفلسفية العميقة في الحياة، والتي لايمكن أن تصدر إلا عـن إنـسان مجـرّب فهم الحياة فهماً عميقاً، وكشف كنهها، وربما لجرأتهم، وتمردهم على السلطة التي استأثرت بالأموال لنفسها، وأبقت الرعية جائعة، وربما؛ لأنهـم لـم يكونـوا لصوصاً عاديين فحسب إنما ظهرت فئة منهم انتهجت منهجاً سياسـياً معيـناً. فكان بعضهم ثائراً على الحكم. ويقال : إن أدبنا العربي قد تفرد بشعر اللصوص(١١). وليس هذا الأمر بالغريب على أدبنا العربي. فقد عُرِف الشعر بأنـه ديوان العرب، وسجل حياتهم. فكان الخليفة شاعراً، والأمير شاعراً، واللص

شـــاعراً فـــإذا سجل الشعر دقائق حياة العرب فكيف لا يصور حياة هذه الفئة التي حملـــت دمهـــا على كفها، واتجهت إلى اللصوصية لكسب لقمة العيش، أو لإعلان التمـــرد علـــى نظـــام ما. وربما مثّل شعر اللصوص حياة تلك الفئة المسحوقة من المجـــتمع العربـــي في تلك الفترة. ولولاه لقلنا: إن أدبنا العربي لم يهتم إلا بطبقة الحكـــام. ولعـــل أشدّ ما يسترعي الاهتمام في أشعارهم تلك الصفات النفسية التي اتـــصفوا بهـــا من عزّة نفس، وكرم، ورفض للضيم ... وروح المرح، والتأملات الفلسفية التي بدت واضحة في صورهم. وأهم من هذا وذاك التصوير الفني الرائع الذي اتسمت به أشعارهم. فأبرز ما يميز شعرهم بروز عنصر الإيحاء. ربما لأنهم عانوا القمع والاضطهاد، فاتجهوا إلى هذه الطريقة الفنية في التعبير .

الصورة البيانية في شعر اللصوص :

نقـــصد بالـــصورة البيانـــية التـــشبيه، والاستعارة، والكناية. وتقوم الصورة التشبيهية على ثنائية قوامها طرفان حسيان أو غير حسيين. والمهم في هذه الصورة إدراك العلاقة المعنوية التي تختفي وراء العلاقة التشبيهية الظاهرة. فالصورة تحمل مضموناً فكرياً، وإن قدمت بطريقة حسية .

يرى الشاعر اللص جحدر المُحرزي العُكْلي أن الخارج من السجن – والسجن أشد ما يرعب اللص – كمن يخرج من النار . (١٢)

كأنَّ ساكنَها من قعرِها أبداً　　　لدى الخروجِ كمُنْتَاشٍ من النَّارِ

لقد حُبس هذا الشاعر ببيضاء البصرة، ودُسَّ إلى جانب السجناء الآخرين الذين يـــرى أن وجوده معهم كوجود الكريم مع الذليل. وإذا نظرنا إلى هذه الصورة على أن الـــشاعر يـــشبه السجن بالنار مع وجود قاسم مشترك، أو وجه شبه هو العذاب الـــذي يلاقيه السجين في السجن لما توصلنا إلى الخصيصة الجمالية في الصورة. فأقسى تجربة عاناها اللص هي تجربة السجن؛ لأنه وسيلة لمعاقبة اللص. ولا يرى اللـــص – حـــسب فلسفته الخاصة – مسوّغاً لسجنه ؛ لأن له موقفاً خاصاً، وسلوكاً

خاصاً في الحياة. والسجن الذي حبس فيه هذا اللص حافل بأنواع التعذيب. فإذا باللص يعاني عذابين: عذاباً ناتجاً من الحرية، وعذاباً ناجماً عن الظلم الذي يظن أنه لحق به، وهو عذاب نفسي عظيم لشخص عاش الحرية بأبعادها. من هنا ندرك معنى المقابلة بين السجن والنار. ولنا أن نتخيل ما تفعله النار فيمن يتلظى بها، وكيف يكون شعوره وقد خرج منها، وابتعد عن لهبها. فهل هناك أشد إيلاماً من الدخول في لهيب النار؟ وما مصير من يدخل فيها ؟ ولعلّ الجمالية الأخرى لهذه الصورة استخدام جحدر أداة التشبيه كأنَّ بما تحمله من معاني الظن. فكأنه هيأ المتلقي للدخول في عالم من التخيلات. إن العذاب الذي لاقاه في السجن، وشعوره بالظلم دمج الأمور في ذهنه، فلم يعد قادراً على الحكم اليقيني على الأشياء .

ويعبّر عُطارد بن قُرّان عن شعوره في السجن قائلاً : (١٣)

كأني جوادٌ ضمَّه القيدُ بعدما جرى سابقاً في حلبةٍ ورهان

إن للصّ موقفاً مختلفاً عن الناس العاديين. فهو – حسب قناعاته – لم يفعل ما يستوجب عليه الحبس. فالمال لله، ولاعيب إن أخذه، ولتكن الطريق السرقة.

وقديماً قالوا: " اللصّ أحسن حالاً من الحاكم المرتشي، أو القاضي الذي يأكل أموال اليتامى . " (١٤)

ويعبر عُبَيْد بن أيوب العنبريّ عن الخوف الذي ينتاب الشاعر اللص قائلاً (١٥) :

كأنَّ بلادَ الله وهي عريضةٌ على الخائف المطرود كِفَّةُ حابلِ

يُؤَدّى إليه أن كلَّ ثنيَّةٍ تَيمَّمها ترمي إليه بقاتلِ

لقد حمل روحه على كفه، وتشرّد في الفيافي، وعاشر حيوان الصحراء. فكانت حياته حافلة بأنواع العذاب، وقد تعايش مع هذا الخوف لكنه لم يستطع السيطرة عليه. فإذا ببلاد الله الواسعة تبدو للخائف كفة حابل. ولعل هذه الصورة قادرة على التعبير عن تأمل نفسي عميق، صالح لكل زمان ومكان .

وتبـــرز جمالية هذا التشبيه في التفصيل في صورة المشبه به. فإذا به يستشعر الموت في كل ثنية تواجهه. فلا أقسى من الحياة مع الخوف. إنه ينشد الأمان فيجده بعـــيداً. إن الاشتراك في الصفة بين اتساع البلاد على الخائف وكفة الحابل وقع في حكـــم لها ومقتضىً – كما يقرر الجرجاني [١٦] – فبلاد الله على اتساعها ضيقة في عين الخائف. والعلاقة المعنوية بين الطرفين هو الأثر الذي يتركه الخوف في نفس الشاعر اللص .

ولنتأمل هذه الصورة التشبيهية في قول الشاعر السَّمهري بن بِشْر العُكْليّ : [١٧]

وبيضاءَ ، مِكْسالٍ ، لعوبٍ ، خريدةٍ   لذيـــذٍ ، لـــدى ليلِ التَّمَامِ ، شِمامُها

كـــأنَّ ومـــيضَ البرق ، بيني وبينها   إذا حانَ،من خلفِ الحجابِ، ابتسامها

إن بـــسمة حبيبـــته مـــن خلف الحجاب وميض برقٍ. يبدو وجه الشبه في هذه الـــصورة خفياً. فما العلاقة بين الابتسامة ووميض البرق؟ لقد جمع الشاعر طرفين بعيدين، والتشبيهات – كما يقرر الجرجاني [١٨] – بقدر ما تتباعد بين الشيئين تكون إلى النفوس أعجب، والنفوس لها أطرب. لقد استحالت ابتسامة الحبيبة ومضة برقٍ، والبرق في فكر الشاعر البدوي متعلق بالخصوبة والخير والعطاء .

ويـــرتبط التـــشبيه فـــي هذه الصورة بالمطر الذي يحتل مكانة كبيرة في حياة الإنسان البدوي؛ لحاجته الماسة إليه. فإذا كانت ابتسامة الحبيبة كومضة برقٍ فلهذه الابتسامة قيمة كبيرة في نفسه تعادل قيمة الماء في حياته. إن لهذه المحبوبة مكانة كبيرة في نفس الشاعر، لذلك ساوى بين ابتسامتها وومضة البرق الذي يجلب الخير والعطاء. وفي النهاية لا فرق لدى شاعرنا الولهان بين المرأة والبرق فكلاهما وجه لعملـــة واحدة. إنه في أمسّ الحاجة إلى وجود المرأة في حياته؛ لأنه لص متشرد، بعيد عن حياة البشر العاديين .

والعلاقـــة بـــين الابتسامة وومضة البرق ربما كانت دليلاً على أن المرأة هي المعادل الموضوعي لحياة السمهريّ بما فيها. إنها روحه. وكيف يحيا بلا روح ؟!

يقــول عبــيد الله بن الحرّ الجَعْفي الثائر السياسي الذي ألحق بالصعاليك؛ لأنه رغب في أن ينشئ دولة الصعاليك [١٩] :

ألــم تعلمــي يــاأمَّ تــوبةَ أنَنــي	أنــا الفــارسُ الحامي حقائقَ مَذْحج
وأنــي صــبحتُ الــسجنَ في رونقٍ	بكــل فتــىً حامــي الذِّمارِ مُدَجَّج
فمــا إن بَــرَحْنا السجنَ حتى بدا لنا	جبــينٌ كقــرنِ الشَّمسِ غيرُ مُشَنَّج

ليست العلاقة الوحيدة المقصودة في هذا التشبيه هي الربط بين سطوع الجبين، وإشــراق الــشمس. إن بين المرأة والشمس علاقة أسطورية موغلة في القدم. وإذا استقرينا الصور الجاهلية نجد أن المرأة قد ربطت بالشمس، والرجل بالقمر، وربما كــان النابغة هو الاستثناء الوحيد حين شبه النعمان بالشمس. فالشمس من مقدسات الأقدمين، وهي مؤنثة. وربط المرأة بها إعلاء كبير لشأنها لدى الشاعر العاشق.

ولعل أجمل ما في التشبيه أنه يفيد الغيرية، فينصرف الذهن إلى المشبه به، لأن فيه ما يثير الاهتمام .

لقــد عرّفتنا الصورة التشبيهية بفكر الشاعر اللص، وسلوكه في الحياة، وموقفه من السلطة. فعبيد الله بن الحرّ الجعفي حين خرج من الكوفة، ولحق به الناس عقد العزم على الغارة، وكتب إلى مصعب بن الزبير هذه الأبيات : [٢٠]

فــلا كــوفةٌ أمــي ولابــصرةٌ أبي	ولا أنــا يثنينــي عن الرحلةِ الكسلْ
فــلا تحــسبَنِّي ابن الزبير كناعسٍ	إذا حَــلَّ أغفــى أو يُقال له ارتحل
فــإن لم أزرْكَ الخيلَ تردي عوابساً	بفرســانها حولــي فمــا أنا بالبطلْ

أراد الجعفـــي أن يـــرهب خصمه السياسي، فأتى بصورة تشبيهية تركت أثراً خلّفته العلاقة المعنوية بين طرفي التشبيه. ففي هذا التشبيه إرهاب للخصم، وإيحاء بمعانٍ مختلفة. فقد تحول هذان الطرفان إلى ندّين متكافئين .

وبما أن التشبيه يفيد الغيرية، ويوهمنا أن المختلفات متآلفة انصرف الذهن إلى المشبه به. فإذا بالجعفي إنسان متيقظ، متأهب للقتال .

ولعـــل الصورة التشبيهية قادرة على الاختصار. فقد اختصرت معاناة الشاعر اللـــص. إن الصورة لديه طريقة تفكير، وليست حلية لفظية. فقد تكرر على ألسنة الـــشعراء اللصوص وصف معاناتهم في الصحراء. وهاهو عبيد بن أيوب العنبريّ يرى يومه في الصحراء كتنور الإماء : (٢١)

ويـــومٍ كَتَـــنّور الإمـــاءِ سَـــجَرْنَهُ وألقـــينَ فـــيه الجَزْلَ حتى تضرَّما

رمـــيتُ بنفـــسي فـــي أجيج سَمومه وبالعَـــنْس حتـــى صَبَّ منسِمُها دما

تختـــصر هذه الصورة ما يلاقي الشاعر من أهوال الحرب، وندرة الماء. ومع ذلـــك يلقـــي بنفسه في هذه الصحراء. إنها ثنائية الحياة / الموت التي حكمت شعر اللـــصوص ، وتحكم حياة البشر جميعاً. فهو يرى الحياة في الموت، ويستشعر في الحياة الموت. ولكي يحافظ على حياته لايجد سبيلاً إلا أن يزج بنفسه في الصحراء الخالية من موارد الخير (الموت) .

وربمـــا كانـــت هذه المبالغة مقبولة؛ لأن حياة اللصوص حافلة بأنواع شتى من المغامـــرة. فثمة أهوال الصحراء، والوحوش، والجوع، والعطش، وافتقاد الشعور بالأمان. إنها حياة تذكرنا بالحياة التي وصفها الشنفرى في لاميته حيث اضطر إلى محالفة الوحش، ومصاحبة السيف والرمح.

ولعل في لجوء الشاعر اللص إلى التشبيه الضمني ربطاً بين المعنوي والحسي في إطار العلاقة التشبيهية ملتقطين ظاهرتين متباعدتين شكلاً، متفقتين أثراً.

دفــع أحد اللصوص، وكان قفافاً، دراهم إلى بعض الصيارف، فقفّ منه الصيرفي شيئاً، فقال : (٢٢)

عجــبتُ عجيــبةً مــن ذئــبِ سُوءٍ أصـــابَ فريــسةً مــن لــيثِ غابِ

وإن أُخْــدَع فقــد يُخــدعُ ويُــؤخذْ عــتاقُ الطيــر مــن جــوٍّ السحابِ

فَقَـــفَّ بكفِّـــه ســـبعين مـــنها مــن البــيضِ المنقَّــشةِ الــصِّلابِ

يــرى الشاعر أن سارقاً صغيراً يسرق سارقاً كبيراً، كالذئب يصيب فريسة من فــرائس الأسد. لقد خدع هذا الصيرفي السارق، ولاعجب فقد تصطاد الطيور في الــسماء. إن في هذا التشبيه الضمني ما فيه من تحفيز لفكر المتلقي، وتأكيد للفكرة بدليل حسي. فقد أتــى بصورتين متقابلتين بين السارق والمسروق، والذئب والأسد فجمع بين طرفين متباعدين معتمداً على الربط المنطقي بين صورة خداع الصيرفي للسارق، وصورة اصطياد الطيور في السماء.

وقد يلجأ الشاعر اللص إلى الاستدارة التشبيهية منوّعاً في صوره. يقول القتال الكلابي : (٢٣)

ومــا روضــةٌ بالحَزْنِ قَفَرٌ مجودةٌ يمــجُ الندى ريحانُها وصبيبُها (٢٤)

بأطــيبَ بعــدَ الــنوم من أمّ طارقٍ ولاطعــمُ عُــنقودٍ عقــارٍ زبيــبُها

لقد أجبرنا الشاعر على أن نتخيل لريق الحبيبة طعماً يشبه طعم عنقود العنب. فتــتداخل الــصورة الذوقية مع البصرية. فإذا بالحبيبة قد أصبحت معادلاً لروضة خــصبة. تهــدف هــذه الاستدارة التشبيهية إلى إجراء مقارنة بين أمرين مع عدم تفــضيل أحــدهما علــى الآخر. فالروضة، وريق الحبيبة متساويا القيمة في نظر الشاعر.

والروضـــة التي يصفها الشاعر خصبة ما يشير إلى معنى الخصوبة الموجود لدى المرأة. وهذه الروضة، على مغرياتها كلها، ليست بأطيب مذاقاً من ريق الحبيبة بعد النوم. وقد خصّ هذه الفترة الزمنية؛ لأن الريق يكون في أسوأ حالاته. لقد أراد أن يقـول: إنه طيب حتى في هذا الوقت. وبهذا يكون الطرفان متباعدين شكلاً متفقين أثـراً. فلـمَ لا تـستحيل الحبيبة روضة غنّاء؟ ولم لا يبادل بين الحواس طالما أن الحبيبة متماهية مع الطبيعة؟

وربما يحذف الشاعر اللص أداة التشبيه؛ رغبة منه في الوصول إلى المشبه به بسرعة، فيحقق سرعة فنية في الجمع بين طرفي التشبيه.

يقول القتال الكلابي يهجو قومه لما تخلوا عنه في حادثة رداد : (٢٥)

ولكنما قومي قماشةُ حاطبٍ   يُجمّعها بالكفِّ ، والليلُ مظلمُ (٢٦)

إن قومه من أرذال الناس مثل فتات الأشياء. سرع الشاعر الوصول إلى المشبه بـــه بحـــذف أداة التـــشبيه ليصل بسرعة إلى المشبه به، وليوصل فكرة نقمته على قومه.

لقـــد حملت الصورة التشبيهية فكر الشاعر اللص وفلسفته. فكيف تجلى المجاز في شعره؟

- الصورة المجازية :

لقد برع الشاعر اللص في اللجوء إلى العلاقات المجازية، وأبدع صوراً حافلة بالإبداع والخيال الخصب؛ لارتباطها الشديد بالتجربة الشعورية لديه.

وقـــد تلتقـــي الاستعارة المجاز، لكنها فرع منه. فكل صورة استعارية مجاز، ولـــيس العكس صحيحاً. يقول عبيد الله بن الحرّ الجعفي – وهو من الشعراء الذين كان لمذهبهم السياسي صلة بكونهم لصوصاً – : (٢٧)

فأقـسمتُ لا تـنفكُّ عينـي حزينةً   وعينـي تبكـي لايجـفُّ سجومُها

يبـيتُ النَّـشاوى مـن أمـيَّةَ نُوَّماً   وبالطـفِّ قتلـى لايـنامُ حمـيمُها

لقـد تغلغل الحزن في أعماق هذا الشاعر حين قارن بين حال الأمويين، وحال قتلـى الطـفّ، فاعتـصر الألم قلبه. فإذا بعينه حزينة. لقد أسند الحزن إلى العين، والحـزن في القلب. ولو فسرنا هذه الصورة على سبيل الاستعارة، وقلنا: إنه يشبه العـين بإنسان حزين لما وصلنا إلى الخصيصة الجمالية في الصورة. فقد أعطاها المجـاز بعـداً عمـيقاً، فإذا بالعين تقطر حزناً، لا دمعاً فقط. وفي هذا اتساع في المعنى.

لقـد بـدت العين ذات مشاعر إنسانية. فلا يستهدف الحزن مشاعره فقط. إنما يـستهدف كلّ جزء فيه حتى عينه. ومن أين لهذه الصورة هذا التأثير لولا المجاز الذي هدف إلى الاتساع في المعنى – كما يرى ابن جنّي– (٢٨)

يقول عبيد الله في موقع آخر : (٢٩)

ألـم ترنـي حالفـتُ صفراء نبعةً لهـا رَبـذِيٌّ لـم تُـثَلَّمْ معابِلُهْ (٣٠)

أخـو فلـواتٍ حالـفَ الجنَّ وانتفى مـن الإنسِ حتى قد تَقَضَّت وسائِلُهْ

إن فكـرة الحلف مهمة جداً في فكر الشاعر اللص. فقد عاش في صحراء قاحلة موحشة، فاضطر إلى محالفة القوس. وقد أجبرنا أن نتخيل فكرة الحلف بـين القبائل حفاظاً على الأمن والاستقرار من خلال محالفته القوس. أما هو فحلفه من نوع آخر، ومن حالفهم ليسوا من بني جنسه. وفي هذا التصوير ما فـيه مـن عمق الدلالة على القمع والاضطهاد اللذين عاناهما. ولا يخفى ما للمجاز هنا من قيمة فنية عالية في مخالفة المألوف وتحريك مشاعر المتلقي. ولـولا إسـناد الحلف إلى القوس والجن لما شعرنا بتلك المعاناة العميقة التي عاناهـا الشاعر اللص. وهاهو جحدر يعبر عن جزء من معاناته في السجن قائلاً : (٣١)

إذا تحرك بابُ السجنِ قامَ له قومٌ يمدون أعناقاً وأبصارا

أســند الشاعر الفعل إلى غير الفاعل الحقيقي من خلال مجاز الإسناد. فمدّ الأعناق أمر طبيعي، أمّا مدّ الأبصار فله أثر إيحائي وجمالي، فأبصار السجناء تستطيل كلما تحرك باب السجن توقاً إلى الحرية.

وفــي مجال **الاستعارة** أبدع الشعراء اللصوص صوراً خالدة. فقد رأى أرسطو قديماً أن الاستعارة أعظم الأساليب (٣٢). ففي الصورة الاستعارية ينتفي التمايز بين طرفي التشبيه، فيصبحان كلاً واحداً.

وهــذا حُــرَيْث بن عنّاب الطائي يحرك التراب النائم واليقظان خلال سيره في طريق اللصوصية قائلاً : (٣٣)

إذا نحن سِرنا بين شرقٍ ومغربٍ   تحرّك يقظانُ الترابِ ونائمُه

يعبر حريث عن شدة اعتداده بنفسه ورفاقه فإذا به يثير التراب حين يسير عليه، فيحرك يقظانه ونائمه. لقد شخص التراب، وأعطاه خصيصة حية. والتشخيص أفق إبداعــي متميز يحطم العلاقات العادية بين الأشياء، ويبعث الحياة في الجوامد. فإذا بالــشاعر يخــرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، ويجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر .(٣٤)

وللتــشخيص فائدة معنوية فأي بأس يتمتع به ذلك الشاعر اللص لكي يستطيع تحريك التراب اليقظان والنائم. فليس التراب اليقظان والنائم هو المؤثر. إن المؤثر حركة الشاعر فوق التراب، تلك الحركة التي توقظ الغافي في الأرض لشدتها.
وعلى هذا يكون التراب اليقظان والنائم رسولاً يوصل رسالة من الشاعر، تعبر عن صلابته، وقوته، وتمسكه بمبدئه.

ويرى مالك بن الريب في الموت منهلاً يشرب منه ويعلّ، يقول: (٣٥)

ألا أيُّهــا الباغــي البــرازَ تقــرَّبَنْ   أســاقيكَ بالطعنِ الغذافَ المقَشَّبا(٣٦)

فــأيُّ فتىً في الحرب،والموتُ سيبه   علــى شاربيه، فاسقني منه واشربا

ودونكَهـا نجـلاءَ ينـضحُ فرعُها نجيعاً دماً من داخل الجوفِ مثعَبا[٣٧]

حـباكَ بهـا مـن لايُـصَرِّدُ كأسُه إذا ماسـقاها مَـنْ إلى الموتِ ثوَّبا

أخـو غمـراتٍ لا يُـروِّعُ جأشُـه إذا المـوت بالموتِ ارتدى وتعصبا

يدعو الشاعر خصمه إلى البراز بنبرة تحدّ لكي يسقيه الموت الأسود. لقد جعل الموت شراباً يُسقى، واللافت استعماله الفعل أساقيك الذي يحمل معنى المشاركة في الحـدث بدلاً من الفعل أسقيك. فالسقيا ستكون من الجانبين. وفي هذا الأمر إظهار لقوة الخصم، وبهذا يكون لتفوق الشاعر على خصمه لذة أكبر. وهذا الدم المتساقى ليس دماً عادياً. إنه دم مسموم، وهذا كله في مجال التخيل، دم يحمل الحقد والعداء والغضب الذي شكل الدافع لتساقي الدماء.

جعـل الـشاعر المتلقي يشاركه في استمتاعه بشرب دماء عدوه كالساقي الذي يتـرع الكؤوس خمراً، ويديرها على الشاربين مع أنه لم يصرّح بذلك تماماً. لكن الأثر الذي تتركه هذه الكأس في شاربيها يشبه الأثر الذي يتركه سقيا دم الأعداء في نفس الشاعر. وهيهات أن يرتوي من تساقي هذا الشراب!

وربمـا عبـر هؤلاء الشعراء عن لمحاتهم التأملية في الحياة من خلال صور استعارية جميلة. يقول يزيد بن الصّقيل العُقَيلي : [٣٨]

إذا ما المنايا أخطأتكَ وصادفتْ حَمِيْمَك فاعلَمْ أنّها ستعودُ

يرى الشاعر أنه إذا نجا من الموت، وأصاب مقتلاً من صاحبه فإن الموت عائد إليه لامحالة. إن هذه التأملات الفلسفية – على نزعة التقليد الواضحة فيها – وليدة تجربة في الحياة، وعمق فهم لها. فقد رأى الشاعر أن الموت هو نهاية الحياة وإن طالت. فكان شعره أقرب إلى القلق الوجودي؛ لذلك نراه في حال حرب مع المنايا.

فقد تصيبه، وقد تصيب غيره. ولعل الشاعر قد استوحى الآية القرآنية ﴿ ولكل أمة أجــلٌ فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة، ولايستقدمون ﴾ (٣٩) فلن يستطيع تحدي المنية؛ لأنها مقدرة عليه.

ولعــل أروع الصور التشخيصية تلك التي برزت في مجال الحنين إلى الوطن الذي أصبح بعيداً عن الشاعر. يقول الأحيمر السّعدي : (٤٠)

أيا نخلاتِ الكَرْمِ لازالَ رائحاً	عليكنَّ منهلُ الغَمامِ مَطِيْرُ

إنــــه يدعو بالسقيا لوطنه، فأنزل نخلات الكرم منزلة الإنسان، مشخصاً إياها، ومجبراً المتلقي على أن يتخيل أن لها عقلاً يعي طلبه، وأذناً تسمع سؤاله. ومن أين للصورة هذا التأثير في الوجدان لولا تلك المخاطبة الرقيقة الحزينة لنخلات الكرم.

تمثل هذه الاستعارة رغبة من الشاعر في عودة أيام الهناء في وطنه ومع أهله. ولعل **الكــناية** تعبر عن موقف الشاعر اللصّ تعبيراً جميلاً؛ لأن فيها معنيين: قريباً وبعــيداً. ومما لا شك فيه أن الشاعر يريد المعنى البعيد. وها هو الأحيمر السعدي يعلــن تمرده على واقع الفقر، ففي إعلانه لصوصيته تمرد على السلطة وقوانينها. يقول :(٤١)

وإنـــي لأســتحيي مــن الله أن أُرَى	أجــررُ حــبلاً لــيس فــيه بعيــرُ
وأن أســألَ المــرءَ اللئــيمَ بعيــرَه	وبعــرانُ ربــي فــي الــبلادِ كثيرُ

إنـــه يـــستحي مـــن الفقر لا من السرقة. ويعود هذا الأمر إلى أن للص موقفاً وســـلوكاً مختلفـــين عـــن الإنـــسان العادي. كما أن له فهماً خاصاً لمسألتي الحق والصواب.

فالبعـــران كثيرة، وهو يبيح لنفسه أن يأخذ منها ما يشاء، وفي هذا الكلام إيحاء بحالة البؤس الاقتصادي الموجودة، ووضع حلّ لها هو اللصوصية.

وقد جمع أحد الشعراء اللصوص الاستعارة مع الكناية في صورة رائعة تصور إقدام اللص وإحجامه قائلاً: (٤٢)

تحجّى مكانَ الخوفِ والأمنِ خاطرٌ   يشيرُ إلى الإحجامِ والموتُ فاغرُ

لم يشر الشاعر إلى القلب صراحة إنما كنّى عنه مشيراً إلى أن خاطراً قد قام في نفسه. فقد تردد كثيراً بين أن يقدم، أو يحجم. والموت فاتح فاه .

وليس أروع من هذا الدمج بين الاستعارة والكناية لإيصال هذه الحالة الشعورية التي انتابته.

أما القتال الكلابي فيعلن أنه لن يصالح عدوه حتى يصالح راعي الغنم الذئب. وفي هذه الكناية اختصار لمعان كثيرة في جملة مكثفة. والتكثيف سمة شعرية. يقول(٤٣):

وإني لعمرُ أبيهمْ لاأصالِحُهم   حتى يصالحَ راعي الثَّلّة الذيبُ

فالصفة " إذا لم تأتك مصرّحاً بذكرها، مكشوفاً عن وجهها، ولكن مدلولاً عليها بغيرها، كان ذلك أفخم لشأنها، وألطف لمكانها، كذلك إثباتك الصفة للشيء، وتثبيتها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحاً، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية، والرمز والإشارة، كان له من الفضل والمزية، ومن الحسن والرونق، مالا يقلّ قليله، ولايجهل موضع الفضيلة فيه." (٤٤)

لقد كنى الشاعر عن طول مدة عدائه لأعدائه. فلن يصالح حتى يصالح الراعي الذئب. وهذه معجزة. ومعنى هذه الكناية أن على أعدائه أن ينتظروا منه ألوناً شتى من الانتقام .

- الصورة السردية :

لقد عبر الشاعر اللص من خلال صورة يغلب عليها السرد عن فلسفته الخاصة في الحياة. ظهرت فيها ثنائية الجد/الهزل فأتت في كثير من الأحيان صوراً مضحكة، لكنه الضحك الذي ينبعث من الألم.

قال أعرابي وكان لصاً: (٤٥)

ثـــلاثُ خـــلالٍ لـــستُ عـــنهنَّ تائباً | وإن لامنـــي فـــيهنَّ كُـــلُّ خلـــيلِ
فمـــــنهنَّ أنــــــي لاأزالُ معانقــــاً | حمائــلَ ماضــي الــشَّفرتين صَقيلِ
ومـــنهنَّ سوقُ النَّهْبِ في ليلة الدُّجى | يحارُبهـــا فـــي اللـــيلِ كـــلُّ دلـــيلِ
ومـــنهن تجـــريدُ الكعـــابِ ثـــيابَها | وقـــد مـــالَ جـــنحُ اللـــيل كلَّ مَميلِ

لا تعتمد هذه الصورة على استقلالية البيت الشعري. فلا يكتمل المعنى من دون ذكـــر أركان الصورة كاملة. إنه لن يتوب عن ثلاث صفات، وإن وقع في الملامة، إنه سيعانق سيفه، وسيسوق ما نهبه من الإبل في الليل المظلم، وسيغامر مع النسوة. ولعل هذه الفلسفة قريبة – في بعض جوانبها – من فلسفة طرفة بن العبد في الحياة.

قـــدم الشاعر هذه الصورة من خلال السرد، والاستعارة. وكان صوته الصوت الوحيد الذي ظهر في النص. وقد برز تحديد للزمان، وهو الليل حالك الظلمة. ففي الليل ستار يحمي اللص. ولعل حركة الشخصية ضمن هذه الصورة تقتضي تكثيفاً لغـــوياً كبيراً. فقد أوجز ما أراد من خلال أبيات شعرية ثلاثة، أكد في البيت الثاني استمراره في استعمال سيفه في مجال الدفاع عن نفسه، وتحصيل رزقه عن طريق اللـــصوصية. وأكـــد في البيت الثالث استمراره في طريق اللصوصية، وفي البيت الرابع تكلم على المرأة، فهي تشكل عالم اللذة بالنسبة إليه. لقد تكلم الشاعر على ما يمتعه في الحياة، لكنها المتعة الظاهرة التي تخفي وراءها الألم.

لقد حُبس الشاعر أبو الطيلسان، وحبس معه حماره، فقال : (٤٦)

أيـــا أهـــلَ المديـــنةِ خبّرونـــي | بـــأيٍّ جريـــرةٍ حُـــبسَ الحمـــارُ
فمـــا بالعَيْـــر مـــن ظلـــمٍ إلـــيكم | ومـــا بالعيـــر إن ظُلِـــمَ انتـــصارُ

تـؤدي هذه الصورة الساخرة مهمتين: مهمة إمتاعية مضحكة، ومهمة انتقادية لأصـحاب السلطة الذين يفرحون بظلم الحمار. وهذا الحوار من جانب واحد يعبر عـن شخـصية المـبدع التي تميل إلى التهكم والسخرية. وكانت هذه حال أغلب الـشعراء اللصوص. فقد مالوا إلى الظرف والإضحاك. فإن حبس الشاعر لجريرة ارتكبها فما ذنب الحمار؟!

وقد ترد في أشعارهم قصة متكاملة الأركان كتلك التي أوردها مالك بن الريب فـي قصة قتله العبد أفلح، وكان قد دهمه في الليل فانتفض مدافعاً عن نفسه فأرداه قتيلاً بسيفه. يقول : (٤٧)

أدلجـتُ في مَهْمَهٍ ما إنْ أرى أحداً حتـى إذا حـانَ تعريسٌ لمن نزلا

وضـعتُ جنبيْ وقلتُ : الله يكلؤني مهمـا تـنمْ عنك من عينٍ فما غفلا

مانمـتُ إلا قلـيلاً نمـتُهُ شَـنِزاً حتـى وجـدتُ على جثماني الثقلا

لمـا ثنـى الله عـن شـر عدوته وأنمرت لامُسئياً ذعراً ولابعلا (٤٨)

أدفعـتُ ثـاري ومـا أدري إذا لبد يغشي المهجهج عض السيف أورجلا

من يشهد الحرب يصلاها ويسعرها تـراه ممـا كـسته شـاحباً وجلا

خـذها فـإن لـضراب إذا اختلفت أيدي الرجال بضرب يختلي البصَلا

يتصاعد الحدث في هذه القصة شيئاً فشيئاً معتمداً على عنصر التشويق إلى أن يصل إلى الانفراج بخلاص الشاعر من العبد أفلح.

وفي هذه القصة شخصيتان. فثمة شخصية الشاعر، وشخصية العبد أفلح ويظهر فـيها صوت الشاعر الذي أسهم في تصعيد الحدث، ورسم الشخصية. وفيها تحديد

للـــزمان والمكـــان. إن أسلوب القص هذا يبتعد بالقصة عن الخطابية إلى السردية التقريرية. وتنتهي القصة بانتصار الشاعر، وحصوله على ما أراد.

- **الصورة الإيحائية :**

يعـــدّ الإيحـــاء ســـمة شعرية مهمة يتجلى في الشعر في أشكال عدة. ولايظهر الإيحاء في المفردة الشعرية إلا من خلال ارتباطها بما سبقها، وما تلاها. ويذكرنا هذا الكلام بنظرية النظم لدى الجرجاني. (٤٩)

قـــال مسعود بن خَرَشَة المازني التميميّ، وكان قد طلبه والي اليمامة، فلجأ إلى موضع فيه ماء وقصب. (٥٠)

ألا لـــيتَ شـــعري هـــل أبيتَنَّ ليلةً	بوعـــثاءَ فـــيها للظـــباءِ مكـــانس
وهـــل أنجُوَنْ من ذي لبيد بن جابر	كـــأن جـــناتِ المـــاءِ فيه المُجالِسُ
وهل أسمَعَنْ صوتَ القطا تندبُ القطا	إلـــى المـــاءِ مـــنه رابعٌ وخوامس

يـــسأل الـــشاعر نفسه هل يعود إلى دياره في أرض وعرة تأوي إليها الظباء؟ وهـــل يـــنجو من هذه البلاد ذات المستنقعات التي لايجد فيها أنيساً، ولاجليساً غير الضفادع والأسماك؟ وهل يسمع أصوات القطا تندب القطا؛ لكي ترد إلى الماء بعد أربع أو خمس ليال؟

إن ورود القطـــا إلـــى الماء يحمل دلالة إيحائية مرتبطة بسياق النص، وبهدف الشاعر. فعطش القطا إلى الماء هو عطش الشاعر إلى أهله؛ لذلك تمتلئ نفسه حزناً لبعده عنهم. ونلاحظ استخدام الشاعر لفظ تندب بدلاً من تنادي مع ملاحظة الحزن الذي يرتبط بالفعل ندب. فالندب صورة مرتبطة بالفقد. من هنا غدت القطا معادلاً موضوعياً للشاعر. فقد أثقلته هموم الدنيا ، وتمنى العودة إلى بلاده.

ونلاحظ أن للظباء دلالة سلمية . ربما كان السلام الذي يفقده الشاعر في حياته. وعلى هذا توحي الظباء بالسلام الذي يتمناه، وتوحي القطا وهي تندب بالحزن الذي يملأ نفسه.

وللألوان دلالات إيحائية متعددة. وقد يكتسب اللون الواحد عدة دلالات تختلف حسب السياق الشعري. فها هو جحدر المحرزي يرى أن سجن البيضاء قد جعل نهاره أسود.(٥١)

أقولُ للصَّحْب في البيضاء دونَكم　　　محلةً سوَّدَتْ بيضاءَ أقطاري

مأوى الفتوةِ للأنذالِ مُذ خُلقتْ　　　عندَ الكرامِ محلُّ الذلِّ والعارِ

تضاد الألوان هذا يعطي قيمة إيحائية للصورة الشعرية. وقد استغل اسم السجن فنياً، فسجن البيضاء جعل يومه أسود. وتتداخل هنا دلالات الألوان. فسجن البيضاء لايحمل من معاني البياض إلا اسمه، وما يحتويه مناقض لمعنى اللون الأبيض؛ لذلك جعل نهاره أسود. والسواد هنا يعطي دلالات إيحائية متعددة. ففيه العذاب، وفيه الحزن، وفيه الألم النفسي والجسدي. وفي هذا الطباق عن طريق اللون محاكمة عقلية، واستنتاج للمعنى على وَفْقِ قياس عقلي. ولولا وجود اللون الأبيض لما شعرنا بالبعد القوي للون الأسود.

قال المرار بن سعيد الفقعسي، وقد سارت نوقه في الصباح بعد أن قطعت الليل، وطوته، وهي تخضب الحجارة بدمائها، وتكسر الحصا: (٥٢)

تساورُ حدَّ الضحى بعدما　　　طوت ليلَها مثل طيِّ الرداء

تعادي نواحيَ من قبصها　　　عن المروِ تخضبُه بالدماء(٥٣)

كأنَّ الحصا حينَ يتركنهُ　　　رضيخُ ندى القسبِ بين الصّلاء (٥٤)

تتخضب مناسم هذه النوق بالدماء، والدم ذو لون أحمر. وربما كان للون الأحمر دلالة ثورية على من يحرمه العيش بسلام، ويضطره إلى امتهان السرقة وسيلة للعيش. وربما أوحى سير النوق في هذه الطريق الصعبة بسير اللص الشاعر في طريق اللصوصية والثورة. فالتمرد يوحي بالثورة والنضال للوصول إلى الهدف. كما أن الحصا الذي يتكسر تحت مناسمها لايوحي بالقوة والصلابة الموجودين في هذه الناقة بقدر مايوحي باضطرابها النفسي الذي جعلها تكسر الحصا في أثناء سيرها فوقه. وما هذا الاضطراب في السير إلا صورة عن اضطراب صاحبها، وانفعاله.

أما الحمام فقد أكثر الشاعر اللص من الحديث عنه، وقارن بين حاله في القيد، وحال الحمام الحرّ. يقول جحدر المحرزي: (٥٥)

وممّا هاجني فازددتُ شوقاً ... بكاءُ حمامتين تجاوبان

تجاوبتا بلحنٍ أعجميٍّ ... على غُصنين من غَرَبٍ وبانِ

فأسبلتُ الدموعَ بلا احتشام ... ولم أكُ باللئيمِ ولا الجبانِ

وقلت لصاحبيَّ : دعا مَلامي ... وكفّا اللومَ عني واعذراني

فكان البانُ أن بانتْ سُلَيمى ... وفي الغَربِ اغترابٌ غيرُ داني

ترتبط الصورة الإيحائية بالتجربة الشعورية. فصورة الحمام مرتبطة بصورة الفقد. لقد أتعبت تجربة السجن شاعرنا، وشغلته. فإذا به يجد في نوح الحمام معادلاً للحزن الذي سكنه. كما أنه استخدم الأسلوب العقلي، فاشتق من البان الذي تقف عليه الحمامة بيناً، ومن غصن الغرب اغتراباً. فتشاءم من هذين الغصنين، وأوحت الحمامتان بحزن عميق.

ولعل جحدر قد عبر من خلال الصورة الإيحائية عن رأيه في التملك قائلاً: (٥٦)

وإن امـــرأً يغـــدو وحَجْـــرٌ وراءه	وجَـــوٌ ، ولايغـــزو هما لَـــضعيفُ
إذا حُلَّـــةٌ أبليـــتُها ابـــتعتُ حُلَّـــةً	كـــساني بهـــا طـــوع القيادِ عليفُ
ســـعى العـــبدُ إثـــري ثـــم ردَّهُ	تذكُّـــر تـــنورٍ لـــه ورغـــيف

لا يرتبط اللص بملكية خاصة؛ لأنها تقيده. فهو يفخر بلصوصيته، ويسخر من سكان القرى؛ لأنه يحصل منهم على مايريد. إنهم يخافون على أنفسهم وممتلكاتهم. أمـــا هـــو فلايملك مايخاف عليه. والعبد الذي يسعى وراءه يتذكر التنور والرغيف فيرتد. أما هو فلا تقيده ملكية خاصة، وفرسه مثله فرس عليف يأكل مما تؤمنه له غارة صاحبه.

لا تـــتولد هذه الدلالات الإيحائية إلا من خلال تفاعل هذه المفردات مع السياق الشعري. أما تصوير الشاعر اللص محالفته وحوش الصحراء، وعزلته فيها فيوحي بمـــا فـــي حـــياته الاجتماعية من سوء دفعه إلى الفقر والتشرد ومصاحبة الحيوان الوحشي.

قال الأحيمر السعدي: (٥٧)

أُرانـــي وذئـــبَ القفـــرِ إلفين بعدما	تدانـــى كلانـــا يَـــشْمئزُ ويُذْعَـــرُ
تألفنـــــي لمـــــا دنـــــا وألفْـــتُه	وأمكننـــي للرمـــي لـــو كنتُ أغدِرُ
ولكننـــي لـــم يأتمنِّـــي صـــاحبٌ	فيـــرتابَ بـــي ، مـــادامَ لا يتغيـــرُ

لـــم يستطع محالفة بني جنسه من البشر، فلجأ إلى محالفة الوحوش. توحي هذه الصورة بالحزن العميق الذي تملَّكه لعدم قدرته على محالفة بني جنسه، كما توحي بحـــال التشرد التي عاناها، وتظهر عكس ماتبطن. إنها تظهر جرأته، وقدرته على محالفة الوحوش، وتوحي بحزنه العميق، وانكساره الداخلي، وتضعنا في جو إيحائي

آخـــر هـــو جـــوّ المقابلة بين الشاعر والذئب. فقد تألفه لما دنا، وألفه. وهنا يصل الشاعر إلى قمة الحزن. فكيف استطاع أن يألف الذئب، ولايألف بني جنسه؟!!

ولجأ الشاعر اللص إلى مايشبه **المَثَل** مكثفاً الحالة الشعورية، ومختصراً كلاماً كثيـــراً فـــي جملة صغيرة. فالتعبير بهذه الطريقة تعبير شديد الإيحاء؛ لأنه يعطي معانـــي كثيـــرة في ألفاظ قليلة ضمن سياق شعري ما. فالأمثال هي " الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأشعار حتى تبرزها، وتكشف عنها، وتصورها للأفهام." (٥٨)

فحين هجا فضالة بن شريك الأسدي آل الزبير قال:(٥٩)

لقد أسمعت لو ناديت حياً	ولكن لاحياةَ لمن تنادي

وهـــذه العـــبارة يمكن أن تجري مجرى المثل، وفيها إيلام للمهجو، وتقليل من شأنه. فلو عُدَّ من الأحياء لفهم طلب الشاعر. وربما أبعد المثلُ الشاعر عن الخوض في التفاصيل، والفحش في القول. فاستعماله عبارة " لاحياة لمن تنادي " في مجال الهجاء أفاده في إيصال معانٍ كثيرة في جملة قصيرة .

وللرمـــز نـــصيب فـــي شعر اللصوص. والرمز تعبير فني شديد الإيحاء؛ لأن المفـــردة التـــي توضـــع ضمن سياق لغوي تنفتح على دلالات متعددة لاتدرك إلا بالتأويل. فقد ورد المشهد الطللي بشكل ضئيل لدى هؤلاء الشعراء؛ لأنهم لم يحيوا حياة عادية لينتجوا شعراً كغيرهم من الشعراء. فغلبت المقطوعات على أشعارهم. إن صـــورة الطلل رمز الحنين إلى الوطن حيث كانت المرأة التي يحب، والأهل.

يقول جحدر:(٦٠)

يـــادارُ بـــين بُـــزاخَةٍ فكثيـــبها	فلـــوى غُبيـــر سَـــهْلِها أو لـــوبِها
سَـــقَتِ الـــصَّبا أطلالَ رَبْعِكَ مُغْدِقاً	يَـــنْهَلُّ عارضُـــها بلَبْسٍ جُيوبِها(٦١)
أيـــامَ أرعـــى العِينَ في زَهَر الصِّبا	وثمـــارَ جـــنات النـــساء وطيـــبِها

يخاطب الشاعر ديار الحبيبة، ويعدد الأماكن التي أصبحت مسارح للذكرى حيث كان ينعم بالأمان بين أهله، فيدعو لدياره بالسقيا، ويرغب في عودة تلك الأيام من جديد. ولعل الصورة الرمزية مرتبطة ارتباطاً قوياً بالرؤيا. فالشاعر في لاوعيه يتمنى لو تعود تلك الأيام الجميلة ذات الودّ والصفاء. ولعلنا لانعدو الحقيقة إذا قلنا: إن رؤيا الشعراء اللصوص قد انكفأت إلى الوراء، فتمنى الشاعر عودة الأيام الماضية. فارتباط الصورة الرامزة بالرؤيا لدى هؤلاء الشعراء يعطيها صفة شديدة الإيحاء، ويوسع أفقها. وهنا يغدو الماء المغدق الذي يريده الشاعر؛ ليسقي طلله رمز التطهير النفسي. فالمطر سيغسل كلّ شيء، وسيريح نفس الشاعر المضطربة. والصراع الذي يعانيه صراع داخلي، وخارجي، والتطهير تطهير نفسي. فلا يمكن أن ننظر إلى المقدمة الطللية على أنها تقليد شعري فحسب. لقد قدم الشاعر من خلال هذا التقليد الشعري أفكاره الخاصة. ولو كانت تقليداً شعرياً فقط لغدت نمطاً مكرراً فارغاً من أي محتوى فكري، وفني. ويحنّ تليد الضبّي إلى أيام اللصوصية قائلاً: (٦٢)

يقولون : جاهرْ يا تليدُ بتوبةٍ وفي النَّفْسِ مني عادةٌ سأعودُها
ألا ليتَ شعري : هل أقودنَّ عُصبةً قليلاً لربِّ العالمين سجودُها

ويقول: (٦٣)

تبدلتُ من سَوْقِ الأباعرِ في الضُّحى ومن قَنَصِ الغزلانِ بَنْيَ المساجدِ
فأصبحتُ قد أحدثت لله توبةً وخيرُ عبادِ الله في زيٍّ عابدِ
على أنَّ في نفسي إلى البيضِ طرْبَةً وأني،قد أهوى ركوبَ الموارد(٦٤)

إن لديه رغبة في العودة إلى حياة اللصوصية بعد توبته حين كان يقود عصبة من اللصوص. لقد أحب العودة إلى شأنه القديم، فرمز لما في حياته القديمة من لذة وبهجة بالبيض، واشتاق إلى ركوب المخاطر والأهوال. إن ابتعاده عن البيض الحسان رمز لما في حياته من بؤس وحزن، ورغبته في

العودة إليهن رمز للعودة إلى الحرية. وعلى هذا تحمل البيض الحسان، وركوب الأهوال الحياة والموت معاً. وبهذا يتخطى الرمز الواقع، وينظر إلى المستقبل ما يعني أنه يرفض الواقع، ويحلم بتخطيه .

وقد يتعلق الرمز بشخصية نسائية تتكرر في شعر هؤلاء الشعراء. فلا تكون امرأة حقيقية، إنما تكون رمزاً إلى شيء ما. يقول السمهري بن بشر: [٦٥]

ألا حـيِّ ليلى ، إذ ألـمَّ لمامُها	وكان مع القومِ الأعاديِّ كلامُها[٦٦]
تعلَّلْ بليلى ، إنما أنتَ هامةٌ	من الغدِ ، يدنو كلَّ يومٍ حِمامُها
وبادرْ بليلى أوبةَ الرَّكْبِ ، إنهم	متى يرجعوا يَحْرُمْ عليك لِمامُها
وكيف تُرَجِّيها ، وقد حِيلَ دونها	وأقسَمَ أقوامٌ مَخوفٌ قَسامها[٦٧]

تغدو ليلى في هذه الصورة رمزاً لحياة اللذة، واللهو التي يريد الشاعر أن يحياها. فإنه غداً ميت لامحالة؛ لذلك يسارع إليها رغبة منه في الوصول إلى اللذة والراحة. وكيف السبيل إلى ليلى، وقد تباعدت المسافة بينهما؟ وهنا أيضاً نجد علاقة بين الرمز، والرؤيا. إذ يتمنى العودة إلى الماضي؛ لأن المستقبل في نظره معتم، حافل بالرعب. فليعد إلى ليلى، رمز اللذة، والسعادة، والعطاء. لقد غدت ليلى متنفساً لحياة الشاعر القاسية لكنها تبدو متمنعة على الرغم من طلب الشاعر أن يتعلل بها. مما لا شك فيه أن صورة ليلى صورة رامزة، وليست صورة حقيقية. وإذا تتبعنا سائر القصيدة نجده يصورها امرأة بيضاء، لعوباً، خريدة، أتاه طيفها وهو في قيده، فتمنى أن يعيش معها بغبطة. إنها مغرية مثل الحياة، لكنها صعبة المنال مثل كل شيء تمناه في هذه الحياة. إن للفن طبيعة رمزية. وليلى رمز يتكرر لدى الشعراء. فالمرأة في شعر هؤلاء الشعراء مصدر راحة، ولكنها بعيدة. والصورة " إذا عاودت الظهور بإلحاح كتقديم، وتمثيل على السواء فإنها تغدو رمزاً ".[٦٨]

ولعـل الـشاعر في رؤياه يبدو أسير الماضي، والحاضر. أما المستقبل فيبدو معـتماً، لايرى الشاعر أمامه سوى الموت؛ لذلك يفضل العودة إلى الماضي لينشد الراحة التي يفتقدها في حاضره.

- علاقة الصورة بالإيقاع النغمي لدى الشعراء اللصوص :

الإيقـاع حركة زمانية مرتبطة بالحركة والحياة؛ لذلك يحمل تأثيراً نفسياً، يضفي علـى الصورة قيماً نفسية وجمالية خاصة. وللإيقاع علاقة بالمضمون مع أنه ناتج من الشكل. فهو تشكيل نفسي بالدرجة الأولى.

ففـي **الطباق** على سبيل المثال علاقة ضدية بين أمرين، وثنائية واضحة تظهر المعاناة التي عاناها اللصوص في مجتمعهم. ويقوم على أساس فكري قدم الشعراء مـن خلالـه مـوقفهم الخـاص من الحياة. فلا يشتد تأثير الأمور إلا حين تقرن بأضدادها.

قال عبيد الله بن الحرّ الجعفي: (٦٩)

إذا أخذَتْ كفّي بقائِمِ مرهفٍ   وكان قصيراً عادَ وهو طويلُ

عبّـر الـشاعر عن قصر السيوف، ومدّ الأيدي بها بالجمع بين نقيضين. ومن شأن الجمع بين المتناقضات أن يولد إيقاعاً خاصاً في الصورة. فقد أراد الجعفي أن يفخـر بحسن قتاله، وقدرته على النيل من عدوه، فعبر عن هذه الفكرة بالجمع بين النقيضين.

وفـي **التقـسيم** مراعاة واضحة للجانب الإيقاعي في الصورة. يقول الأحيمر السعديّ:(٧٠)

فلِلّيل إن واراني الليل حكمُهُ   وللشمسِ إن غابتْ عليَّ نذورُ

إن اجـتماع الطباق والتقسيم جعل الصورة نشيطة إيقاعياً. فتتشابه حياة اللص الحافلـة بالحركة مع إيقاع صوره. فإيقاع الصورة انعكاس لإيقاع الحياة. والتقسيم فـي البـيت رفع وتيرة الإيقاع لاسيما أن المتطابقين يتصدران شطري البيت. ما أعطى البيت نوعاً من التناظر.

اســتطاع بعــض الــشعراء اللصوص أن يوجدوا وحدة إيقاعية ضمن النص الشعري من خلال التركيب المتماسك، والقدرة على التعبير. وها هو هفوان العُقيلي يأمر صاحبيه ألا يتأخرا لئلا يدركهما الطلب، فيقول: (٧١)

لاتخبــزا خبــزاً وبُــسًّا بَــسّاً (٧٢)

ملْــساً بــذَوْد الحُمَــسَّى ملْسا (٧٣)

نــومتُ عــنهنَّ غُلامــاً جِبْسا (٧٤)

أضــعفَ شـــيءٍ مُـــنَّةً ونَفْـــسا

وقــد تَغَطَّـــى فــروةً وحِلْــسا (٧٥)

مــن غُــدوةٍ حتــى كــأنَّ الشَّمْسا

بالأفــقِ الغربـــيِّ تُطلـــى ورســـا

لاتُــوقدا نـــاراً وبُـــسّا بَـــسّا

فــي قــصعةٍ ولاتمــسا عُــسا (٧٦)

واتخـــذاها للعـــدوِّ تُرســـا (٧٧)

مُخالــساً غُــساً وطعــناً دَعْــسَا

إن هديــر حــرف الــسين ظاهرة تقودها حركة نفسية داخلية. تنساب الحركة الإيقاعــية مــع هديــر حرف السين في الصورة الكلية، وتتجلى مع تكرار بعض الكلمــات مثل بُسّا بَسّا مع وجود الجناس. فتتكرر الكلمة أو ما يشابهها مع القافية التي تأتي مع حرف السين المطلقة لتكشف عن القلق الذي يعتري نفس هذا الشاعر. إنه يوصي رفاقه أن ينتبهوا، ولايتأخروا. ويتكرر الجناس مع تكرار السين راسماً

هندسة إيقاعية تقوم على صفير السين المكررة في كل شطر مرة، أو أكثر، فتشكل هــذه الأبــيات وحدة إيقاعية متناغمة. ولعل الظاهرة المثيرة للاهتمام لدى هؤلاء الــشعراء ظاهــرة **التقديم والتأخير**. فقلّ أن نجد صورة لاتبدو فيها هذه الظاهرة. ولعلهــا مرتبطة بنفسية اللص المضطربة. فقد قدموا مامن حقه التقديم في نفوسهم؛ لتخصيصه، وزيادة الاهتمام به.

يقول مرَّةُ بن محكان: (٧٨)

ولستُ – وإن كانت إليَّ حبيبة – ببـاك على الدنيا إذا ما تولَّتِ

فــلا شيء يدعوه إلى التعلق بهذه الدنيا. إن عمق إحساسه بالغربة عن مجتمعه جعلــه يــرفض التمــسك بهــا. وقد فصل الشاعر بين اسم ليس، وخبرها بالجملة الــشرطية المعترضـــة. ولعل هذه الخلخلة التركيبية للجملة قد ولدت خلخلة على المــستوى الإيقاعي. فالتشكيل الإيقاعي تشكيل نفسي بالدرّجة الأولى. " إن ثمة لذة شــعرية رائعـــة فـــي الحركة النفسية الإيقاعية للكلمات ومقاطعها. لكن هذه اللذة مــشروطة بكـــون هذه الحركة آتية في مدٍّ من تفجرات الأعماق. وإلا تحولت إلى رنين صنعي بارد أجوف ". (٧٩)

إن جملة الشرط الواردة في البيت الأول أتى جوابها محذوفاً، دلّ عليه السياق. والتــركيب الــشرطي تركيب يشدّ المتلقي، ويجعله متلهفاً لسماع الجواب. ومن ثم يــرتفع الإيقاع مع فعل الشرط، ويهبط مع الجواب. فالأصل أن يقول: لست باكياً على الدنيا وإن كانت إلي حبيبة. لكن خلخلة النسق اللغوي جعلتنا نشعر أن الجملة الشرطية أتت اعتراضية، وأحدثت انقطاعاً في الإيقاع بين ماسبقها وماتلاها. وفي الوقت نفسه حرضت المتلقي على توقع الجواب، فأحدثت إيقاعاً عالي النبرة في شد المتلقــي لــسماع الجواب من جهة، وفي تخلخل الجواب في الجملة المعترضة من جهة ثانية، وفي تأخير خبر ليس، وزيادة تلهف المتلقي لسماعه. ومن ثم زيادة حدة الإيقاع حتى يصل إلى الخبر من جهة ثالثة.

ويتـــناغم الإيقـــاع هنا مع الإيقاع الخبري. ففي الإيقاع الخبري تكون الحركة بسيطة، متسلسلة. لكن في هذا البيت أصابها بعض الانقطاع في الجملة المعترضة.

فيــرتفع الإيقاع مع بداية الشطر الشعري، ونفي الحدث عن النفس (لستُ) ما يحفز انتــباه المتلقي لتلقي الخبر، فيصيبه الانقطاع مع الاعتراض. لكن هذا الاعتراض حمــل ارتفاعـــاً إيقاعياً من نوع آخر بدأ مع الشرط، وبقي مرتفعاً؛ لأن فهم جوابه مـــتوقف علـــى السياق. ثم ارتفع الإيقاع أكثر مع الجملة الخبرية؛ ليستقر في نهاية البــيت، فاكــتمل المعنـــى بين اسم ليس وخبرها من جهة، و فعل الشرط وجوابه المتوقف فهمه على السياق من جهة أخرى.

وللتنكير إيقاع مميز في أشعارهم. إنه يرتبط بالصورة الشعرية من خلال حمله إيحـــاءات عـــدة. فيـــنطلق المتلقي إلى آفاق شعرية واسعة، وحافلة بالغموض. أما التنوين الذي يرافق التنكير فيعطي إيقاعاً نغمياً قوياً خصوصاً عندما يتكرر التنوين في الشطر الشعري الواحد. يقول دوير بن دؤالة العقيلي يصف حال اللص: [٨٠]

أسجناً وقيداً واغتراباً وعُسْرةً | وذكرى حبيبٍ ؟ إنَّ ذا لعظيمُ

إن تكرار التنوين في البيت ولد إيقاعاً غنياً عكس شدة الاضطراب النفسي الذي يعـــيش فيه هذا الشاعر. فقد حرم، بسبب لصوصيته، من كل شيء. فإذا به يعاني الـــسجن، والقـــيد، والغربة النفسية، والحسرة. وفوق ذلك كله تأتي ذكرى حبيبته؛ لـــتجعل مـــن معاناته معاناة لاحدود لها. وثمة جانب إيقاعي آخر يضاف إلى هذا الجانـــب هو الإيقاع الصادر عن الإنشاء. فقد خرج الاستفهام إلى غرض بلاغي، فرفع من وتيرة الإيقاع من بداية البيت إلى نهاية الاستفهام. ويعكس هذان الأسلوبان الأزمـــة النفـــسية للشاعر، والمشاعر المختلطة التي ترافقه. فالإيقاع في هذا البيت متنوع بين ارتفاع وهبوط.

وبعودة إلى الصور البيانية من تشبيه، واستعارة، وكناية نجد أنها تنطوي على جوانب إيقاعية؛ إذ يقوم التشبيه على أساس المقارنة بين أمرين في صفة ما.

فمـــن خلال الموازنة أو التناظر بين المشبه والمشبه به تتوافر عناصر إيقاعية معيـــنة. فـ "مما يزداد به التشبيه دقة وسحراً أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحـــركات. " [٨١] لكـــن هـــذه الحركة الإيقاعية محدودة؛ لأن المقارنة بين طرفي التـــشبيه تحدّ من حرية الحركة الإيقاعية ، ومن أفقها. قال سارية بن زُنَيْم الدؤلي معتذراً إلى النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وكان بلغه أنه هجاه، فتوعده. [٨٢]

تعلّـمْ رسـول الله أنـكَ قـادرٌ   علـى كـلّ حـيٍّ من تِهام ومُنْجِدِ

تعلَّمْ رسـولَ الله أنّـك مدركـي   وأنَّ وعـيداً مـنك كالأخـذِ بالـيدِ

إن ثمـة علاقة تشبيهية بين طرفين مختلفين، متفقين أثراً. فثمة طرفان، وثمة حـركة إيقاعـية ناجمة عن التناظر بين هذين الطرفين. لكن هذه الحركة محدودة. ووجـود الأداة يبطّـئ الحركة الإيقاعية. كما أن الصورة التشبيهية لاتعطي مجالاً للتخـيل؛ لأنها تحصر الصورة في طرفين. أما الاستعارة فتقوم على تفجير طاقات اللغـة. فـإذا بهـذين الطرفين ينصهران، ويبدوان كلاً واحداً. مع أن هذا التوافق وهمي. يقول عبيد بن أيوب العنبري: (٨٣)

أذقني طعمَ الأمنِ أو سَلْ حقيقةً   عليَّ ، فإن قامتْ ففصِّلْ بنانيا

تـدمج الاستعارة العناصر، وتوحدها. فقد اندمج الطرفان في هذه الاستعارة ما أحـدث حركة دلالية معينة، وحركة إيقاعية متناغمة مع الحركة الدلالية. فالحركة في الاستعارة أنشط من الحركة في التشبيه؛ فلا طرفان ولا أداة تشبيه. ولعل وتيرة هذا الإيقاع تزداد حين ننظر إليه من خلال ارتباطه بالسياق الشعري. فقد بدأ البيت بفعـل الأمـر الذي يهيء المتلقي لفعل طلب ما، فتتنشط الحركة الإيقاعية. وتتلته الاسـتعارة (طعم الأمن) بإيقاعها النغمي النشيط، تلاه إيقاع الفصل (أو سل حقيقة) وفي هذا الفصل انقطاع في الإيقاع. لكنه ينهي الشطر الأول بتنوين نصب يسمح له بإفـراغ شحنته العاطفية التي تتناغم مع التنوين . فإذا بهذا التنوين يساعد الشاعر على أن يفرغ معاناته وألمه. فقد وقف عند التنوين مع أن الجملة لم يكتمل معناها. لكـنها محطة تريحه من خلال صدى التنوين المتناغم مع الصدى النفسي لديه. إنه يطلـب التحقيق في جرائمه. فإما أن يعاقَب إذا ثبتت عليه الجريمة، وإما أن يعفى عنه، فيذوق طعم الأمن. وفي الجملة الأخيرة (فإن قامت ففصل ..) انقطاع إيقاعي عـن الجملـة الـسابقة. وكأنه أراد الفصل بين الحالين حين يتم التبين من حقيقة الـسؤال. والجملـة الأخيرة تحدث انقطاعاً إيقاعياً. لكنه تولد في نفسه الآن إيقاعاً

خاصـــاً بها. إذ يرتفع الإيقاع مع فعل الشرط، ويهبط مع جوابه لنصل إلى مستوى إيقاعي محدد في نهاية البيت بعد أن ارتفع مع فعل الشرط .

صحيح أن النص الشعري مكون من مجموعة من الصور الجزئية لكنها تندرج تحــت صورة واحدة هي الصورة الشاملة؛ لأن التجربة الشعورية واحدة في النص الـــشعري. فتتداخل العلاقات الإيقاعية مع الحالة النفسية للشاعر، وتظهر الصورة الشاملة في القصيدة، وليست الصورة الجزئية وحدها، إن العمل الكامل الذي يتصف بالحيوية والنمو" يكون بربط أجزاء الصورة الكلية فيما بينها بعلاقات عضوية حية نابعة من وحدة الشعور المسيطر على التجربة الوجدانية." (٨٤)

- خاتمة :

لقـــد حمل شعر اللصوص جوانب فكرية واضحة، وعبر عن طبقة مسحوقة في المجتمع ربما لم يلتفت إليها غيرهم من الشعراء. فحملت صورهم وفهمهم الخاص للحـــياة، ولمسألة الحق والصواب، وجددوا في طرائق التعبير فأبدعوا صوراً ظلت تـــشدنا إلـــى يومـــنا هذا. وقد اعتمدت صورهم على الثنائية الضدية التي عكست تناقـــضات الواقع الذي عاشوا فيه. فظهرت على سبيل المثال، ثنائية الجد / الهزل فقد سخروا، وأظهروا الروح الفكاهية. حتى في المواقف الجدية.

وأكثروا من استخدام أداة التشبيه (كأن)؛ لأن معاناتهم جعلتهم غير قادرين على الحكم على الأمور بشكل يقيني.

وفـــي الاســـتعارة أبدعوا استعارات رائعة، وبرعوا في مجال التشخيص؛ لأنه يعتمد على أنسنة الجوامد. وربما كان الإنسان أشد ما اهتموا به.

وقـــد اقتـــرن التصوير الحسي لديهم بالتصوير النفسي، فلم يصفوا شيئاً وصفاً خارجياً. لقد خلعوا عليه مشاعر إنسانية.

أما الرؤيا فقد ارتبطت بالرمز، وانكفأت إلى الوراء؛ لأنهم ظلوا أسيري الحاضر والماضي. وقد اقترنت نظرتهم إلى المستقبل بالسوداوية.

وقد اتسمت صورهم بجوانب إيقاعية غنية عكست غنى الأحداث التي مرت في حياتهم.

الهوامش

١ – الجاحظ، عمرو بن بحر: ١٩٦٩ ، الحيوان – ط٣ – حققه وشرحه عبد السلام هارون – المجمع العلمي العربي الإسلامي – بيروت – ج٣/١٣٢

٢– الجرجاني، عبد القاهر: ١٩٧٨ ، دلائل الإعجاز في علم المعاني – دار المعرفة – بيروت – ص٦٤ .

٣– الجرجاني، عبد القاهر: ١٩٧٨ ، أسرار البلاغة في علم البيان – دار المعرفة – بيروت – ص١٢٧ .

٤– ينظر: ناصف، د.مصطفى: ١٩٨١ ، الصورة الأدبية – ط٢ – دار الأندلس – بيروت – ص١٤١ .

عساف، د.عبدالله : ١٩٩٦ ، الصورة الفنية في قصيدة الرؤيا – ط١ – دار دجلة القامشلي – ص٤٣ .

٥– عبد الرحمن، د.نصرت: ١٩٧٦ ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث – مكتبة الأقصى – عمان – ص(١٩٧–١٨٦) .

٦– ناصف، د.مصطفى: الصورة الأدبية ، ص٥ .

٧– عبد الله، د.محمد حسن: د.ت ، الصورة والبناء الشعري – دار المعارف – مكتبة الدراسات الأدبية – ، ص٤٩ .

٨– البطل، د.علي: ١٩٨٠ – الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري – دار الأندلس بيروت – ص٣٠ .

٩– دهمان، د.أحمد: ١٩٨٦ ، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (منهجاً وتطبيقاً) – ط١ – دار طلاس – ج١ / ٣٠٠–٢٩٩ .

اليافي، د. نعيم: أوهاج الحداثة – ط١ – منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق – ص ١٧١ . ١٠– المائدة : ٣٨ .

١١– الملوحي، عبد المعين: ١٩٩٣ ، أشعار اللصوص وأخبارهم – ط٢ – دار الحضارة الجديدة – بيروت – ج٦/٧٠٩ .

١٢- أشعار اللصوص وأخبارهم – ط٢- دار الحضارة الجديدة – بيروت – ج٢/ب٣/ ١٨٨ .ويقصد الشاعر بساكنها ساكن السجن . ||١٣- نفسه : ج١/٥/١٠٦ .

١٤- الأصـــبهاني، الراغب: د.ت ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعر و البلغاء – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – ج٣/١٩١ .

١٥- أشعار اللصوص وأخبارهم: ج٢/١٠/٣٠ .||١٦- أسرار البلاغة ، ص ١٠٩ .

١٧- أشعار اللصوص وأخبارهم:ج١/٦-٧/٤٤.||١٨- أسرار البلاغة ، ص١٠٩ .

١٩- أشعار اللصوص وأخبارهم:ج٢/١-٣/٢٥٩.||٢٠- نفسه : ج٢/١-٣/٢٨٢ .

٢١- نفسه : ج٢/١-٢ – ٣ /-٢٣٣-٢٣٣ .||٢٢- نفسه : ج٥/١-٢/٦٥٧ .

٢٣- نفسه : ج٣/٨-٩/٤٩٧ .

٢٤- الحزن: بلاد يربوع ، وهي أطيب البادية مرعى ، الصبيب : شجر يختضب به.

٢٥- أشعار اللصوص وأخبارهم : ج٤/٩/٥٣١ .

٢٦- قماشة: فتات الأشياء يطلق على رذالة الناس . ||٢٧- نفسه : ج٢/٤،١/٢٨٣ .

٢٨- ابـــن جني، عثمان: د.ت ، الخصائص ، حققه : محمد علي النجار – دار الهدى – بيروت – ج٢/٤٤٢ .

٢٩- أشعار اللصوص وأخبارهم : ج٢/١٢ ، ١٤/ ٢٢٥ .

٣٠- صفراء نبعة : القوس . الربذي : محركة الوتر . المعابل : النصال .

٣١- نفسه : ج١/٤/١٨٤ .

٣٢- أرســـطو طالـــيس: ١٩٦٧ ، في الشعر – حققه وترجمه ترجمة حديثة د.شكري عياد – دار الكاتب العربي – القاهرة – ص١٢٨ .

٣٣- أشعار اللصوص وأخبارهم: ج١/٥/١٥٠ . ||٣٤- أسرار البلاغة : ص٣٣ .

٣٥- أشعار اللصوص وأخبارهم: ج٢/١-٥/٢٩٨-٢٩٩ .

٣٦- الغداف المقشب: الموت الأسود بالسم. || ٣٧- المثغب : الكثير .

٣٨- نفسه : ج١/٣/٢٢ . || ٣٩- الأعراف : ٣٤ . || ٤٠- نفسه : ج١/٨/٩٧ .

٤١- نفسه : ج١/٤-٥/٩٧ . || ٤٢- نفسه : ج٥/١/٦٥٩ .

٤٣- نفسه : ج٤/١/٤٩٧ . || ٤٤- دلائل الإعجاز : ص ٢٣٦-٢٣٧ .

٤٥- أشعار اللصوص وأخبارهم:ج٥/١-٥،٤،٢/٦٤٠.||٤٦- نفسه:ج٥/١-٢/٦٥٠ .
٤٧- أشعار اللصوص وأخبارهم : ج٢/١-١١،٤،٢-١٤/ ٣١٠ - ٣١١ .
٤٨- مسئياً : أراد مسيئاً فقدم الهمزة . ||٤٩- دلائل الإعجاز : ص٣٦ .
٥٠- أشعار اللصوص وأخبارهم:ج١ / ١-٣ / ٦٢ .||٥١- نفسه:ج١/١-٢/ ١٨٨ .
٥٢- نفسه : ج٣/١٧-٢٠/ ٣٤٣ . || ٥٣- القبص : ضرب من السير .
٥٤- الرضيخ: المنكسر ، القسب: التمر اليابس . الصَّلاء: جمع صلاية وصلاءة وهي كل حجر عريض يدق عليه عطر أو هبيد .
٥٥- نفسه : ج١/١٤-٦ ، ١٩-٢٠/ ١٩٥.|| ٥٦- نفسه : ج٢/١-٣/١٨٩ - ١٩٠ .
٥٧- نفسه : ج١/١-٣/٩٦ .
٥٨- الزمخشري، محمد بن عمر: ١٩٥٣ ، الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ط٢ - ضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد- مطبعة الاستقامة - القاهرة - ج١/٤٩٧ .
٥٩- أشعار اللصوص وأخبارهم: ج٤/١٢/٥٨٢ . ||٦٠- نفسه : ج٢/١-٣/١٧٩ .
٦١- مغدقاً: مطراً هطالاً. لبس جيوبها:يعم أقطارها .||٦٢- نفسه : ج٢/١-٢/٢٠٠ .
٦٣- نفسه : ج٢/١-٣/٢٠٠-٢٠١ .
٦٤- طربة: شوقاً، أهوى ركوب الموارد: أحب العودة إلى شأني القديم في ركوب المخاطر والأهوال.|| ٦٥- نفسه: ج١/١-٤/٤٣. || ٦٦- اللمام:الزيارة في الأحايين .
٦٧- القسام من القسم : والقسام : اليمين .
٦٨- ويليك، رينيه ووارين، أوستن: د.ت ، نظرية الأدب - ترجمة محيي الدين صبحي - المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم العامة - ص١٩٧.
٦٩- أشعار اللصوص وأخبارهم : ج٢/١/٢٧٧ .
٧٠- نفسه : ج١/٣/٩٧ . || ٧١- نفسه : ج٤/١-١١/ ٦٣١-٦٣٢ .
٧٢- يأمر صاحبيه ألا يتأخرا حتى يخبزا الخبز ، وأن يصنعا البسيسة وهي خليط من الطحين والسمن .

٧٣- الملس: ضرب من السير السريع، الحمسي: منسوب إلى حميس بن أد .

٧٤- الجبس: الغلام الكسلان النؤوم . || ٧٥- الحلس: كساء على ظهر البعير .

٧٦-العس:الإناء الكبير.||٧٧- يأمرهما أن يجعلا الإبل ترساً من العدو إذا لقيا حرباً .

٧٨- نفسه : ج١/٥/١١٤ .

٧٩- أدونيس: ١٩٨٣ ، مقدمة للشعر العربي - ط٤ - دار العودة - بيزوت - ص٩٤ . || ٨٠- أشعار اللصوص وأخبارهم : ج١ / ١/ ١٣٧ .

٨١- أسرار البلاغة ص ١٦٤.|| ٨٢- أشعار اللصوص وأخبارهم:ج١ / ١-٢/ ٥٦ .

٨٣- نفسه : ج٢/١/٢٣٤ .

٨٤- حمدان، د.ابتسام:١٩٩٧ ، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي - ط١ - دار القلم العربي - حلب - ص٢٦٠ .

- المصادر والمراجع :

١- القرآن الكريم .

٢- أدونيس: ١٩٨٣ ، مقدمة للشعر العربي - ط٢- دار العودة - بيروت .

٣- أرسطو طاليس: ١٩٦٧ ، في الشعر - حققه وترجمه د. شكري عياد - دار الكتاب العربي - القاهرة .

٤- الأصبهاني، الراغب: د.ت ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء و البلغاء - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت .

٥- البطل، د.علي: ١٩٨٠ - الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري - دار الأندلس - بيروت .

٦- الجاحظ، عمرو بن بحر: ١٩٦٩ ، الحيوان - ط٣- حققه وشرحه عبد السلام هارون - المجمع العلمي العربي الإسلامي - بيروت .

٧- الجرجاني،عبد القاهر:١٩٧٨، أسرار البلاغة في علم البيان-دار المعرفة- بيروت

٨ - الجرجاني، عبد القاهر: ١٩٧٨ ، دلائل الإعجاز في علم المعاني- دار المعرفة - بيروت .

٩- ابن جني،عثمان: د.ت:الخصائص.حققه محمد علي النجار- دار الهدى- بيروت .

١٠- حمـــدان، د.ابتسام:١٩٩٧ ، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي – ط١ – دار القلم العربي – حلب .

١١- دهمـــان، د.أحمد: ١٩٨٦ ، الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (منهجاً وتطبيقاً) – ط١ – دار طلاس ..

١٢- الزمخـــشري، محمـــد بن عمر: ١٩٥٣ ، الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون القاويـــل فـــي وجوه التأويل ، ط٢ – ضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد-مطبعة الاستقامة – القاهرة .

١٣- عـــبد الرحمن، د.نصرت: ١٩٧٦ ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث – مكتبة الأقصى – عمان .

١٤- عبدالله، محمد حسن: د.ت ، الصورة والبناء الشعري – دار المعارف – مكتبة الدراسات الأدبية – القاهرة .

١٥- عساف، د.عبدالله: ١٩٦٩ – الصورة الفنية في قصيدة الرؤيا – ط١- دار دجلة – القامشلي .

١٦- الملوحـــي، عـــبد المعـــين: ١٩٩٣ ، أشعار اللصوص وأخبارهم – ط٢ – دار الحضارة الجديدة – بيروت .

١٧- ناصف، د.مصطفى: ١٩٨١ ، الصورة الأدبية – ط٢- دار الأندلس – بيروت .

١٨- ويلـــيك، رينـــيه ووارين، أوستن: د.ت ، نظرية الأدب – ترجمة محيي الدين صبحي – المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم العامة .

١٩- اليافـــي، د.نعيم: د.ت، أوهاج الحداثة – ط١ – منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق .

توظيف اللسانيات الحاسوبية

في خدمة الدراسات اللغوية العربية

" جهودٌ ونتائج "

د. عبدالرحمن بن حسن العارف

جامعة أم القرى

مقدمـــة:

تعد دراسة اللغة العربية باستخدام اللسانيات الحاسوبية (المعلوماتية) من أحدث الاتجاهات اللغوية في اللسانيات العربية المعاصرة .

ويتــناول هذا البحث جهود الباحثين المعاصرين العرب – بصفة عامة، واللغويين – بوجه خاص – في تطويع تقنيات الحاسوب لخدمة الدراسات اللغوية العــربية، أصـــواتاً، وصـــرفاً، ونحواً، ومعجماً، ودلالة، ومدى إفادتها منه في معالجة قضاياها المختلفة .

وكمـــا هو معروف فإن العلاقة بين الحاسوب واللغة العربية تقوم على محورين أساسيين : أولهما المحور النظري، والآخر التطبيقي .

وفـــي ضـــوء هذا يستعرض الباحث نشأة الاتجاه الحاسوبي في دراسة علـــوم اللغـــة العربية، والظروف والملابسات التي أسهمت في تكوينه بوساطة الجهـــود الفردية، أو الجهود المؤسساتية والرسمية، والمشكلات التي واجهته في ضـــوء خصوصية اللغة العربية، والبرمجيات، والحاسوبات، وما قدم من حلول لمعالجة تلك المشكلات .

كمـــا يتـــناول البحث نتائج استثمار هذا الاتجاه في مجال تعليم العربية لأبـــنائها، وللناطقين بغيرها من اللغات، وفي مجال الترجمة الآلية، والتعريب،

والإحـــصاء اللغـــوي، والمعالجة الآلية للأصوات، والصرف، والنحو، والمعجم والدلالـــة. ويخلُص إلى تحديد ملامح هذا الاتجاه الحديث في اللسانيات العربية المعاصرة، وأثره في تطوير اللغة العربية وتنميتها في العصر الحديث .

تـــمَّ اختـــراع جهاز الحاسوب – كما تذكر المصادر – في أواخر النصف الأول مـــن القرن المنصرم (القرن العشرين)، وتحديداً عام ١٩٤٨م[١]، وأصبح مـــنذ ذلـــك التاريخ متاحاً للإفادة منه في جميع مجالات الحياة، ومختلف العلوم والمعارف الإنسانية.

وتطـــورت تقنـــية هذا الجهاز عبر السنوات تطوراً مذهلاً، منذ ظهور الجيل الأول من الحواسيب الآلية سنة ١٩٥١م، وحتى ظهور الجيل الخامس منه سنة ١٩٩١م .

أمـــا بـــدء استخدام الحاسوب في دراسة اللغة على مستوى العالم، فمن الصعوبة بمكان وضع تأريخ زمني محدد له ؛ وذلك لأنه لم يحدث دفعة واحدة، بل تمَّ نتيجةً لمحاولات متفرقة، وعلى مراحل زمنية مختلفة، وفي دول متعددة.

فعلـــى المـــستوى الأمريكـــي يذكـــر الدكـــتور مايكـــل زار تـــشناك (M.Zarechnak) أســـتاذ علـــم الدلالة ومنظم البرمجة اللسانية الآلية بجامعة جورج تاون، أن العمل في اللسانيات الآلية بدأ في قسم اللسانيات بجامعة جورج تـــاون ســـنة ١٩٥٤م، وذلـــك في حقل الترجمة الآلية من اللغات الأخرى إلى الإنجليـــزية[٢]. وهذا يعني أن بداية الخمسينيات من القرن الماضي شهدت ولادة المعالجة الآلية للغات البشرية.

أمـــا علـــى المستوى الأوروبي فتذكر المصادر أن أقدم محاولة لدراسة اللغـــة بوســـاطة الحاســـوب تمَّت سنة ١٩٦١م، بجامعة قوتبرغ (Goteborg)

السويدية، لكن هذه المحاولة ظلت ذات طابع محلي، ولم ترق إلى مستوى الذيوع والانتشار والتأثير في محيطها الأوروبي .

والبداية الفعلية لهذا الاتجاه كانت – كما تقر المصادر – لمركز التحليل الآلـــي للغـــة بمديـــنة (قـــالارات Gallarat) بإيطاليا، الذي كان يشرف عليه روبارتوبـــوزا (Roberto Busa)، حـــيث وضع سنة ١٩٦٢م الدعائم الأولى لاستخدام الحاسوب في دراسة اللغة .

ثـــم توالـــى بعد ذلك افتتاح المراكز الحاسوبية للغة في أوروبا والاتحاد السوفيتيي، كما هي الحال في المركز الحسابي لدراسة الأدب واللغة في جامعة كامبـــردج ســـنة ١٩٦٤م، والمركـــز المعجمـــي بمجمـــع دالاكروســـكا (Dellacrusca) بإيطالـــيا ســـنة ١٩٦٤م، ومعهد الألسنية التابع لمجمع العلوم بكيف في أوكرانيا (الاتحاد السوفييتي سابقاً) سنة ١٩٦٤م – أيضاً –(٣) .

أمـــا بالنـــسبة للعلوم النظرية عند العرب في العصر الحاضر فقد كانت العلوم الشرعية من أسبق العلوم الإنسانية استخداماً لتقنية الحاسبات الإلكترونية ونظـــم المعلومات، حيث بُدئ بالعمل بها والإفادة منها في السبعينيات من القرن الماضـــي(٤). وظلت علوم اللغة العربية في منأى عن الانتفاع بها بعض الوقت، حتـــى قـــيض الله لها من رأى أنه يمكن لهذه العلوم أن تفيد من الحاسوب فائدة كبرى .

وتبدأ قصة الاتصال العلمي بين الحاسوب والبحث اللغوي العربي – كما يذكر الدكتور إبراهيم أنيس (١٩٠٦–١٩٧٨م) – حينما فاتحه الدكتور (الطبيب) محمـــد كامـــل حـــسين (١٩٠١–١٩٧٧م) متـــسائلاً عن إمكانية الاستفادة من الكمبيوتـــر – (الحـــسَّابة الآلـــية) كما يحب الدكتور أنيس أن يطلق عليه – في الـــبحوث اللغـــوية، فصادفت هذه الفكرة في نفسه قبولاً واستحساناً، خاصة أنها

كانـت تـداعب خياله مُذْ نما إلى سمعه المجالات المتوافرة لتطبيقه في البحث العلمي .

ويـضيف الدكتور أنيس بأنه انتهز فرصة زيارته لجامعة الكويت سنة ١٩٧١م للعمل بها أُستاذاً زائراً، وهناك التقى بالدكتور علي حلمي موسى، أستاذ الفيزياء النظرية في جامعة الكويت، وطرح عليه فكرة الاستعانة بالحاسوب في إحصاءات الحروف الأصلية لمواد اللغة العربية، بُغْية الوقوف على نسج الكلمة العـربية. وقـد رحب بهذه الفكرة واستحسنها، وبدأ بالتخطيط لها وتنفيذها في النصف الأول من عام ١٩٧١م، وكان من ثمرة ذلك صدور الدراسة الإحصائية للجذور الثلاثية وغير الثلاثية لمعجم الصحاح، للجوهري (٣٢٤هـ)[٥] .

أمـا خطـوات العمل في هذا الإحصاء فتوزعت على ثلاث مراحل : الأولـى إدخـال المـواد اللغوية في ذاكرة الكمبيوتر، والثانية وضع برنامج له بإحدى لغات الكمبيوتر، والثالثة التنفيذ الفعلي لهذا البرنامج[٦] .

وجـاءت نـتائج هذه الدراسة في صورة جداول إحصائية لجذور اللغة، وحروفها، وتتابع أصواتها، وخصائص حروفها، مقرونةً بدراسة تحليلية موجزة عن التفسير اللغوي لما ورد بتلك الجداول[٧] .

واسـتقبل الباحثون والعلماء هذا العمل العلمي بقبول حسن، رغم وجود فـئة حاولـت أن تُشَكِّك وتُهَوِّن من جدوى هذه الدراسة، وفائدتها على الدرس اللغوي[٨] .

وممـا لاشـك فـيه أن اللغـة العربية بعلومها المختلفة، كالأصوات، والـبلاغة، والعـروض والقافـية، أفادت أيما فائدة من نتائج هذه الإحصائيات الدقيقة.

وتـــبع ذلك صدور دراسة ثانية لإحصاء جذور معجم لسان العرب لابن منظور (٧١١هـــ)، وكان هذا عام ١٩٧٢م، ودراسة ثالثة لإحصاء جذور معجم تاج العروس للزُبيدي (١٢٠٥هـــ)، واشترك في هذا العمل الأخير الدكتور عبد الصبور شاهين، وكان هذا عام ١٩٧٣م .

وقـــد صـــدرت هذه الأعمال جميعها عن جامعة الكويت، وكانت بحق ابتكاراً جديداً لم يسبق إليه من قبل، بل هي المرة الأولى في العالم العربي التي تجري فيها هذه الإحصائيات على أسس علمية حديثة ودقيقة .

كمـــا تَـــمَّ – ربما لأول مرة أيضاً – تعاون الفيزيائيين واللغويين حول إحـــصاء كلمات اللغة العربية الواردة في أشهر المعاجم اللغوية، وتحليل ما نتج عـــن ذلك من جداول تحليلاً لغوياً قوامه استخراج مادة اللغة (جذورها)، سواء كانـــت ثلاثية أو رباعية أو خماسية، وتردد الحروف، وتتابعها، ومقارنة نتائج هذه المعاجم الثلاثة بعضها ببعض [9] .

ويذكر الدكتور علي حلمي موسى أنه بدأ عام ١٩٧٤م بالبحث في ألفاظ القرآن الكريم بقصد حصرها، ومن ثمَّ تحليلها ومقارنتها بألفاظ معجم الصحاح، كمـــا أنـــه أخـــذ بالبحث عن دراسة العلاقة بين الحروف والحركات في القرآن الكريم، ومقارنة السُور المكية بالسُور المدنية، مستعيناً في ذلك بالآلات الحاسبة الإلكتـــرونية، ومـــشيراً في هذا الصدد إلى أنه قَدَّم أجزاء من هذه البحوث في مؤتمرات علمية عالمية[١٠] .

ولعلـــي لا أبالغ في القول بأن هذا التوجُه في الفكر العربي المعاصر قد فـــتح الباب واسعاً للباحثين في الدراسات اللغوية والأدبية للولوج من خلاله إلى عالم الكمبيوتر، وتسخيره لخدمة البحث اللغوي والأدبي.

وأقــرب مــثال لهذا ما قامت به الباحثة -آنذاك- وفاء محمد كامل في رســالتها للماجــستير عــن كعب بن زهير بن أبي سلمى - دراسة لغوية، من الاســتعانة بالحاســوب في دراسة شعر هذا الشاعر، وذلك للمرة الأولى - كما يذكر الدكتور حسين نصار - في الدراسات اللغوية في مصر[١١] .

وهكــذا كان حقل الإحصاء اللغوي هو الميدان الأول لتطبيق اللسانيات الحاسوبية على اللغة العربية .

لقد كانت هذه الإرهاصات بداية لظهور فرع جديد من فروع علم اللغة، يطلــق عليه (علم اللغة الحسابي) أو (اللسانيات الحاسوبية) Computational Lingustics أو (اللسانيات الإعلامية) .

وإذا أردنــا تعــريف هذا العلم بشكل مختصر قلنا إنه العلم الذي يبحث «فــي اللغــة البشرية كأداة طيِّعة لمعالجتها في الآلة (الحاسبات الإلكترونية = الكمبيوتــر)، وتــتألف مــبادئ هذا العلم من اللسانيات العامة بجميع مستوياتها التحليلــية : الــصوتية، والــنحوية، والدلالية، ومن علم الحاسبات الإلكترونية (الكمبيوتــر)، ومــن علــم الــذكاء الاصــطناعي، وعلــم المــنطق، ثم علم الرياضيات » [١٢] .

وكانــت البداية الحقيقية لهذا العلم لدى الغرب قد جاءت بعد بزوغ فجر النظــرية التوليدية التحويلية، حيث قامت بتطبيق الأسس والمعادلات الرياضية علــى التحليل اللغوي، ومن ثَمَّ صياغة اللغة صياغة رياضية من أجل برمجتها في الحاسوب، وذلك بغرض استنباط قواعد مقننة ودقيقة . وإن كان هذا لا يمنع مــن القــول إن المدرسة البنيوية قد مهدت الطريق أمام العلماء لربط الدراسات اللغــوية بالحاســوب، لكنها لم تستطع بعد ذلك تطوير أفكارها لتساير ذلك المدّ التكنولوجي المتنامي .

وتقوم اللسانيات الحاسوبية على جانبين رئيسين هما : الجانب النظري، والجانـب التطبيقي. فأما الجانب الأول (النظري) فيبحث «في الإطار النظري العميق الذي به يمكننا أن نفترض كيف يعمل الدماغ الإلكتروني لحل المشكلات اللغـوية»(١٣)، وأما الجانب الآخر (التطبيقي) فهو يُعنَى « بالناتج العملي لنمذجة الاستعمال الإنساني للغة... وإنتاج برامج ذات معرفة باللغة الإنسانية » (١٤) .

والواقع أن جهود العلماء العرب المعاصرين والمؤسسات العلمية في هذه المجـال يمكن نظم عقدها في أربعة صور: الأولى تتمثل في مؤلفات خُصِّصت للعـربية والحاسـوب، أو الحاسوب والعربية، وجاءت الثانية على هيئة مقالات وبحـوث نشرت في المجلات والدوريات العلمية، أو ضمن أعمال المؤتمرات، ووقائع الندوات والملتقيات العلمية، أما الثالثة فكانت خاصة بالبرامج والنظم التي وضعت لحوسبة العربية، أو لعوربة الحاسوب، سواء ما كان منها فردياً محضاً، أو نتاجاً مشتركاً، أو عملاً تجارياً عاماً .وأما الصورة الرابعة فتمثلت في إنشاء بعـض الكليات الجامعية قسماً خاصاً لعلم اللغة الحاسوبي، كما هي الحال في جامعـة الأميـر سلطان الأهلية بالرياض (المملكة العربية السعودية). وسوف نعـرض بالتفـصيل لكـل ذلك ما أمكننا، في إطار الهدف الموضوع والخطة المرسومة لهذه الدراسة .

وإذا أردنـا عـرض مراحل التطور لعلم اللغة الحاسوبي في الدراسات العـربية المعاصـرة أمكن القول بأن كتاب الدكتور نبيل علي(*) (اللغة العربية والحاسـوب) يُعَدُّ أول مؤلَّف يتناول موضوع اللسانيات الحاسوبية مطبقةً على أنظمـة اللغة العربية، صوتاً، وصرفاً، ونحواً، ومعجماً، مع المعالجة الآلية لهذه النظم اللغوية جميعها .

وكــان تــأريخ صدوره لأول مرة سنة ١٩٨٨م[١٥]. وقد حالف التوفيق المؤلف في كثير من القضايا المتصلة بالحاسوب واللغة، وذلك حينما انطلق في عملـــه هذا من وضع دراسات تقابلية بين العربية والإنجليزية شاملة لكل النظم اللغــوية، بالنظـــر إلـــى أن الإنجليـــزية هي اللغة الأم لتقنيات نظم الحاسوب والمعلـــومات، وهـــذا ما نتج عنه معرفة أوجه الاختلاف والاتفاق بين اللغتين، وكـــان هـــذا الـــنهج بمثابة الأرض الصُّلْبة والقاعدة المتينة التي هيأت للمؤلِّف منهجـــية وموضوعية، ومكَّنته من الإسهام الإيجابي في جهود تعريب الحاسوب من جهة، والمعالجة الآلية للغة العربية من جهة أخرى .

إن هـــذا الكـــتاب يمثل – في نظري – حجر الزاوية في مسيرة البحث اللغوي العربي في اللسانيات الحاسوبية، بل إنه كما وصفه الدكتور نهاد الموسى – بحـــق – «خطـــوة واسعة واثقة، تنتظم مشروعاً مستوعباً لتأسيس اللسانيات الحاسوبية في العربية، على أساس نظري وتطبيقي في آن واحد معاً»[١٦] .

صـــحيح أنه لم يستوعب جميع قضايا اللغة من باستعمال الحاسوب، إلا أن هـــذا أمر متوقع فيمن يفتتح التصنيف، أو يرد الطريق لأول مرة في أي فن غالبا .

وبعـــد نشر هذا الكتاب بسنوات ثمان – أي سنة ١٩٩٦م – صدر كتاب الدكـــتور عـــبد ذياب العجيلي (الحاسوب واللغة العربية)[١٧]، وهو – كما يقول الدكتور نهاد الموسى – : «خطوة جزئية إيجابية نحو معالجة مسائل متنوعة من العـــربية بلغة برولوج Prolog. وهو يمثل جهداً حميداً في هذا الاتجاه البيني (اللسانيات العربية الحاسوبية)»[١٨] .

وآخر هذه المؤلفات في اللسانيات الحاسوبية – فيما أعلم – كتاب الدكتور نهاد الموسى (العربية – نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية)، الذي صدر سنة ٢٠٠٠م[١٩] .

ويُعَدُّ هذا الكتاب أول مؤلَّف في هذا العلم اللغوي الحديث يصدر عن متخصص في اللغة العربية وعلومها – حسب علمي –، ولذا فهو يمثل فيما أرى نقلةً نوعية في توظيف اللسانيات الحاسوبية لخدمة علوم اللسانيات العربية.

والكتاب – كما يذكر مؤلفه – «محاولة في الانتقال من وصف العربية إلى توصيفها، وذلك في ضوء الأطروحة العامة للسانيات الحاسوبية»[٢٠] .

وقد اشتمل الكتاب على رؤى حاسوبية حاول المؤلف إسقاطها على أنظمة العربية، وخاصة النحو (الإعراب)، والصرف (البنية)، والمعجم، إضافة إلى التصويب اللغوي (الأخطاء النحوية، والصرفية، والإملائية) .

إن هذه الجهود التي تمت ضمن هذا الإطار كانت – كما يلاحظ – فردية الطابع، لكن ذلك لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما أصبحت متعددة الأطراف، بعد أن احتضنتها المراكز والمعاهد التقنية، والجمعيات الحاسوبية في الوطن العربي وخارجه، والمؤسسات والشركات التجارية المحلية والعالمية، وذلك عقب حدوث ثورة المعلوماتية (Infomatization)، والتفجر المعرفي في عالم اليوم، وشعور الجميع أفراداً وجماعات بأنهم أمام تحدٍّ حضاري كبير، وإيمانهم بضرورة نقل هذا الصراع العلمي الثقافي – إن صح التعبير – إلى حوار منهجي وتكامل معرفي، يؤدي في نهاية المطاف إلى ردم الهوَّة، أو تقليص مسافة الفجوة – على أقل تقدير – بين الغرب والشرق العربي، وذلك ما سينتج عنه تصحيح لتلك المفاهيم الخاطئة، والتصورات المغرقة في التشاؤم، عن

العلاقة بين اللغة العربية والحاسوب، ومن ثم بلورة صياغة لغوية تقنية لاستخدام الحاسوب وتوظيفه في خدمة علوم العربية .

أما البحوث والمقالات الخاصة باللسانيات الحاسوبية، فمنها ما نشر في مجـلات علمية، ومنها ما أُلقي أو قُدِّم في الندوات والمؤتمرات التي خُصِّصت أصـلاً للغـويات الحاسـوبية، أو اللسانيات التطبيقية، أو لتكنولوجيا الحاسوب ومجـالات استخدامه في العلوم الإنسانية، ثم نشرت هذه البحوث ضمن أعمال تلك المؤتمرات والندوات(٢١) .

وتلك البحوث من الكثرة بمكان، بحيث يصعب – بل يستحيل – حصرها فـي بحث كهذا، وقد كفانا شيئاً من مؤونة ذلك الدكتور نهاد الموسى ؛ إذ أورد في أدبيات كتابه السابق ذكره طائفة من تلك الأعمال العلمية(٢٢)، وكان عمله في ذلـك أشـبه بكتابة تقارير علمية، ومراجعات نقدية، لما قُدِّم في تلك المؤتمرات والندوات العلمية من أبحاث أو ورقات عمل .

والجدير ذكره في هذا المقام أن هذه البحوث والمقالات قد أضحت تمثل تياراً واضحاً في الجهود اللسانية الحاسوبية، وهذا ما جعل كلاًّ من الدكتور وليد العناتي وزميله الدكتور خالد الجبر، من جامعة البترا الأهلية (الأردن)، يقومان بوضـع دلـيل بيبليوغرافـي لها أسمياه (دليل الباحث إلى اللسانيات الحاسوبية العربية)(٢٣)، حاولا فيه أن يستقصيا جميع ما وقفا عليه من أعمال علمية تنتظم فـي هذا الميدان. وبلا شك فإن هذا الكتاب سَيَسُدُّ – بعد صدوره إن شاء الله – ثغرة واضحة في المكتبة اللغوية بعامة، واللسانيات الحاسوبية بخاصة.

وقـبل أن أبـدأ الحـديث عن الصورة الثانية من صور جهود العرب المعاصـرين في ميدان اللسانيات الحاسوبية، يجدر بي أن أثبت حقيقة تأريخية، وهـي أن بحوث الدكتور إبراهيم أنيس التي كتبها بآخرة من العمر، تُعَدُّ – فيما

أعلم – من أوائل الأعمال التي وجهت الأنظار إلى الاستعانة بتقنية الحاسوب، وتوظيفها لخدمة البحث اللغوي[٢٤]. ليس هذا فحسب، بل إنه (يرحمه الله) دلف بنفسه إلى هذا الميدان واستثمر نتائج تلك الجداول الإحصائية اللغوية التي كان يخرجها له الكمبيوتر الموجود بمعهد الإحصاء -آنذاك - جامعة القاهرة لصالح تفسير إحدى الظواهر اللغوية، وهي ظاهرة القلب المكاني[٢٥]، وهذه سابقة علمية في مجال اللغة تُحسب للدكتور أنيس، وتُذكر له في مضمار الحاسوب واللغة، أو اللسانيات الحاسوبية العربية .

وباستعراض سريع لتلك البحوث نجد أنها كُتبت بالعربية، والإنجليزية – أيضاً –، وجاءت عناوينها شاملة للمستويات اللغوية كافةً، أصواتاً، وتراكيبَ، وبنيةً، ودلالة، ومعجماً، ولبعض قضايا اللغة من المنظور الحاسوبي، كالترجمة الآلية، وبنوك المصطلحات، وتعليم اللغات، والذكاء الاصطناعي .

أما أصحابها فنجد أن جُلَّهم من اللغويين الأكثر حضوراً وفاعليةً على الساحة اللغوية، من أمثال الدكتور محمد الحناش (المغرب)، والدكتور محمود إسماعيل صيني (السعودية)، والأستاذ أحمد الأخضر غزال (المغرب)، والدكتور عبد القادر الفاسي الفهري (المغرب)، والدكتور مازن الوعر (سورية)، والدكتور محمود فهمي حجازي (مصر)، والدكتور عبد الرحمن الحاج صالح (الجزائر)، والدكتور سالم الغزالي (تونس)، والدكتور داود عبده (الأردن)، وبعضهم من المتخصصين في الحاسوب أو الهندسة الحاسوبية، كالدكتور يحيى هلال (المغرب)، والدكتور محمد مراياتي (سوريا)، والدكتور نبيل علي (مصر)، والدكتورة نادية حجازي (مصر). ويلاحظ على أغلب هذه البحوث أنها انتقلت باللسانيات الحاسوبية من مجالها النظري أو التنظيري إلى الجانب التطبيقي، وهو تطور إيجابي يُحسب لأصحاب هذا الاتجاه .

ومــن المعروف أن الجانب التطبيقي – وهو الجانب الأهم في اللغويات الحاسوبية – يتمثل في تسخير العقل الإلكتروني لحل القضايا اللغوية، وهنا يبرز الدور الرئيس والأثر الفاعل لالتقاء اللغويين والحاسوبيين، والتعاون فيما بينهم، ومــا يثمر عنه من نتائج تسهم إلى حد كبير في تذليل العقبات وحل المشكلات التــي تــواجه التحليل الحاسوبي للغة العربية، هذه العقبات والمشكلات بعضها يتصل بطبيعة اللغة العربية، أصواتاً، وبنيةً، وتركيباً، ودلالة، ومعجماً، وبعضها يـتعلق بــنظام الكتابة العربية، وبعضها يتصل بالمصطلح العلمي التكنولوجي للـسانيات العــربية، كما أن هناك مشكلات أخرى تتعلق بالبرمجيات، إعداداً، واختياراً للمادة اللغوية العربية (أنموذج لساني عربي)، وتعريباً للبرمجة. وثالث هــذه المــشاكل يكمن في الجهاز الحاسوبي (الكمبيوتر)، وأنظمة تمثيل المعرفة على الحاسوب باللغة العربية .

وقــد بُذلت جهود كبيرة من الأطراف المعنية كافة بهذه القضية للتغلب علــى تلــك الإشــكالات، ومن ذلك ما قدمه الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح (الجزائر) من تصور حول وضع أنموذج لساني للعلاج الآلي للغة العربية، وما طــرحه الدكتور محمد عبد المنعم حشيش (مصر) من تصميم قاعدة للمعلومات بغــرض تغطية الثروة اللفظية للغة العربية، والمشروع الذي تبنته مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية (الرياض) حول إنشاء وتطوير بنك آلي للمصطلحات أطلــق علــيه (باسم)، وما وضعه الأستاذ أحمد الأخضر غزال (المغرب) من تــصميم طــريقة تكنولوجــية آلية لتعريب الحاسوب، ووضع اللغة العربية في الحاســوبات الإلكترونية وفق هويتها وخصوصية ومارفهما ورسومها، وتعرف اختصاراً بمجموعة (العمم – شع)(*) .

إن معالجـــة اللغة العربية حاسوبياً أصبحت اليوم أمراً لا حيدة عنه ولا مفرّ منه، وخاصة أن استثمار الدراسة الحاسوبية والمعلوماتية – بصفة عامة – يحقــق نـــتائج كبيـــرة للغـــة العربية، في مجال التعريب، والإحصاء اللغوي، والمعالجة الآلية، وتعلم اللغات، والترجمة الآلية، وفي مجال التربية والتعليم .

ففـــي مجال التعريب، ونعني به هنا تعريب الحاسوب من حيث أنظمته وبـــرامجه ومـــصطلحاته، فقـــد اتجهـــت جهود التعريب فيه إلى إعداد أنظمة وتصميمها لكي تكون قادرة على العمل باللغة العربية بدلاً من اللغة الإنجليزية، إضـــافة إلـــى إصدار المؤلفات الخاصة بعلوم الحاسبات وتقنيتها باللغة العربية، وترجمة ما كان مؤلفاً بغير العربية .

ولعـــل من أهم الإنجازات في هذا المجال ما قامت به الشركات العربية والأجنبـــية العاملـــة في مجال الحاسوبات، كالشركة العالمية للبرامج (صخر)، وشـــركة (آي. بـــي. إم)، والجريسي للتقنية، من تطوير الحواسيب الشخصية (PC) باللغـــة العربية، ووضع معالج النصوص(*) (عربستار ٢٠٠١) بالعربية أيضاً، وتعريب نظام قواعد المعلومات الخاص بتخزين المعلومات واسترجاعها، وتعريب البرامج اللاتينية...إلخ، علاوة على الهيئات العلمية العربية، كالمنظمة العـــربية للتـــربية والثقافة والعلوم (الأليكسو)، ومعهد الكويت للأبحاث العلمية، ومعهـــد الدراسات الإحصائية بجامعة القاهرة، ومعهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر، ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالمغرب...إلخ(٢٦) .

أما مصطلحات الحاسوب – وهي مسألة لا تقل أهمية عن سابقتها – فقد أســـهم فـــيها الأفـــراد، والمؤســـسات، والشركات .وقد طُرحت في هذا المقام اقتـــراحات عدة من قبل خبراء الحاسوبيات، وكذلك اللغويين(٢٧)، وقام عدد من المتخصـــصين فـــي المدرســـة الوطنـــية للمهندســـين بجامعـــة تونس بتعريب

المصطلحات الخاصة بالحاسوبات الصغروية[٢٨]، كما قامت بعض المؤسسات العلمية، كمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية (الرياض)، ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب (الرباط)، ومجمع اللغة العربية الأردني، والمعهد القومي للمواصفات والملكية الصناعية بتونس، بإنشاء بنوك للمصطلحات، تهدف إلى توفير المصطلحات المعرَّبة وتوثيقها، وتنميطها وتقييسها وتوحيدها[٢٩] .

والواقع أن موضوع التعريب والمصطلح كان وما زال من أهم القضايا التي تشغل الأمة العربية وحضارتها المعاصرة، ورغم ما بذل من جهود في هذا الإطار فإن النتائج لم تكن على مستوى التقدم التقني الهائل في عصر المعلوماتية والعولمة !!.

أما في مجال الإحصاء اللغوي – وهو كما سبق الميدان الأول لتطبيق استخدام الحاسوب في البحث اللغوي العربي المعاصر – فلا يخفى أن استخدام الإحصاء الرياضي في اللغة يحقق تقييماً كمياً «لبعض الخواص النوعية للغة، كمعدلات استخدام الحروف، والكلمات، والصيغ الصرفية، والموازين الشعرية، وأنواع الأساليب النحوية، أو التوزيع النسبي للأفعال المعتلة والصحيحة، أو للإفراد والتثنية والجمع، أو لحالات الإعراب المختلفة» [٣٠]. كما يحقق توصيفاً كمياً لبعض العلاقات اللغوية، كالعلاقة بين طول جذر الكلمة وعدد مرات تكراره، والعلاقة بين طول الكلمة ومعدل استخدامها داخل النصوص .

ويقوم الإحصاء بتفسير بعض الظواهر اللغوية وتحليلها[٣١]. ليس هذا فحسب، بل هناك «إحصاء جديد يستطيع أن يتعامل مع البنية المعقدة للسياق اللغوي، حتى يكشف لنا عن علاقات الترابط والتماسك بين فقراته وجمله وألفاظه، وتلك التي تربط بين ظاهر العبارات وما تبطنه من معان وإشارات» [٣٢] .

ومـن المـشاريع العلمية القيمة في هذا المجال - بالإضافة إلى ما ذكر سابقاً - ما قام به كل من الدكتور يحيى مير علم، والدكتور محمد حسان الطيان والأستاذ مـروان البواب (سورية)، تحت إشراف الدكتور محمد مراياتي، من دراسـات إحـصائية لـدوران الحروف في الجذور العربية، وللمعجم العربي، ولـدوران الحـروف العـربية المـشكولة، ولحروف اللغة العربية[٣٣]. وهناك دراسـات إحـصائية أخرى صدرت باللغة الإنجليزية في الجامعات الأمريكية والأوروبـية لجـوانب لغـوية مـتعددة، كالأصوات، والصرف، والنحو للغة العربية[٣٤] .

أمـا فـي مجـال المعالجـة الآلية(*) للغة العربية، فقد شملت الجهود مـستويات اللغـة كافة، كالمستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، والدلالي، يضاف إليها الترجمة الآلية، والكتابة العربية .

فالمـستوى الـصوتي تمت معالجته آلياً بوساطة تحليل طيف الصوت، وتوليد (إنتاج) الكلام، وتخزين الأنماط الصوتية للشخص المتكلم. وتبعاً لهذا تمَّ تـصميم أجهـزة تخلـيق الكـلام وتحليله، وتوليد الكلام المنطوق آلياً بتحويل النـصوص المدخلـة في جهاز الحاسوب إلى مقابلها الصوتي، وعلاج عيوب النطق.

وقـد أنجـزت دراساتٌ عدة في هذا المجال، من بينها دراسة الدكتور منـصور الغامـدي (السعودية) عن الإدراك الآلي للتضعيف[٣٥]، وهي محاولة لكيفـية حـل مشكلة التفريق بين الأصوات اللغوية الطويلة والقصيرة في اللغة العربية، قد تعين مبرمجي الحاسوب على الإدراك الآلي للأصوات اللغوية. كما تأتـي دراسـة الدكـتور محمـد مرياتـي (معالجة الكلام - تطبيق على اللغة العربية)[٣٦] ضمن هذا التوجُه في تمثيل النظام الصوتي للغة العربية آلياً. ويلحق

بهـذه الدراسـات أيضاً ما كتبه الدكتور سالم غزالي عن (المعالجة الآلية للكلام المنطوق، التعرف والتأليف)[٣٧] .

ويـوجد ببعض الجامعات العربية، والمعاهد العلمية، والمؤسسات التقنية أقـسام خاصـة للصوتيات، أو مراكز للسمع والنطق، أو معالجة الكلام، تجري فـيها أبحـاث صـوتية تعتمد في المقام الأول على أجهزة الحاسوب، ويتولى الإشـراف عليها أساتذة متخصصون في علم الأصوات، كالدكتور محمد صالح الـضالع (جامعـة الإسـكندرية)، والدكتور سمير استيتية (مدير مركز السمع والـنطق بجامعـة اليرموك)، والدكتور سالم غزالي (مدير مخبر معالجة الكلام العربي بالمعهد الإقليمي لعلوم الإعلامية والاتصال عن بُعْد I.R.S.I.T. بتونس) والدكـتور منـصور الغامـدي بمركز علوم وتقنية الأصوات بمدينة الملك عبد العزيـز للعلـوم والتقنية، والدكتور محمد صالح بن عمر (معهد بورقيبة للغات الحـية بـتونس)، والدكـتورة تغريد السيد عنبر[*] (كلية الألسن بجامعة عين شمس)، والدكتور سلمان العاني (جامعة انديانا) .

وهـناك إنجـازات أخرى صدرت باللغة الإنجليزية عن معالجة الكلام العربي آلياً[٣٨]، ومع كل ما ذكر من جهود فما زال العمل في هذا المجال ينتظر بذل المزيد من الجهود، لا على مستوى الأفراد بل على مستوى الفريق البحثي المتكامل «نظراً للطبيعة الخاصة لمعالجة الكلام الآلي»[٣٩] .

أمـا في المستوى الصرفي، فقد تمت المعالجة الآلية له في ضوء أهمية الصرف العربي بالنسبة لنظام اللغة ككل. وقد تناولت هذه المعالجة الآلية بعض جـوانب الصرف العربي، كالخاصية الثلاثية للجذور العربية، وأصل الاشتقاق، والأنمـاط الـصرفية، وثنائية الصيغة الصرفية والميزان الصرفي، والإنتاجية الصرفية، والفائض الصرفي، واللبس الصرفي[٤٠] ... إلخ .

وفـــي هـــذا الصدد قَدَّم الدكتور نبيل علي إطاراً عاماً لمعالجة الصرف العربـــي آلـــياً، وأورد عدة نماذج للتحليل الصرفي الآلي بوجه عام، مبيناً مدى ملائمتها لمطالب الصرف العربي. وتبعاً لهذا قام بعرض نموذج وضعه لمعالجة الكلمـــات العـــربية صـــرفياً في أطوار التشكيل المختلفة، وهو نموذج التحليل بالتـــركيب، وأطلق عليه اسم (المعالج الصرفي المتعدد الأطوار). ويشتمل هذا النموذج المبتكر على عناصر أربعة هي : المعالج الصرف – نحوي، والمعالج الاشتقاقي، والمعالج الإعرابي، ومعالج التشكيل(٤١) .

ويذكـــر صـــاحب هذا النموذج أنه قام بمعاونة إحدى المتخصصات في اللـــسانيات الحاســـوبية (أمل الشامي) بتطوير هذا المعالج الصرفي على ضوء أصـــول الـــصرف العربـــي وخصائصه المميزة، وعمد بعد ذلك إلى إخضاعه لاختـــبارٍ قـــاسٍ في مجالين اثنين هما : تحليل النص القرآني كاملاً، مع إعادة تولـــيده آلياً، ومفردات المعجم الوسيط، وبعد اجتيازه هذا الاختبار بنجاح – كما يقـــول – تـــم اســـتخدامه فـــي عدة تطبيقات أساسية، شملت ضغط النصوص، واســـترجاعها، واكتشاف الأخطاء الإملائية، وتحليل النصوص صرفياً، وميكنة المعجم العربي، مع دمج هذه التطبيقات في قاعدة للنصوص العربية الكاملة .

وقـــد أســـهمت إدارة البحوث والتطوير بشركة العالمية للبرامج في هذا الـــنموذج التطويري للمعالج الصرفي، وتُعَدُّ موسوعة الحديث الشريف – وهي من إنتاج هذه الشركة – من أهم أنظمة استرجاع النصوص التي استخدمت تقنية التحليل الصرفي(٤٢) .

ولـــيس هـــذا هو الأنموذج الأوحد أو المحاولة الأولى لتطوير نظام آلي للتحليل والتركيب الصرفيين، بل هناك نماذج ومحاولات أخرى، قدمها على حدة كـــل من الدكتور يحيى هلال(٤٣)، والدكتوراة نادية حجازي بالاشتراك مع عبد

الفـــتاح الـــشرقاوي[٤٤]، والدكتور مأمون الخطاب بالاشتراك مع الدكتور حسان عبد المنان[٤٥] ... إلخ .

وبطبـــيعة الحـــال كانت هناك إشكالات كثيرة واجهت معالجة الصرف العربي آلياً، جُلُّها يندرج تحت طبيعة الصرف العربي[٤٦]، وفي مقابل ذلك أمكن الـــتغلب على تلك المصاعب، وإجراء عمليتي التوليد والتحليل الصرفيين الآليين ضمن الإطار العام للمعالجة الآلية للصرف العربي[٤٧] .

وقـــد أنجز العديد من الدراسات المعالجة للصرف العربي آلياً، كما هو الـــشأن في النماذج السابقة، وقريباً منه ما قدمه الدكتور نهاد الموسى في كتابه (العربية...)[٤٨]، وكذلك دراسة الأستاذ مروان البواب وزملائه عن نظام اشتقاق الكلمة العربية بالحاسوب[٤٩] .

أمـــا المستوى النحوي فتمت معالجته آلياً بوساطة تشخيص أزمة النحو العربـــي أولاً، ثم إدراك خصائص هذا النحو وتحديد أنسب النماذج النحوية التي تـــتلاءم مع هذه الخصائص ثانياً، والكشف عن موقع هذا النحو بإزاء النظريات النحوية الحديثة ثالثاً، وخاصة نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية. وتبعاً لذلك جـــاءت معالجة النحو العربي آلياً ذات جانبين: أحدهما تحليلي، والآخر توليدي. فعلـــى الجانـــب الأول يقوم المحلل النحوي الآلي بتفكيك الجملة إلى عناصرها الأولـــية (أي تحليلها إعرابياً)، واستظهار العلاقات النحوية المختلفة .أما على الجانب الآخر فيقوم المولد النحوي بتكوين الجمل على صورتها الأصلية، وبعد ذلـــك تُجـــرى علـــيها عمليات التحويل النحوي المختلفة، كالحذف والإضمار، والتقديم والتأخير[٥٠] ... إلخ .

والجهـــود فـــي هـــذا المجال كثيرة على المستويين النظري والتطبيقي، فـــنجدها – على سبيل المثال لا الحصر – في بحث الدكتور عبد الرحمن الحاج

صـالح عن (منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي)[٥١]، وبحث الدكتور نبيل علـي عن (الحاسوب والنحو العربي)[٥٢]، وهو بحث لا يكاد يخرج عما أورده في كتابه (اللغة العربية والحاسوب) .

ويضاف إلى هذه الأعمال العلمية في ميدان المعالجة الآلية للنحو العربي بحـثٌ للدكـتور مازن الوعر بعنوان (التوليد الصوتي والنحوي والدلالي لصيغ المبني للمجهول في اللغة العربية – معالجة لسانية حاسوبية)[٥٣]، وكذا ما أورده الدكـتور نهـاد الموسـى عـن تمشـيل النظم، وتمثيل الإعراب، ضمن كتابه (العـربية...)[٥٤]، كما أقيمت دراسات متعددة للمعالجة الآلية في ترتيب عناصر الجملـة العـربية باسـتخدام بـرامج ذات شبكات موسعة، ومن أبرزها نظام المعمدني، ونظام بن حماد وسعيدي، ومحاولة الدقاشي[٥٥].

ويذكر الدكتور نبيل علي في معرض تناوله للعناصر الأساسية المكونة للمعالج النحوي الآلي متعدد الأطوار للجمل العربية المكتوبة، أنه بصدد تطوير معـالج آلـي للنحو العربي، يقوم بالمهمة الأساسية للتحليل النحوي الآلي وهي توفير المعطيات اللازمة للتحليل اللغوي الأعمق، التي تتمثل في المصحِّح الآلي للأخطاء النحوية، والتخاطب مع قواعد البيانات باللغة الطبيعية، والترجمة الآلية مـن وإلـى العربية، وتعليم النحو بواسطة الحاسوب، وإعراب الجملة العربية آلـياً[٥٦]. وهـذه – على وجه العموم – هي جملة ما تفيده العربية (النحو) من استخدام المعالج النحوي .

أمـا المـستوى المعجمـي فمساحة استفادته من الحاسوب واسعة جداً، وبسبب من هذا ظهر ما يسمى بالمعاجم الحاسوبية أو المعاجم الآلية، بل إنه بدأ يأخذ بالبروز بوصفه علماً مستقلاً، أو فرعاً من فروع علم اللغة الحاسوبي يطلق علـيه علم المعجم الحاسوبي (MRD) Machine Readable Dictionary

وبظهـــوره بدأت الصناعة المعجمية تتحول من المعاجم اليدوية أو الورقية إلى المعاجم الآلية أو الإلكترونية .

والمعجـــم الحاسوبي قطاع عام يضم معاجم لا حصر لها، سواء أكانت هـــذه المعـــاجم للناطقين بالعربية، أم معاجم للمصطلحات العلمية، أم معاجم من أنواع خاصة، أم معاجم مفهرسة(*)، أم معاجم نصية... إلخ. ويتميز هذا المعجم بميـــزات هائلة لا تتوافر في المعاجم التقليدية، كالشمول، والانتظام، والاطراد، والدقة والوضوح، والقابلية للتوسع والتعديل[٥٧] .

ونظـــراً للقـــضايا الشائكة التي تحيط بهذا النوع من المعجم، من حيث مستوياته، وحقله المعجمي، ومحتوياته، فقد عقدت له ندوة خاصة نظمتها مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة (المغرب) عام ١٩٩٥م، وكان عنوانها (التقنيات الحاســـوبية في خدمة المصطلح العلمي والمعجم المختص)[٥٨]. كما خُصص له جلسة نقاش بعنوان (بناء المعجم حاسوبياً) ضمن ندوة استخدام اللغة العربية في تقنـــية المعلومات[٥٩]، ولا تكاد تخلو ندوة من الندوات أو مؤتمر من المؤتمرات في مجال اللسانيات الحاسوبية من بحوث عن المعاجم الآلية .

ويقـــف الدكـــتور محمد الحناش (المغرب) في صدارة اللغويين العرب المعاصرين الذين يولون المعجم الحاسوبي عناية خاصة، وجهداً كبيراً. وقد تمثل هـــذا فـــي دراساته المتعددة عن بناء المعاجم الآلية في اللغة العربية، والمعجم الإلكترونـــي، والمعجم التركيبي للغة العربية[٦٠] ...إلخ. وهو صاحب مشروع علمـــي كبيـــر عمـــل عليه لسنوات طويلة من البحث اللساني الحاسوبي، تُوِّج بإصداره كتاب (المعجم التركيبي للغة العربية – مقدمات في المعالجة الحاسوبية للغات الطبيعية)[٦١] .

وأسـهم في هذا الإطار نظرياً كل من الدكتور نهاد الموسى، والدكتور أحمـد مختار عمر، والدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، بما كتبوه من بحوث عن حوسبة المعجم العربي، كما أسهم فيه عملياً الدكتور محمد مراياتي وزملاؤه بوساطة نظام خبير للغة العربية(٦٢) .

ومـن المـشاريع العلمية ضمن هذا التوجه أيضاً ما قام به معهد اللغة العربية بجامعة الملك سعود بالرياض (السعودية) من إصدار المكنـز Corpus الوجيـز (معجـم فـي المترادف والمتوارد)، ومعجم التعبيرات الاصطلاحية، بإشراف – الدكتور محمود إسماعيل صيني(٦٣) .

وهناك جهود أخرى تبذل لميكنة المعجم العربي من قبل المراكز العلمية والمؤسـسات الـتجارية، كمـا هي الحال في مشروع الشركة العالمية للبرامج (صـخر) بالكـويت، ومشروع الشركة العالمية لبرامج الحاسوب بالقاهرة عن المكنز الآلي أو قاعدة بيانات المادة المعجمية العربية، ومشروع المركز العلمي لشركة آي.بي.إم بالقاهرة لتطوير قاعدة بيانات معجمية(٦٤) ... إلخ .

وينبغـي أن أشير هنا إلى أن استخدام الحاسوب في الصناعة المعجمية، رغم كل تلك الميزات والإيجابيات التي تتحقق للمعجم ومستخدميه، هناك بعض الـسلبيات التـي تنتج عنه جراء ذلك، لعل من أبرزها التكاليف المادية الباهظة التـي يتطلـبها هـذا النوع من المعاجم، وما يقتضيه من مهارات خاصة قد لا تتوافر لكثير من مستخدميه(٦٥) .

على أن ذلك بطبيعة الحال لا يمكن أن يقلل من هذا التوجه المعاصر في حوسـبة المعجـم العربي، ولا ريب أن صياغته وفق أهداف واضحة، وغايات محـددة، ومـنهج علمي، ومن ثمَّ توظيفه التوظيف الصحيح، سيحقق للعربية، والمعجمـية بـوجه خـاص مـا كانت – وما زالت – تصبو إليه من شمولية،

ومرونة، ودقة، ومعاصرة، كما سيحقق لعلمائها وباحثيها ما كانوا يظنون أنه من الأحلام والرؤى، بل المستحيل عينه .

أمـــا المـــستوى الدلالي فيعد من أعقد الأنظمة اللغوية، وأشدها تعصِّياً على جهاز الحاسوب؛ وذلك عائد إلى أن الدلالة من أقل المستويات اللغوية فيما يخص التباين اللغوي – كما يقول الدكتور نبيل علي(٦٦)، كما أنه يشيع فيها عدة ظواهـــر تُخرجها من واقع الاستخدام اللغوي وحقيقته إلى المجاز، كالاستعارة، والكناية، والتشبيه، وهذا أمر يتطلب تحديد تلك التعابير غير الحقيقية وتصنيفها دلالياً بما يساعد النظام الحاسوبي على تمثلها، ومن ثم معالجتها آلياً .

ويمـــثِّل المعنـــى مشكلة كبرى بالنسبة للنظم الآلية، فتعدد المعنى للكلمة الـــواحدة، وحـــساسية السياق في تحديد دلالة الكلمة، واختلاف الدلالة باختلاف الثقافات...، كل ذلك يجعل المعالجة الآلية للدلالة تنطوي على مفارقات يصعب بـــسببها تمثيل هذا المستوى أو توصيفه حاسوبياً، وبسبب من هذا تجاوزت أول دراســـة صـــادرة عن اللسانيات الحاسوبية العربية الحديث عن المعالجة الآلية لعنصر الدلالة في العربية !.

علـــى أن هذا لا يعني أن المعالجة الآلية لجانب الدلالة في اللغة العربية قـــد أُغفلت تماماً، بل إنه كان لها حضورها ضمن المستويات اللغوية الأخرى، كالمستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، وضمن قضايا لغوية ذات صـــلة وثقـــى بالدلالـــة، كالترجمة الآلية. وهذا ما نلمسه في الجهود التي بذلت لتغطية هذا الجانب من اللسانيات الحاسوبية، سواءً أكان ذلك في صورة بحوث نظرية، أو برامج تطبيقية .

فمن تلك البحوث ما كتبه الدكتور محمد غزالي خياط – وهو متخصص في الهندسة – عن تمثيل الدلالة الصرفية في النظم الآلية لفهم اللغة العربية(٦٧)،

وقد خصَّصه صاحبه لأوزان الأفعال في العربية، معتمداً في ذلك التمثيل الدلالي على استخدام نظم القواعد الشرطية، والجمل الإخبارية، والأنماط التقليدية، وقَدَّم في ضوء هذا طريقة مقترحة لتمثيل الدلالة الصرفية لأوزان الأفعال .

ومـــن ذلك أيضاً ما ذكره الدكتور محمد عز الدين (تونس) أثناء حديثه عـــن تصميم برنامج للترجمة الآلية أُطلق عليه (الناقل العربي)[٦٨]، من أن هذا البـــرنامج يعمل على مستويات خمسة، من ضمنها مستوى التحليل الدلالي. وقد أوضح الدكتور عز الدين أن التمثيل الدلالي للجملة في هذا البرنامج يهدف إلى تحديـــد معنـــى كـــل كلمة في الجملة حسب السياق، مستعيناً في ذلك بمعطيات معجمـــية ودلالية، وبقواميس التعبير الاصطلاحية[٦٩]. وللسيد نصر الدين السيد بحث عن التحليل الدلالي للجملة الخبرية العربية باستخدام الحاسوب[٧٠].

ومجمـــل القـــول في هذا إن المعالجة الآلية للدلالة العربية ما زالت في مـــراحلها الأولـــى، وهـــي تحتاج إلى بذل المزيد من الجهود لتصل إلى مرحلة متقدمة من مراحل التنظير والتطبيق والبرمجة .

ويفـــضي بـــنا هـــذا الأمـــر إلـــى الحـــديث عـــن التـــرجمة الآلـــية Machine Translation التـــي تعـــد من أقدم مجالات استخدام الحاسوب في اللغة .

وقـــد نـــال هـــذا الجانـــب من اللسانيات الحاسوبية العربية حيزاً كبيراً ومـــساحةً واســـعةً مـــن الجهود المبذولة، وذلك بالنظر إلى أنها الأنموذج الآلي للمنظومة اللغوية[٧١] .

وكانـــت فكرة الاستعانة بالحاسوب في الترجمة قد طرحت عام ١٩٤٩م بأمـــريكا، ثـــم تحولت إلى مشروع علمي عام ١٩٥١م في معهد ماساشوستس للتقنية (M.I.T)، وكان عام ١٩٥٤م ميلاد الترجمة الآلية الفعلي، التي سرعان

مــا انــتقل الاهــتمام بهــا إلى المراكز البحثية والجامعية في أوروبا والاتحاد السوفييتي، ودخل القطاع الخاص (التجاري) في السبعينيات منافساً لتلك المركز العلمية في العناية بالترجمة الآلية(٧٢) .

أمــا واقع الترجمة الآلية(*) في الوطن العربي فقد حدث في التسعينيات من القرن المنصرم (العشرين) تطور نوعي في مشروعات الترجمة الآلية على المستويين النظري والعملي (البرامج) .

فعلى المستوى النظري نجد طائفة من البحوث التي تعنى بهذه المسألة، ســواء أكانــت مــؤلفة أو مترجمة. وقد اقتصرت الأبحاث النظرية على تحديد الــصعوبات التــي تعترض الترجمة الآلية، وكيفية التغلب عليها، وميزات هذا النوع من الترجمات، مع ذكر عمليات هذه الترجمة وأنظمتها المختلفة(٧٣).

أما المستوى الآخر، وهو برامج الترجمة الآلية العلمية منها والتجارية، فقــد أســهمت فيها جهود ذاتية (فردية)، وشركات تجارية، منها ما هو عربي، ومنها ما هو غربي، ومنها ما هو مشترك بينهما. ومن ذلك برنامج شركة صخر المــسمى (القاموس Dictionary)، وبرنامج الناقل العربي، وبرنامج ترجمان، وبرنامج المترجم، وبرنامج عرب ترانز Arabtrans ... إلخ(٧٤). وقد بدأت هذه البرامج بالعمل الفعلي، ومازال التطوير يلاحقها يوماً بعد يوم، وتتم الترجمة فيها من الإنجليزية إلى العربية، والعكس، وهذا تطور إيجابي يعكس الرغبة في نقل الثقافة العربية إلى الآخرين، مما يعد تحولاً ذا دلالة عميقة في الانتقال بالترجمة من الاستيراد إلى التصدير، بلغة الاقتصاديين .

ومــن الملاحظ أن الترجمات الآلية كانت في بدء أمرها مقتصرة على ثنائــية اللغات، أو ما يعرف باللسانيات التقابلية Contrastive Linguistics، أمــا الآن وبعــد النقلة الكبيرة في هذا المضمار فقد أصبحت تقوم بترجمة عدد

كبيـــر مـــن اللغـــات فـــي وقـــت واحـــد، وهـــو مـــا يعرف بالترميز الرقمي Digital Coding (٧٥) .

وبعـــد، فلئن كانت هناك في الماضي صيحات تحاول أن تُهوِّن من شأن التـــرجمة الآلـــية، وتُشكك في نجاحاتها، فإنها الآن بدأت تطالب بإلحاح بتطوير أنظمة هذه الترجمة، بعد أن حققت نتائج ملحوظة وخاصة في ميدان النصوص العلمـــية. واللغويـــون والحاســـوبيون العرب مطالبون أكثر من أي وقت مضى بالإفادة القصوى من معطيات الترجمة الآلية المعاصرة لدى الغرب، وتسخيرها لخدمة اللغة العربية .

أمـــا الكـــتابة العربية ومعالجتها آلياً، فتعد الكتابة العربية من ضمن أهم المشكلات التي واجهت التحليل الحاسوبي، حيث تتعدد الأشكال البصرية للحرف الـــواحد تبعاً لموقعه من الكلمة، كما أن اتجاه الكتابة العربية هو من اليمين إلى اليسار، يضاف إلى ذلك أن حروفها متصلة وليست منفصلة... إلخ(٧٦) .

وتبعاً لهذا قامت عدة محاولات لتلافي مشاكل الكتابة العربية في الحاسوب، وكـــان مـــن بينها مشروع الأستاذ أحمد الأخضر غزال، الذي أطلق عليه الطريقة المعيارية للطباعة العربية، أو العربية المعيارية المشكولة – الشفرة العربية، والتي تعـــرف اختصاراً بـــ(العمم–شع)، كما سبق، وقد تم هذا عام ١٩٥٤م، ثم طُورت لتتلاءم مع التقدم التقني في الحاسوبات عام ١٩٧٤م(٧٧) .

ويذكـــر الدكـــتور مازن الوعر أنه مع تطور الإلكترونيات أصبح هذا التـــصميم غيـــر واقعـــي، مما جعل بعض الباحثين يضع تصميماً آخر عرف بـــــ(معالجة السياق)، أي استنباط الحرف من سياق الحروف، وليس من سياق المعنى(٧٨) .

وهناك أيضاً الشفرة العربية الموحدة للكتابة العربية التي تعرف بـ(الشفرة سباعية العزوم) التي أقرتها سنة ١٩٨٣م المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس[٧٩]. وفي الحقيقة أنني لا أعلم الآن ماذا تم بشأن تطوير هذه الشفرة خاصة أنه مضى عليها زمن طويل .

ومن تلك المحاولات ما قدمه الدكتور عاصم عبد الفتاح نبوي، والدكتور صبري عبد الله محمود، من تطوير نظام للتعرف على حروف العربية باستخدام شبكة عصبية ذات انتشار رجوعي[٨٠] .

ومن الجوانب الأخرى التي أمكن للغة العربية الاستفادة منها من الحاسوب تعليم اللغة، سواء للناطقين بها من أبنائها، أو للناطقين بغيرها من اللغات. لقد استطاع الحاسوب أن يقدم للناطقين بالعربية نظماً حاسوبية وبرامج لإكساب المتعلمين المهارات اللغوية المتعددة، كالقراءة، والكتابة، والمحادثة، والاستماع، إضافة إلى معالجة الخطوط العربية معالجة حاسوبية، والتدقيق الإملائي والنحوي، ووضع معاجم لغوية حاسوبية لمراحل التعليم العام، وتعليم الأطفال الأرقام والحروف والكلمات .

كما استطاع الحاسوب أن يسهم في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، بإمكاناته وقدراته الهائلة في التعليم المبرمج[٨١]، ويوجد بمعهد اللغة العربية بجامعة أم القرى (مكة المكرمة) حالياً معمل حاسوبي لتعليم العربية للناطقين بغيرها، وهي تجربة فريدة ذات أبعاد علمية وحضارية، نأمل أن تتوسع دائرتها ومجال تطبيقاتها، وأن يكتب لها النجاح .

وبدهي القول إن الإفادة من الحاسوب في هذا المجال (المجال التعليمي) مرهونة بالنجاح في المعالجة الآلية للغة العربية أولاً .

هـذا مـا يـتعلق بالمعالجـة الآلية للنظم اللغوية العربية، أما البرامج الموضـوعة لـذلك، وهي كما يقول الدكتور نهاد الموسى : «منجزات تطبيقية تـستثمر التوصـيف فـي وجوه من التوظيف»[٨٢]، فإنها أكثر من أن تحصر، وخاصـة أن الـشركات التجارية العاملة في مجال الحاسوبيات تدفع يومياً إلى الـسوق بـرامج علمية وتعليمية، تتفاوت فيما بينها دقةً ومنهجيةً وأهدافاً، وهي تحـتاج مـن الباحثـين تقيـيماً وتقويماً، وهذه الدراسة الحالية لا تفي مطالبها باسـتعراض مجمـل هـذه البرامج ؛ إذ إن الخوض فيها يتطلب وقفة مطولة، وعسى أن نفرغ لها – أو غيرنا – في المستقبل المنظور إن شاء الله[٨٣] .

وأمـا الـصورة الأخيرة لرصد الجهود في ميدان اللسانيات الحاسوبية العـربية فتتمـثل – كمـا تقـدم – في إنشاء قسم خاص لعلم اللغة الحاسوبي (اللـسانيات الحاسوبية) في جامعة الأمير سلطان الأهلية بالرياض (السعودية)، وهـو – علـى حـد علمـي – أول قسم متخصص في هذا المجال بالجامعات العـربية، ولا شك أن إنشاءه جاء نتيجة لمتطلبات السوق الاقتصادية من جهة، وتـتويجاً – مـن جهة أخرى – للجهود الحاسوبية العربية التي أصبحت تشكل اتجاهاً عاماً في الدراسات اللغوية المعاصرة .

وبعد، فلقد تبين لنا بهذا العرض الموثق بما لا يدع مجالاً للريبة والشك أن اللغة العربية هي المستفيد الأول من استخدام تقنية الحاسوب، وأن الحاسوب يمكـن تطويـع آلياته وأنظمته لتتواءم مع خصوصية اللغة العربية، على جميع مـستوياتها اللغوية، الصوتي منها، والصرفي، والنحوي، والمعجمي، والدلالي. وتم بجهود الباحثين العرب، اللغويين منهم والحاسوبيين، تمثيل الكلام المنطوق وتولـيده آلياً، وتحليل الكلمات المفردة وتركيبها آلياً، وتوصيف الجمل وتوليدها وإعـرابها آلياً، وقراءة النصوص المكتوبة وتصحيحها ومعالجتها آلياً، وصناعة

المعاجم الآلية، وإنشاء البنوك المصطلحية، وتصويب الأخطاء النحوية والصرفية والإملائية آلياً، وتصميم البرامج الحاسوبية للترجمة الآلية، وتعليم اللغة العربية لأبنائها وغير أبنائها بوساطة الحاسوب .

إن هذه الجهود مؤشر حقيقي على نجاح الحاسوب في خدمة اللغة العربية، وتوظيفه في معالجة قضاياها المختلفة، تحليلاً، وتوليداً، وترجمة، وتعليماً، وصياغتها صياغة رياضية دقيقة وفق علاقة متبادلة بين المقاييس العلمية والمقاييس اللغوية .

والمحصلة النهائية لهذه الجهود تصب في خانة قدرة العربية على استيعاب لغة العصر، وتمثل تقنياته التكنولوجية بكل كفاية واقتدار، وهذه قضية من القضايا التي واجهتها – وما زالت تواجهها – كينونة الأمة العربية وحضارتها اللغوية، وهويتها الثقافية .

ومع كل ما ذكرته من إسهامات في اللسانيات الحاسوبية وتوظيفها لخدمة العربية – وهناك الكثير من تلك الإسهامات لم أتمكن من الاطلاع عليها، أو عرضها في هذه الدراسة – فإن الطريق في هذا المضمار مازال شاقاً وطويلاً، والأمل معقود على جميع العلماء والباحثين الذين أوقفوا أنفسهم على هذا المجال النادر من مجالات العلم والمعرفة الإنسانية، أن تتكاتف جهودهم لتذليل العقبات وحل المشكلات التي تحيط بلغة القرآن الكريم إزاء الثورة المعلوماتية – الحاسوبية المعاصرة .

واختتم هذه الدراسة بإبداء جملة من المقترحات، أحسب أنها تسهم في توطين هذا التوجه في الدراسات اللغوية المعاصرة، وتدفع به نحو الأمثل والأفضل، وهي على النحو الآتي :

أولاً : أن تتضافر الأعمال في مجال اللسانيات الحاسوبية العربية وتتآزر بين اللغويين والحاسوبيين في أي مشروع علمي يهدف إلى برمجة الأنظمة اللغوية للعربية، وتحليلها، ومعالجتها آلياً. وأرى في هذا المقام أن أي عمل منفرد، أو مستقل عن الطرف الآخر من المعادلة، أو غير منسق بين هذه الفئات العلمية، إنما هو بمثابة جهد ضائع لا طائل من ورائه .

إن التعاون والتنسيق في هذا الميدان – إن تَمَّ – ستكون نتائجه غاية في الأهمية، وستدفع به خطوات واثقة إلى الأمام، وسوف تتغير قناعات ومسلمات كانت أشبه بالحقائق التي لا تقبل الجدل والنقاش حولها، كما ستتأكد قضايا في اللغة كانت أقرب ما تكون إلى الاحتمال والرجحان والظن، وهذا ما توفره اللسانيات الحاسوبية للعلوم الإنسانية بعامة .

والواقع أن هذا الأمر، أعني التقاء علماء اللغة وعلماء الهندسة والحاسوب، كان – ومازال – مطلباً ملحاً، وضرورة قصوى، لأي عمل ناجع في هذا الميدان على وجه الخصوص، وهو ما أكدت عليه جميع المؤتمرات التي عقدت لمناقشة قضية الحاسوب واللغة العربية .

ثانياً : ترجمة جميع الأعمال العلمية في مجال اللسانيات الحاسوبية العربية، التي كتبت باللغات الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، وغيرهن من اللغات، التي وضعها باحثون عرب وأجانب، ونقلها إلى العربية.

ثالثاً : عدم ترك أمر البرمجيات الحاسوبية العربية بيد الشركات ومراكز البحوث الغربية، بل ينبغي أن يصممها أبناؤها، فهم أقرب الناس رحماً بهذا المجال .

رابعاً : صناعة معجم موحد لمصطلحات اللسانيات الحاسوبية، بالعربية والإنجليزية، وفق المتعارف عليه علمياً في هذا النوع من المعاجم الاصطلاحية أو المصطلحية[٨٤] .

خامساً : أن يكون علم اللغة الحاسوبي مقرراً دراسياً معتمداً في أقسام اللغة العربية بكليات الآداب، والتربية، كما هي الحال في كلية الآداب بجامعة الكويت .

سادساً : إنشاء قسم خاص للغويات الحاسوبية في الكليات والجامعات العربية يمنح درجة البكالوريوس في هذا التخصص، على غرار ما هو موجود بجامعة الأمير سلطان الأهلية بالرياض .

سابعاً : نشر تلك الرسائل العلمية التي كتبت أصلاً باللغة العربية عن قضايا استخدام اللغة العربية في الحاسوب، وهي تُشَكل فيما اطلعت عليه إسهاماً فاعلاً في ترسيخ هذا الاتجاه، ومعالجةً موضوعيةً وعلميةً لكثير من مشكلات تعامل العربية مع الحاسوب .

ثامناً : أن ما طرحه الدكتور نبيل علي في كتابه (اللغة العربية والحاسوب) من قائمة مقترحة في مجال بحوث اللسانيات الحاسوبية مطبقة على اللغة العربية، يحسن أن يكون قاعدة جيدة للانطلاق منها نحو تفعيل النشاط البحثي وتطويره في هذا المجال .

صحيح إن بعض ما اقترحه كان بعد ذلك ميدان عناية الباحثين، ولكن كثيراً منها ما يزال في انتظار الأقلام المخلصة والعقول النيرة التي ستضيف بعداً جديداً للاتجاه الحاسوبي في دراسة اللغة، وهو ما نتمنى أن يحدث في القريب العاجل بإذن الله،،،

الهوامش والمراجع

(١) ينظر: د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، دار تعريب، ١٩٨٨م، ص٣ د.أحمـــد شرف الدين أحمد، العلوم الشرعية والحاسبات، مجلة جامعة الملك سعود (علوم الحاسب والمعلومات) المجلد٧، ١٤١٥هـــ-١٩٩٥م، ص١ .

(٢) وردت هـــذه المعلومة في ندوة علمية عن اللسانيات الحاسوبية المعلوماتية، عقدت في قسم اللسانيات الحديثة بجامعة جورج تاون – واشنطن العاصمة، ســـنة ١٩٨٣م، وأدارهـــا الدكتور مازن الوعر، ونشرها بعد ذلك في كتابه: دراســـات لـــسانية تطبيقـــية، ط١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٩م، ص٣٢٥ وللمـــزيد ينظـــر د.أحمـــد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـــ – ١٩٩٨م، ص١٦٨ (هامش١) .

(٣) ينظـــر د. محمـــد صـــالح بن عمر، الثورة التكنولوجية واللغة، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة – وزارة الثقافة والإعلام، بغداد – العراق، ١٩٨٦ م، ص٣٢-٣٥ .

(٤) ينظـــر: د. أحمـــد شرف الدين أحمد، العلوم الشرعية والحاسبات (مصدر سابق)، ص٢ .

(٥) صدرت هذه الدراسة الإحصائية – في كتابين اثنين – عن جامعة الكويت، ســـنتي ١٩٧١ و١٩٧٢م .ونظراً لأهمية هذا الاتجاه الإحصائي في البحث اللغوي فقد نفدت نسخ هذين الكتابين في وقت قياسي، مما أدى إلى طباعتهما مرة ثانية سنة ١٩٧٣م، وضمهما في مجلد واحد.كما نشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٨م، وتعد الطبعة الثالثة لها .

(٦) ينظـــر: د.علـــي حلمـــي موسى، دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، ص٩(جامعة الكويت،١٩٧٣م) .

(٧) لمـــزيد من التفاصيل حول نتائج هذه الجداول الإحصائية لمعجم الصحاح ينظـــر: المصدر السابق ،ص ١٧-٤٨ (ط١٩٧٨م)، د. علي حلمي موسى، استخدام الحاسب الإلكتروني في اللغة العربية – تحليل محتويات نتائج معجم الـــصحاح، مجلة الثقافة المصرية، السنة ٦، العدد ٦٩، يونيو ١٩٧٩م، ص ٥٢-٥٤، د.إبراهيم أنيس، النظامة الإلكترونية تحصي جذور مفردات اللغة العـــربية، مجلـــة اللـــسان العربـــي، المجلـــد ١٠، الجـــزء١، ١٩٧٣م، ص٢٠٧-٢١١ .

(٨) ينظـــر مـــا ذكره الدكتور علي حلمي موسى حول هذا الأمر في : دراسة إحـــصائية لجـــذور معجـــم الـــصحاح باستخدام الكمبيوتر، ص٤٣ (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م) .

(٩) تنظر هذه القضايا الإحصائية عند: د. علي حلمي موسى – د. عبد الصبور شـــاهين، دراســـة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكمبيوتر، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٣م، ص ٥-٧٢ .

(١٠) ينظر: مقاله : استخدام الآلات الحاسبة الإلكترونية في دراسة ألفاظ القرآن الكـــريم، مجلـــة عـــالم الفكـــر (الكويت)، المجلد١٢، العدد ٤، ١٩٨٢م، ص ١٥٣- ١٩٤. وهـــناك دراسات إحصائية أخرى بالإنجليزية .ينظر: د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص١٨٢-١٨٣ .

(١١) ينظـــر مقاله : الحاسب الإلكتروني يدرس شعر (كعب) بن زهير بن أبي سلمى، محاولة رائدة في الدراسات اللغوية، مجلة الكاتب (المصرية)، السنة ١٤، العدد ١٦٥، ١٩٧٤، ص ٤٥ -٤٨ .

(١٢) د.مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، - مدخل - ط١ ، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٨م، ص٤٠٦ .وينظر: المؤلف نفسه، دراسات لـــسانية تطبيقـــية، ص٣١٧-٣٢٠، د.رمزي بعلبكي، معجم المصطلحات اللغـــوية، ط١ ،دار العلـــم للملايين، بيروت - لبنان، ١٩٩٠م، ص١١٠، ٣٠١، د.محمـــد علي الخولي، معجم علم اللغة التطبيقي، ط١، مكتبة لبنان بيروت، ١٩٨٦م، ص٢١ .

(١٣) د.مـــازن الوعـــر، قـــضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٤٠٧ .وينظر: د.نهاد الموسى، العربية - نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاســوبية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٥٤ .

(١٤) د. نهـــاد الموسى، العربية - نحو توصيف جديد ....، ص ٥٣ .وينظر: د.مـــازن الوعـــر، قـــضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٤٠٧، اللسانيات والحاسوب واللغة العربية، صحيفة رؤى ثقافية (سورية)، العدد ٤، ٢٠٠٣م، ص٢٣ .

(•) الدكـــتور نبيل علي أحد أبرز المتخصصين في بحوث اللغويات الحاسوبية، ويعمـــل منذ سنوات طويلة في مجال الكمبيوتر ونظم المعلومات، برمجة، وتـــصميماً، وإدارةً، وبحـــثاً.وهـــو صاحب فكرة مشروع كمبيوتر صخر والعالمـــية للبـــرامج. لـــه من المؤلفات: اللغة العربية والحاسوب، العرب

وعصر المعلومات، الثقافة العربية وعصر المعلومات، صورة الثقافة العربية والحضارة العربية والإسلامية على الانترنت .

(١٥) صدر عن مؤسسة تعريب (؟) سنة ١٩٨٨م. وكان المؤلف قد مهد لصدور هذا الكتاب ببحث نشره في مجلة عالم الفكر، المجلد ١٨، العدد ٣، ١٩٨٧م، ص٥٩-١١٨ بعنوان (اللغة العربية والحاسوب)، ثم صدر هذا الكتاب في طبعته الثانية سنة ١٩٩٨م عن دار غريب بالقاهرة .ولهذا الكتاب عرض تحليلي للدكتور علي فرغلي، نشره في مجلة عالم الفكر (الكويت)، المجلد ٢٠، العدد ٣، ١٩٨٩م، ص٢٥٥-٢٧٨، كما أن له مراجعة أخرى للدكتور نهاد الموسى نشرها في المجلة العربية للعلوم الإنسانية (جامعة الكويت)، العدد ٣٨، المجلد ١٠، ١٩٩٠م، ص٢٤٤-٢٥١ .

(١٦) د.نهاد الموسى، كتاب اللغة العربية والحاسوب لنبيل علي (مراجعة) المجلة العربية للعلوم الإنسانية (جامعة الكويت)، العدد ٣٨، المجلد ١٠، ١٩٩٠م، ص٢٥١ .

(١٧) صدر هذا الكتاب سنة ١٩٩٦م، عن جامعة اليرموك - إربد (الأردن) .

(١٨) د. نهاد الموسى، العربية - نحو توصيف جديد ...، ص٤٥ .

(١٩) صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت .

(٢٠) د.نهاد الموسى، العربية - نحو توصيف جديد ....، ٢٨٨ .

(٢١) لعل من أهم المؤتمرات والندوات التي تناولت بحوثها قضية اللسانيات الحاسوبية العربية ما يلي :

أ - ندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، التي نظمتها مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، سنة ١٩٩٢م.

ب - ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي، التي عقدت بالكويت عام ١٩٨٥م .

ج - مؤتمـــر اللسانيات التطبيقية العربية ومعالجة الإشارة والمعلومات، الذي عقده المركز القومي للتنسيق والتخطيط للبحث العلمي والتقني ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالمغرب (الرباط) عام ١٩٨٣ م (صدرت أعماله في كتاب بالإنجليزية والفرنسية) .

د - المؤتمـــر الأول والثاني للغويات الحسابية العربية، اللذان عقدا في الكويت، سنة ١٩٨٩م

هـــ- نــدوة اللغـــويات الحسابية العربية، التي عقدت في القاهرة، سنة ١٩٩٢م .

و - أعمـــال المناظـــرة المنظمة بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراســـات الإسلامية والعلوم الإنسانية تحت عنوان : اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المتقدمة، الدار البيضاء، ١٩٩٣م .

ز - مؤتمـــر استخدام اللغة العربية في المعلوماتية، الذي عقدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٦م .

ح - الملتقـــى الرابع للسانيات (اللسانيات العربية والإعلامية) الذي عقده مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية سنة ١٩٨٧م .

ط - المؤتمر الدولي الثاني في اللغة والترجمة (دور التكنولوجيا الحديثة في تعلم اللغات وتعليمها) الذي عقده مركز أطلس العالمي للدراسات والأبحاث بعمان، في ١٤ - ١٥ /١٢/٢٠٠٢م (صدرت أعماله في كتاب سنة ٢٠٠٥م) .

(٢٢) د. نهاد الموسى، العربية - نحو توصيف جديد ... ص٣٤-٥٢، وللمزيد ينظر: د.مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص ٤٠٨-٥٠٣، دراسات لسانية تطبيقية ص٣١٣-٣٩١ .

(٢٣) هذا الكتاب سيصدر قريباً - إن شاء الله - عن مركز بحوث اللغة العربية وآدابها، بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، بجامعة أم القرى (مكة المكرمة) .

(٢٤) ينظر : دور الكمبيوتر في البحث اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء ٢٨، ١٩٧١م، ص ٧-١١، مسطرة اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء ٢٩، ١٩٧٢م، ص٧، الحاسبات الإلكترونية في البحوث اللغوية، مجلة المجمع العلمي المصري للثقافة العلمية، العدد ٤٢، ١٩٧٣م، ص١٩٧-٢٠٣ .

(٢٥) ينظر: مسطرة اللغوي (مصدر سابق) ص٧ .

(٠) (العمـم - شع) هو مصطلح مختصر منحوت من أوائل الحروف الأولى من النموذج الذي وضعه الأستاذ أحمد الأخضر غزال، وأطلق عليه اسم (العربية المعيارية المشكولة - الشفرة العربية). وللمزيد حول هذا المشروع ينظر: د.مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٤١٨ فما بعدها .

(٢٦)ينظر : د. نبيل علي، الحاسوب واللغة العربية، ص١٠١-١١١، ص١٧٨، السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، ص٣١٥-٣٦٠، ص ٥٨٣-٦٥٠ .

(٢٧) ينظر – على سبيل المثال – : د. محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، مكتبة غريب، القاهرة، د.ت، ص١١١-١١٨، د.سعد الحاج بكري، مسألة المصطلحات في تعريب الحاسبات، المجلة العربية للعلوم (تونس)، العدد ١١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، د. محمد مراياتي وزميله، التكنولوجيا الحديثة والمصطلح العلمي العربي في ظل اقتصاد المعرفة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٧٥، الجزء٣، ١٤٢١هـ، ص ٦٤٩ فما بعدها .

(٢٨) ينظر: د.أحمد بوعزي، تعريب المصطلحات المستعملة في الحواسيب الصغروية، ضمن (السجل العلمي لندوة استخدم اللغة العربية في تقنية المعلومات) مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م، ص٤٩٣ فما بعدها، د.داود عبده، مصطلحات الحاسب الآلي دراسة وقائمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٥م.

(٢٩) لمزيد من التفاصيل حول بنوك المصطلحات، وأهدافها، ونظام العمل بها، ينظر:د.محمود إسماعيل صيني، بنوك المصطلحات الآلية، مجلة اللسان العربي، العدد ٤٨، ١٩٩٩م، ص٢١١-٢٢١، د.عبد الرحمن بن عبد العزيز الفاضل، البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم)، مجلة اللسان العربي، العدد ٤٧، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص٧٩-١٠٥، ليلى المسعودي،

علـم المـصطلحات وبـنوك المعطيات، مجلة اللسان العربي، العدد ٢٨، ١٩٨٧م، ص٨٥-٩٣ .

(٠) تقـوم فكـرة معالجة النصوص على كتابة النص – أي نص – باللغة العربية، ومن ثمَّ مراجعته وتنقيحه، وطباعته بعد ذلك .

(٣٠) د. نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص١٣١ .وينظر: ص٥٢-٥٤ من هذا الكتاب .

(٣١) المصدر السابق، ص١٣٢-١٣٥ .

(٣٢) د.نبـيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، المجلس الوطني للثقافة والفـنون والآداب، الكـويت (سلسلة عالم المعرفة، رقم ٢٦٥)، ٢٠٠١م، ص٢٥٤ .

(٣٣) هـذه الدراسات الإحصائية منها ما كان في رسالة جامعية بجامعة دمشق سـنة ١٩٨٣م، ومـنها ما قدم لمركز الدراسات والبحوث العلمية بدمشق سـنتي ١٩٨٢م و ١٩٨٥م .ينظـر:د.محمـد مراياتي وزملاؤه، المعجم الحاسـوبي فـي نظام خبير للغة العربية، ضمن (بحوث المؤتمر العلمي الأول حـول الكتابة العلمية باللغة العربية – واقع وتطلعات) الذي نظمته جامعـة العرب الطبية، بنغازي – ليبيا، وشارك في تنظيمه معهد الإنماء العربي، بيروت، واليونسكو، سنة ١٩٩٠م ص٣٣٩، ٣٥٨.

(٣٤) تنظـر هـذه الدراسـات الإحـصائية عند : د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسـوب، ص١٨٢-١٨٣، د.مـازن الوعـر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٤١٦ .

(٠) المعالجة الآلية للغة العربية لا نعني بها هنا مجرد إدخال الحروف العربية من لوحة المفاتيح، وطباعتها على الورق، أو إظهارها على شاشة العرض فحسب، بل نعني بها في مفهومها الأوسع شمول نظم برامجها للمستويات اللغوية المتعددة، كنظام الصرف الآلي، ونظام الإعراب الآلي، ونظام التحليل الدلالي الآلي، وقواعد البيانات المعجمية والقواميس الإلكترونية، ومنهجيات هندسة اللغة، وكذلك ما يندرج تحت هذه المستويات، كالترجمة الآلية، والتدقيق الهجائي والنحوي، والفهرسة والاستخلاص الآلي، وفهم الكلام ونطقه آلياً .ينظر: د.نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، ص٢٨٧ ..

(٣٥) نشرت هذه الدراسة ضمن (السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات) مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ص٨٣ –٩٠. والدكتور منصور الغامدي أحد المتخصصين في علم الأصوات الحديث، وهو يتبنى حالياً أحد المشاريع العلمية في مجال الأصوات بمعهد بحوث الحاسب والإلكترونيات، التابع لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض .

(٣٦) نشرت هذه الدراسة ضمن (وقائع مختارة من ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي) التي عقدت بالكويت سنة ١٩٨٥م، وصدرت عن دار الرازي، بيروت – لبنان، ١٩٨٩م، ص ٢٥-٥٧ .

(٣٧) نشرت هذه الدراسة ضمن كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (استخدام اللغة العربية في المعلوماتية) تونس، ١٩٩٦م .وللدكتور نهاد الموسى عرض لها وتعليق عليها .ينظر: العربية – نحو توصيف جديد....، ص٤٣-٤٤ .

(٠) تعـد الدكـتورة نغريد السيد عنبر (مصر) من المتخصصين في علم اللغة الحاسوبي، وخاصة الترجمة الآلية، وهي – الآن – صاحبة شركة كمبيوتر تعمل في مجال تطويع اللغة العربية للتعامل مع الحاسوب، وقد صدر عنها أول مدقـق إملائي عربي في المايكروسوفت، والمدقق النحوي لتصحيح الأخطـاء النحوية، والترجمة الآلية من العربية للإنجليزية والعكس. للمزيد مـن التفاصـيل ينظر اللقاء الذي أجري معها ونشر بمجلة المجلة (لندن)، صفحة (فكر ونقاش)، العدد ١٠٦٣، ٢٥ يونية – ايوليو ٢٠٠٠م، ٢٣-٢٩ ربيع الأول ١٤٢١هـ، ص ٥٢-٥٦ .

(٣٨) لمـزيد مـن التفاصيل حول المعالجة الآلية للأصوات (الكلام) في اللغة العـربية، والجهـود المـبذولة فـيه ينظـر: د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسـوب، ص١٨٤، ص٤٢١-٤٥٦، سامر الأتاسي، نظرة عامة على مكـونات التطبيقات العربية المتقدمة للحاسوب، ضمن (وقائع مختارة من ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي) ص١٤-١٥، ١٩-٢٠ .د. محمـد صـالح ابن عمر، اللغويون العرب المعاصرون والوسائل التقنية الحديـثة في دراسة الأصوات، مجلة دراسات عربيـة (بيروت) العـددان ١-٢، السنة ٢٢، ١٩٨٥م، ص٦٠-٧٨ . ولابد من الإشارة هنا إلى أن للدكتور عبد الرحمن أيوب كتاباً بعنوان (الكلام إنتاجه وتحليله) صدر عن جامعـة الكويت سنة ١٩٨٤م، وقد عالج فيه الكلام وتوليده معالجةً تعتمد علـى الآلات التقنـية الخاصة بدراسة الناحية المادية للغة، كآلات التحليل الفيزيولوجـي، والتحلـيل الأكوستيكي للأصوات، وآلات إنتاج الأصوات الـصناعية، وهـذه أجهزة أصبحت الآن في ذمة التاريخ بوجود الحاسب الإلكتروني، ولكن هذه الدراسة تظل في إطارها الزمني رائدة في مجالها،

وذات قيمة علمية لا يمكن لباحث منصف الغضُّ من شأنها، أو التقليل من جـدواها العلمـية .ولقد كان مؤلف هذا الكتاب – وهو من هو في ميدان الدراسـات اللغـوية المعاصـرة – أميناً مع نفسه حينما اعترف بتواضع العلمـاء بأن كتابه هذا فيه بعض القصور أو سوء الفهم، ومع ذلك فهو لا يخشى أن يقدمه برغم هذا للناس؛ لأنه لم يرد له أن يكون الكلمة الأخيرة، ولن يؤذيه أن يكون الخطأ الذي يدفع الآخرون لتصحيحه... (ينظر: الكلام إنتاجه وتحليله، ص١٠ من مقدمة المؤلف). وليس الأمر على ما ذكر، بل هو – في نظري – الخطوة الأولى التي تدفع الآخرين لتطويرها، ومحاولة اللحـاق بـركب التقدم المتسارع في هذا المجال .وقديماً قيل، وما أصدق ماقيل : وإنما الفضل للمتقدم .

(٣٩) د.نبـيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص٤٥٥ .وقد ذكر المؤلف في هذا الكتاب عدة نقاط لدفع جهود التطوير والبحث في معالجة الكلام العربي آلياً .ينظر : ص٤٥٥-٤٥٦ .

(٤٠) تنظـر هـذه الجـوانب عـند : د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص٢٧٤-٢٩٦ .

(٤١) ينظر: المصدر السابق، ص٣٠١-٣١٤، ص١٨١-١٨٢ .

(٤٢) نفسه، ص١٨١، ٣٣١-٣٣٢ .وينظـر: مساعد الطيار، كفاءة التحليل الصرفي في استرجاع النصوص العربية، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، المجلد ٤، العدد١، ١٤١٩هـ، ص٧-٢٣ .

(٤٣) نـشر هذا النموذج في بحث له بعنوان (التحليل الصرفي للعربية) ضمن (وقائـع مخـتارة مـن نـدوة اسـتخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي)

ص٢٦٥-٢٨٥ .وينظر له أيضا: التوليد من الجذور والوزن، ضمن ندوة (تقدم اللسانيات في الأقطار العربية) ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م، ص٣٣٧-٣٤٣ .

(٤٤) نـــشرت ضمن (وقائع مختارة من ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلـــي)، ص٥٩-٧٨، وذلـــك في بحثها الموسوم بـــ(معالجة اللغة العربية الطبيعية آلياً) .

(٤٥) نـــشرت تجـــربتهما في بناء محلل صرفي باستخدام الحاسوب في (الموسم الثقافي الرابع عشر لمجمع اللغة العربية الأردني) ١٩٩٦م، وذلك في بحثهما الموســـوم بـــــ(التحليل الصرفي للغة العربية باستخدام الحاسوب)، وللدكتور نهـــاد الموســـى عـــرض له وتعليق عليه .ينظر: العربية – نحو توصيف جديـــد...، ص٤٢-٤٣، ص٥١ .ولمـــزيد من التفاصيل حول النظم الآلية المقترحة لمعالجة الصرف العربي، التي قدمها باحثون عرب أو أجانب ينظر: د.نبـــيل علـــي، اللغة العربية والحاسوب، ص٣٣٠-٣٣١ د.نهاد الموسى، العربية – نحو توصيف جديد...، ص٤٥.

(٤٦) لمعـــرفة تلك الإشكاليات ينظر : د. نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص٢٩٨-٣٠١ .

(٤٧) لمـــزيد مـــن التفاصيل حول العناصر الرئيسة التي يحتويها الإطار العام لمعالجة الصرف العربي آلياً، ومجالات استخدامه، ينظر: المصدر السابق، ص٣٠١-٣٣٠، د. مراد عبد الرحمن مبروك، أثر التقنيات المعلوماتية في لـــسانيات الـــنص الأدبـــي (الـــنص النقدي خاصة) المجلة العربية للعلوم الإنـــسانية – جامعـــة الكـــويت – العـــدد ٦٠، الـــسنة ١٥، ١٩٩٧م، ص٥٤ – ٥٧ .

(٤٨) ينظـــر: د. نبـــيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص١٩٧-٢٣٣ .وقد ذكـــر الدكـــتور نبـــيل علي أن له وزميلته أمل الشامي بحثاً عن التحليل الـــصرفي للقرآن باستخدام الحاسوب، قيد النشر. ينظر: المصدر السابق، ص٣٣٢، ٥٧١ .ولا أدري هل صدر هذا الكتاب أم لا؟

(٤٩) لمعـــرفة طبيعة هذه الدراسة وجوانبها المختلفة ينظر: د.هادي نهر، اللغة العربية والحاسوب، مجلة التواصل (جامعة عدن) العدد ٤، ٢٠٠٠م، ص ٧٢-٧٤ .

(٥٠) ينظر : د. نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص٣٨٨-٣٩١ .

(٥١) نـــشر ضـــمن (الـــسجل العلمـــي لـــندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلـــومات) مطـــبوعات مكتـــبة الملـــك عـــبد العزيز العامة، الرياض، ص٢٧-٤٢. وللدكـــتور نهاد الموسى تعليق موجز عليه أورده في كتابه، العربية – نحو توصيف جديد...، ص٣٩-٤٠ .

(٥٢) نـــشر ضـــمن (الموسم الثقافي الرابع عشر لمجمع اللغة العربية الأردني) ١٩٩٦م .وانظـــر تعليق الدكتور نهاد الموسى عليه في كتابه : العربية – نحو توصيف جديد...، ص ٤٣، ٤٩ .

(٥٣) نـــشر أولاً ضـــمن (السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلـــومات) ص ٢٤٣-٢٨٦، ثم نشر ثانياً ضمن كتابه : دراسات نحوية ودلالـــية وفلـــسفية فـــي ضـــوء اللـــسانيات المعاصرة، دمشق، ٢٠٠٢م، ص ١٣٤-١٧٨ .

(٥٤) ينظر: ص١٠١-١٩٥ من هذا الكتاب .ولمعرفة مدلول مصطلح (تمثيل) لـــدى الدكتور نهاد الموسى ينظر كتابه السابق، (العربية - نحو توصيف جديد...) ص ٥٩-٦٠.

(٥٥) لمزيد من التفاصيل حول هذه الدراسات ينظر: د.هادي نهر، اللغة العربية والحاسوب، مصدر سابق، ص٧٤-٧٦ .

(٥٦) ينظر : د. نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص ٤٠٦-٤١٩، د. مراد عـــبد الـــرحمن مبروك، أثر التقنيات المعلوماتية في لسانيات النص الأدبي (مصدر سابق) ص٥٧ - ٥٩ .

(•) من تلك الأعمال ما قام به الدكتور خليل عمايرة وزميله من فهرسة للسان العـــرب باســـتخدام الحاسوب، وكذلك ما قام به مركز التراث للبرمجيات (الأردن)، والمجمـــع الثقافي (أبو ظبي)، وجامعة أم القرى (مكة المكرمة) من فهرسة للشعر العربي .

(٥٧) لمزيد من المعلومات عن هذه الميزات والخصائص ينظر: د. أحمد مختار عمـــر، صـــناعة المعجـــم الحديث، ص١٧٩-١٨٨، د. محمود فهمي حجـــازي، البحث اللغوي، ص٧١-٧٨، د. محمد الحناش، مشروع نظرية حاســـوب لسانية في بناء معاجم آلية للغة العربية، مجلة التواصل اللساني، المجلـــد٢، العـــدد٢، ١٩٩٠م، ص٤٣، د.عبد الغني أبو العزم، الحاسوب والـــصناعة المعجماتـــية، مجلـــة اللـــسان العربي، العدد ٤٦، ١٩٩٨م، ص٢٨-٣٩ .

(٥٨) نشرت أبحاث هذه الندوة في مجلة اللسان العربي، العدد ٤٨، ١٩٩٩، ص ١٦٩-٢٢٩ .

(٥٩) ينظـــر : السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، ص ٧٨١-٧٩٦.

(٦٠) جـــاءت هذه البحوث على النحو التالي : المعجم الإلكتروني للغة العربية، مؤتمر الكويت الأول للحاسوب، ١٩٨٩م، مشروع نظرية حاسوب – لسانية فـــي بناء معاجم آلية للغة العربية، مجلة التواصل اللساني (المغرب) المجلد ٢، العـــدد ٢، ١٩٩٠م، ص ٤٠-٥٥ (وقـــد نشر هذا البحث أيضاً ضمن السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، ص ٣٦٣-٤٠١)، المعجـــم التركيبي للغة العربية – معالجة المصادر والأسماء، مجلة التواصـــل اللساني، المجلد ٢، العدد ١، ١٩٩٠م، ص ٤٢-٤٩ .المعاجم الآلية للغة العربية – بناء قاعدة المعطيات، مجلة التواصل اللساني، المجلد٤ ، العدد ١، ١٩٩٢م، ص ٨١-١٠٨.

(٦١) صـــدر هـــذا الكتاب عن مجلة التواصل اللساني، فاس (المغرب)، ١٩٩٢م .ويقع في جزءين، عدد صفحاتهما ٣٥٠ صفحة .

(٦٢) ينظر في هذا : د. نهاد الموسى، العربية – نحو توصيف جديد...، ص ٢٤٧ -٢٦٢، د. أحمد مختار عمر، المعجم العربي الحديث والخروج من الدائرة، مجلة كلية دار العلوم، العدد ٢١، ١٩٩٧م، ص ١٦ فما بعدها، د. عبد القادر الفاسي الفهري، المعجمة والتوسيط، – نظرات جديدة في قضايا اللغة العربية. ط١، المركـــز الثقافـــي العربي، بيروت – لبنان، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٩٧م، ص ٥٩-٧١، د.محمد مراياتي وزملاؤه، المعجم الحاسوبي نظام خبير للغة العربية، ضمن (بحوث المؤتمر العلمي الأول حول الكتابة العلمية باللغة العربية – واقع وتطلعات)، ص ٣٣٩ فما بعدها.

(٦٣) ينظـر فـي هذا مداخلة الدكتور محمود إسماعيل صيني في الجلسة التي عقـدت بهـامش نـدوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، ضمن (السجل العلمي لهذه الندوة) ص ٧٨٧-٧٨٨ .

(٦٤) للاطـلاع علـى هـذه الجهـود المبذولة لإنتاج برامج معجمية بواسطة الحاسـوب ينظر :د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص٥٢٩، د.أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص ١٦٩، ١٨٩ فما بعدها .

(٦٥) ينظر : د. أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ص ١٨٦-١٨٨

(٦٦) اللغة العربية والحاسوب، ص ٥٣١ .

(٦٧) نـشر هـذا البحث ضمن (السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات) ص ٢٩٩-٣١٢ .

(٦٨) كان هذا في مقاله : الناقل العربي أول برنامج للترجمة الآلية من العربية إلـى الإنكليـزية، ضـمن أعمال ندوة (واقع اللغات ومستقبلها في تونس) إصدار مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠٠م، ص ٣٠٩-٣٢١ .

(٦٩) ينظر المصدر السابق، ص٣١٥-٣١٧ .

(٧٠) نـشر هـذا البحث بعنوان : مقاربة معرفية لتحليل دلالة الجملة الخبرية العـربية – الإطار المفهومي العام، ضمن (المؤتمر الثاني حول اللغويات الحسابية العربية)، الكويت، ١٩٨٩م، ص ١٤٨-١٧١ .

(٧١) نشر البحث هذا ضمن (أعمال مناظرة اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المتقدمة) مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، ١٩٨٩م ص ٤٥-٥٥ .

(٧٢) ينظــر: د. نادية حامد حجازي، الترجمة الآلية.. هل هناك آفاق حقيقية ؟ ضــمن ندوة (الترجمة والثقافة العربية...) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكـويت، ٢٠٠١م، ص٣٧٢، د. عبد الفتاح أبو السيدة، الحاسب الآلي والترجمة، مجلة اللسان العربي، العدد ٢٨، ١٩٨٧م، ص ٩٥-١٠٤، د.فـؤاد فرسوني، الترجمة الآلية واللغة العربية، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنــية، المجلـد١، العــدد١، ١٤١٦هــ، ص١٢٩ فما بعدها، د.محمد ديــداوي، علــم الترجمة بين النظرية والتطبيق، دار المعارف، سوسه - تونس، ١٩٩٢م، ص٤٢٨ .

(٠) هــناك نظامــان حاســوبيان يـتعاملان مع الترجمة هما : الترجمة الآلية، والتــرجمة بمساعدة الحاسوب .فأما الترجمة الآلية فلا تحتاج إلا لقليل من الـتدخل البشري، في حين أن الترجمة الآخرى تحتاج إلى العنصر البشري (الإنساني) احتياجاً كبيراً. ينظر: د. محمود إسماعيل صيني، الترجمة الآلية واللغــة العــربية، ضمن (وقائع مختارة من ندوة استخدام اللغة العربية في الحاســب الآلـــي) ص ٢٣٩، ألبيرت نيوبرت وغريغوري شريف، الترجمة وعلوم النص، ترجمة: د.محيي الدين حميدي، جامعة الملك سعود بالرياض، ١٤٢٣هــ - ٢٠٠٢م، ص ٣٥-٩٣ .

(٧٣) بالإضـــافة إلى ما سبق ذكره في الهوامش من مراجع ينظر: د. عبد الله الحمــيدان، مقدمة في الترجمة الآلية، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠١م، ولفرام ويكز، الترجمة الآلية، ترجمة : د. علي حسين حجاج، مجلة البيان (الكويت)، العدد ٢١٩، ١٩٨٤م، د.حسام الخطيب، الترجمة الآلية وقضية تعــريب العلوم، ضمن (مازن المبارك : بحوث مهداة إليه بمناسبة بلوغه

السبعين) دار الفكر، دمشق ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص١١٨-١٤٢، د.فؤاد فرسوني، الترجمة الآلية واللغة العربية، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مصدر سابق، ص١٢٩-١٥١، د. سليمان الواسطي، التفاعل بين الإنسان والآلة في الترجمة الحاسوبية، مجلة التعريب، دمشق، العدد ٢٠، ٢٠٠٠م .

(٧٤) لمعرفة هذه البرامج ينظر: د. محمود إسماعيل صيني، الترجمة الآلية للغة العربية (مصدر سابق) ص ٢٤١ فما بعدها، د.حسام الخطيب، الترجمة الآلية وقضية تعريب العلوم (مصدر سابق) ص ١٣٣ فما بعدها، د.نادية حامد حجازي، الترجمة الآلية... (مصدر سابق) ص٣٧٥ فما بعدها، د. عبد الفتاح أبو السيدة، الحاسب الآلي والترجمة (مصدر سابق) ص ٩٦ فما بعدها .

(٧٥) ينظر: د. حسام الخطيب، الترجمة الآلية وقضية تعريب العلوم (مصدر سابق) ص ١٤٠-١٤١

(٧٦) لمزيد من التفاصيل حول مشكلة الكتابة العربية ينظر: د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص ٢٠١-٢١١، د.مازن الوعر، اللسانيات والحاسوب واللغة العربية، صحيفة رؤى ثقافية (سورية) العدد ٤، ١٣ أيلول ٢٠٠٣م، ص ٢٣ .

(٧٧) لمعرفة الملامح الرئيسة لهذه الطريقة ينظر: أحمد الأخضر غزال، استخدام اللغة العربية في علوم الحاسوب، المجلة العربية للتربية، تونس، المجلد٦، العدد١، ١٩٨٦م، ص٥٧-٨١، د.مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص٤١٧-٤٢١. والأمر اللافت للنظر أن هناك بحثاً قدمه كل من الدكتور التهامي الراجي الهاشمي والمهندس وليد

بنجيلانـــي (المغــرب) ذكــرا فيها تلك الطريقة التي تنسب للأستاذ أحمد الأخــضر غــزال، دون إشارة منهما إلى صاحبها!! ينظر: إدخال العربية المــشكولة والــشفرة العــربية المــوحدة في الإعلاميات. مجلة الحاسبات الإلكترونية، بغداد، ١٩٨٠م، ص ٣٥١-٣٧٠.

(٧٨) ينظــر: د.مــازن الوعــر، اللسانيات والحاسوب واللغة العربية (مصدر سابق)، ص٢٣ .

(٧٩) ينظر: د.نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، ص ٢١٣-٢٢٠ .وللمزيد حــول المحــاولات بهــذا الخصوص ينظر: د. ممدوح النجار - د.منظر مــسعود، أســلوب بناء حاسوب بغرض معالجة النصوص العربية، ضمن (وقائع مختارة من ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي) ص ٨١ فما بعدها .

(٨٠) ينظر: تمييز حروف اللغة العربية المكتوبة آلياً باستخدام الشبكات العصبية ذات الانتــشار الرجوعــي، مجلــة جامعــة الملك سعود (علوم الحاسب والمعلومات) المجلد٩، ١٤١٧هــ-١٩٩٧م، ص ١-٢٨ .

(٨١) ينظر : د.محمود إسماعيل صيني، تعليم اللغات باستخدام الحاسب الآلي، المجلــة العربية للدراسات اللغوية (الخرطوم) المجلد٢، العدد٢، ١٩٨٢م، رضـــا السويــسي، في تعليم العربية لغة ثانية بمساعدة الحاسوب، ضمن (اللسانيات العربية والإعلامية) تونس، ١٩٨٩م، ص٢٢١-٢٦٦، د.صلاح عــبد المجــيد العربي، تعلم اللغات الحية وتعليمها بين النظرية والتطبيق، ط١، مكتــبة لبنان، بيروت، ١٩٨١م، ص ٢٢٩ فما بعدها، د.نبيل علي، اللغــة العــربية والحاسوب، ص ١٤٦، د. صلاح الدين حسنين، استخدام العقــل الإلكترونـــي فـــي تعليم العربية لغير المتكلمين بها، مجلة الفيصل (الرياض) مجلد٧، العدد٧٤، ١٩٨٣م، ص٤٤-٤٦

(٨٢) العربية – نحو توصيف جديد ...، ص٣٥ .

(٨٣) لمعـــرفة بعض هذه البرامج الحاسوبية ينظر: المصدر السابق، ص٤٦-٤٧، د.ناصر عبد الرزاق الموافي، استخدام التقنيات الحديثة في الدراسات الأدبـــية واللغوية – دراسة في مجموعة البرامج التراثية على الحاسوب، ملخـــص بحـــث مقـــدم للمؤتمـــر العلمي الأول لقسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الأردنية (آفاق الدراسات في اللغة والأدب بين الحاضر والمستقبل ١٦-١٨/٥/١٩٩٩م)، ص١١٠-١١٢ من ملخصات أبحاث هذا المؤتمر، لغـــويات الكمبيوتـــر العربية من الخيال إلى الواقع، مجلة بايت الشرق الأوسط، كانون الثاني ١٩٩٥م، ص٦٦-٦٧ .

(٨٤) كـــان للدكتور الطيب البكوش واثنين من زملائه محاولة أولى ووحيدة – فيما أعلم – لصناعة معجم للمصطلحات اللسانية الحاسوبية، صدرت ضمن أشـــغال الملتقـــى الرابع للسانيات (اللسانيات العربية والإعلامية) تونس، ١٩٨٩م، ص١٣٩-١٦٦. والـــذي أراه أن صـــناعة معجم كهذا يتطلب تعاوناً أكثر، وتخطيطاً أشمل من المختصين في اللغة والحاسوب، وهذا ما نتمناه أن يتحقق في قابل الأيام .

لغة كسر ياء المتكلم المدغم فيها

د. كامل محمد أبو سنينة
جامعة الإسراء – الأردن

الملخص

يـصنف هـذا البحث في جملة المسائل النحوية واللغوية المختلف فيها، أتصح فتعتمد؟ أم تفسد فتطرح ؟.

ومـسألة هـذا البحث كسر ياء المتكلم المدغم فيها، وقد عملت على أن أصـل إلـى القـول الفـصل في هذه المسألة، فخلصت إلى صحتها في القياس والاستعمال، وإن كان الفتح هو الأصل، وهو أولى وأحسن.

أمـا فـي القياس فللكسر وجهان، ولبعض صوره ثلاثة أوجه، بسطت القول فيها، وتكلمت على صور متنوعة لكل وجه منها.

وأمـا في الاستعمال فوقفت على خمسة شواهد شعرا ونثرا، إلى جانب قـراءة "بِمُصْرِخِيِّ" في الآية ٢٢ من سورة إبراهيم عليه السلام، التي طال كلام النحويـين، واللغويين، والمفسرين عليها، وتضاربت أقوالهم فيها، وكان التحقيق ثبوتها بالتواتر عن رسول الله ﷺ.

وأخيراً قومت هذه المسألة اللغوية من جهتي المعنى واللفظ.

أمـا من جهة المعنى فرأيت فيها ضربا من التوكيد، فكسر الياء آكد في الدلالة على المتكلم من فتحها.

وأمـا مـن جهـة اللفظ ففيها إثراء له، وقد أسعفت الشاعر في بعض الشواهد التي أثبتها، في إقامة الوزن تارة، وفي إقامة القافية تارة أخرى.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم الأمين، وبعد:

فيدخل هذا البحث في باب المسائل النحوية واللغوية المختلف فيها، أَتَصِحُّ فتُعتَمد ويُصار إليها، أم تَفْسُدُ فتُطَّرح ويُنبى عنها ؟.

ومسألة هذا البحث كسرُ ياء المتكلم المدغم فيها في مثل: لَدَيِّ، وعليِّ، وإليِّ، الأصل: لدى، وعلى، وإلى، فقُلبت الألف في كُلٍّ وأُدغمت في الياء. وفي مثل: مُسلِمِيِّ، ومُعلِّمِيِّ، الأصل: مسلمون ومعلمون، ومسلمين ومعلمين، أسقطت النون فيها كلها للإضافة، وقلبت الواو في الرفع وأدغمت فقلت: جاء مسلميِّ ومعلميِّ، وأدغمت في النصب والجر فقلت: رأيت مسلميِّ ومعلميِّ، ومررت بمسلميِّ ومعلميِّ.

وقد طال كلام النحويين، واللغويين، والمفسرين، في كسر الياء من "مُصرِخِيِّ" في قوله تعالى: "**وقال الشيطان لما قضيَ الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتُكُم فأخلفتُكُم وما كان لي عليكم من سلطانٍ إلا أن دعوتُكُم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بِمُصْرِخِيِّ إني كفرت بما أشركتمون من قبلُ إن الظالمين لهم عذاب أليم**"(١) ما بين مُصَحِّح ومُخَطِّئ فعملت على أن أصل إلى القول الفصل في هذا الحرف، وفي جملة كسر ياء المتكلم المدغم فيها التي يقع فيها هذا الحرف.

وقد أفدت في هذا البحث من كتب النحو والصرف واللغة، وأفدت كثيراً من كتب القراءات والتفسير. وأسأل الله التوفيق.

---

(١) إبراهيم ٢٢.

كسر ياء "مُصْرِخيّ" في الآية الكريمة قراءة يحيى بن وثاب والأعمش[٢]، وحمران بن أعين، وجماعة من التابعين[٣]، وإحدى قراءتي حمزة[٤].

المُخَطِّئونَ لهذه القراءة:

نسب الفراء هذه القراءة إلى الوهم، قال: ولعلها من وهم القراء من طبقة يحيى، فإنه قلَّ من سلم منهم من الوهم، ولعله ظن أن الباء في بِمُصْرِخيّ خافضة للحرف كله، والياء من المتكلم، خارجة من ذلك[٥].

وقال الأخفش: وبلغنا أن الأعمش قال: بمصرخيِّ، فكسره. وهذه لحن لم نسمع بها من أحد من العرب، ولا من أهل النحو[٦].

---

(٢) انظر: الفراء – معاني القرآن ٧٥/٢، النحاس – إعراب القرآن ٣٦٨/٢، الفارسي – الحجة ١٦/٣، الرازي – التفسير الكبير ١١٤/١٩، ابن الجزري – النشر ٢٩٩/٢، الألوسي – روح المعاني ٢٠٩/١٣-٢١٠.
يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي، مولى بني أسد. تابعي. قرأ القرآن كله على عبيد بن نضيلة، وقرأ عليه: الأعمش وطلحة بن مصرف، وأبو حصين الأسدي، وحمران بن أعين. توفي ١٠٣هـ. الذهبي– معرفة القرّاء الكبار ٦٢/١ – ٦٥.
الأعمش: أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكوفي. تابعي. قرأ على يحيى بن وثاب وغيره، وقرأ عليه حمزة الزيات وغيره. كان صاحب سنة. توفي ١٤٨هـ. الذهبي – معرفة القراء الكبار ٩٤/١-٩٦.
القراء الكبار ٦٢/١-٦٥.

(٣) انظر: المنتجب – الفريد في إعراب القرآن المجيد ١٦٠/٣-١٦١، ابن الجزري – النشر ٢٩٩/٢.
حمران بن أعين مولى بني شيبان، كوفي مقرئ كبير. قرأ على يحيى بن وثاب وغيره، وقرأ عليه حمزة. قال ابن معين: ضعيف. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال أبو داود: كان رافضيا. توفي في حدود ١٣٠هـ. الذهبي – معرفة القراء الكبار ٧٠/١-٧١.

(٤) ابن مجاهد – السبعة في القراءات ٣٦٢، الفارسي – الحجة ١٦/٣. حمزة بن حبيب الزيات، أبو عمارة، أحد القراء السبعة. كوفي. توفي بحلوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٥٦هـ. ابن الجزري – تحبير التيسير ١١٠.

(٥) الفراء – معاني القرآن ٧٥/٢. وانظر: ابن قتيبة – تأويل مشكل القرآن ٦٢، أبا حيان – البحر المحيط ٤٠٨/٥، الألوسي – روح المعاني ٢١٠/١٣.

(٦) الأخفش الأوسط – معاني القرآن ٣٧٥/٢. وانظر: تفسير البغوي بهامش تفسير الخازن ٣٩/٤، أبا حيان – البحر المحيط ٤٠٨/٥، الألوسي – روح المعاني ٢١٠/١٣.

وقــال أبو عبيد القاسم بن سلام: نراهم غلطوا، ظنوا أن الباء تكسر لما بعدها(٧).

وذهــب الــزجاج إلــى أنهــا رديئة مرذولة عند جميع النحويين. قال: قــرئت بِمُــصْرِخيّ بفــتح الــياء، كــذا قرأه الناس. وقرأ حمزة والأعمش(٨) بمــصرخيِّ، بكــسر الــياء، وهذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة، ولا وجــه لهــا إلا وجــه ضــعيف ذكــره بعــض النحويــين، وذلك أن ياء الإضــافة إذا لــم يكــن قــبلها ساكن حركت إلى الفتح، تقول: هذا غلاميَ قد جــاء، وذلــك أن الاســم المــضمر لمــا كــان علــى حرف واحد وقد مُنع الإعــراب، حُــرِّك بأخــف الحــركات، كمــا تقــول: هــوَ قائم، بفتح الواو، وتقــول: أنَــا قمــت، فتفــتح الــنون. ويجوز إسكان الياء لثقل الياء التي قبلها كــسرة. فــإذا كــان قــبل الياء ساكن حُرِّكت إلى الفتح لا غير، لأن أصلها أن تُحَــرَّك ولا ســاكن قــبلها، وإذا كــان قــبلها ســاكن صارت حركتها لازمة لالــتقاء الــساكنين. ومــن أجــاز بمــصرخيِّ بالكــسر، لزمه أن يقول: "**هي عَــصَايِ أتــوكأ علــيها**"(٩) وأجــاز الفــراء علــى وجه ضعيف الكسر، لأن أصل التقاء الساكنين الكسر، وأنشد:

---

(٧) انظــر: أبا حيان – البحر المحيط ٤٠٨/٥، الألوسي – روح المعاني ٢١٠/١٣. أبو عبيد اللغــوي القاســم بــن ســلام، كــان إمام عصره في كل فن من العلم. أخذ عن أبي زيد الأنــصاري، وأبــي عبيدة، والأصمعي، وأبي محمد اليزيدي، وغيره من البصريين. وأخذ عــن ابــن الأعرابــي، وأبــي زياد الكلابي، والأموي، وأبي عمرو الشيباني، والكسائي، والأحمــر، والفراء. توفي بمكة سنة ٢٢٣، أو ٢٢٤، وقيل: ٢٣٠. انظر: القفطي – إنباه الرواة ١٢/٣–٢٣، السيوطي – بغية الوعاة ٢٥٣/٢–٢٥٤.

(٨) في الأصل: والأعشى. تحريف.

(٩) طه الآية ١٨. وفي الأصل: "هذه عصاي . . ."

قُلْـتُ لها هل لكِ يا تا فِيِّ(١٠) قالت لنا ما أنت بِالمرَضيِّ(١١)

وهـذا الـشعر مما لا يلتفت إليه، وعمل مثل هذا سهل، وليس يعرف قائل هذا الشعر من العرب، ولا هو مما يُحتج به في كتاب الله عز وجل(١٢).

وذكـر النحاس ما قاله الفراء والأخفش في إنكار هذه القراءة وقال: فقد صار هذا بإجماع لا يجوز، وإن كان الفراء قد نقض هذا وأنشد:

قلـت لهاهـل لـك يـا تا فِيِّ قالـت لـنا مـا أنت بالمرضِي

ولا ينبغي أن يُحمل كتاب الله جلَّ وعزَّ على الشذوذ(١٣).

وقال الواحدي: والقراءة الصحيحة فتح الياء في مصرخيَّ، وهو الأصل، لأن ياء الإضافة إذا كان قبلها ساكن، حُرِّكت إلى الفتح لا غير نحو "هدايَ"(١٤).

---

(١٠) في الأصل: ثاء بالمثلثة الفوقية. تحريف.

(١١) بيـتان مـن الرجـز المشطور. نسبا إلى الأغلب العجلي في: أبي حيان – البحر المحيط ٤٠٩/٥، السمين الحلبي – الدر المصون ٩٠/٧-٩١، الألوسي – روح المعاني ٢١٠/١٣. قال السمين الحلبي: ذكر الشيخ أبو شامة أنه للأغلب العجلي، قال (أبو شامة): ورأيته أنا في أول ديوانه، وأول هذا الرجز:

أَقْبَلَ فِي ثَوْبٍ مُعَافِرِيِّ عِنْدَ اخْتِلاطِ اللَّيلِ والعَشِيِّ

الدر المصون ٩١/٧

الأغلـب العجلي: قال البغدادي: هو الأغلب بن عمرو بن عبيدة. أرجز الرجاز، وأرصنهم كلاما، وأصحهم معانـي. قـال ابـن قتيبة في كتاب الشعراء: كان الأغلب جاهليا إسلاميا، وقتل بنهاوند. وهو أول من أطال الرجـز، وكـان الـرجل قـبله يقـول البيت والبيتين إذا فاخر أو شاتم. وعده ابن الأثير في أسد الغابة من الصحابة. انظر: البغدادي – خزانة الأدب ٢٣٩/٢.

(١٢) الـزجاج – معانـي القـرآن وإعرابه ١٥٩/٣-١٦٠. وانظر: مكي بن أبي طالب – الكشف ٢٦/٢-٢٧، مشكل إعراب القرآن ٤٤٨/١، أبا حيان – البحر المحيط ٤٠٨/٥.

(١٣) النحاس – إعراب القرآن ٣٦٨/٢-٣٦٩. وانظر: أبا حيان – البحر المحيط ٤٠٨/٥.

(١٤) البقـرة ٣٨ من قوله تعالى: "فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون". طه ١٢٣ من قوله تعالى: "فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى". وانظر: الواحدي – الوسيط ٢٩/٣.

وذكــر الفخر الرازي أن من النحويين من تكلف بذكر وجه لصحة مثل هذا، إلا أن الأكثرين قالوا: إنه لحن[١٥].

وذكــر أبــو حيان أن جعفرا الصادق رد على حمزة هذه القراءة وقال: أخالفـك فيها[١٦]. وذكر أيضاً أن الكسائي قال: كان نُصير النحوي يحمل قراءة حمزة على اللحن، وكان أهل النحو يحسبونه من حمزة غلطا[١٧].

وضَــعَّفَ الزمخــشري والعكبــري القراءة[١٨]. وذكر الزمخشري أنهم استــشهدوا لهــا ببيت مجهول، وهو بيت الأغلب المتقدم، وقال: وكأنه قَدَّر ياء الإضــافة ســاكنة، فحــركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين، ولكنه غير صــحيح، لأن يــاء الإضــافة لا تكــون إلا مفــتوحة حيث قبلها ألف في نحو "عصايَ"[١٩]، فما بالها وقبلها ياء ؟ فإن قلت: جرت الياء الأولى مجرى الحرف الــصحيح لأجــل الإدغــام، فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن، فحركت بالكسر على الأصل، قلت: هذا قياس حسن، ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر، تتضاءل إليه القياسات[٢٠].

---

(١٥) الفخر – التفسير الكبير ١١٤/١٩.

(١٦) أبو حيان – ارتشاف الضرب ٥٣٦/٢.

جعفــر الــصادق: أبــو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط. من أجلاء التابعــين، ســادس الأئمــة الاثنــي عشر عند الإمامية. مولده بالمدينة، ووفاته بها سنة ١٤٨. الخزرجي – خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٨٧/١.

(١٧) أبو حيان – ارتشاف الضرب ٥٣٧/٢.

الكــسائي: أبــو الحسن علي بن حمزة الكوفي النحوي. أحد القراء السبعة. توفي في رنبوية، قرية من قرى الري، حين توجه إلى خراسان مع الرشيد سنة ١٨٩. انظر: ابن الجزري – تحبير التيسير ١١١-١١٢.

نــصير النحوي: نصير بن أبي نصير الرازي. كان علامة نحويا. جالس الكسائي، وأخذ عنه النحو، وقرأ علــيه القرآن. ورأى الأصمعي، وأبا زيد الأنصاري، وسمع منهما. له مؤلفات حسان، سمعها منه أبو الهيثم الرازي، ورواها عنه. انظر: القفطي – إنباه الرواة ٣٤٧/٣، السيوطي – بغية الوعاة ٣١٦/٢.

(١٨) الزمخشري – الكشاف ٣٧٤/٢، العكبري – التبيان ٧٦٧/٢.

(١٩) طه ١٨.

(٢٠) الزمخــشري – الكــشاف ٣٧٤/٢-٣٧٥. وانظــر: أبا حيان – البحر المحيط ٤٠٨/٥-٤٠٩، الألوسي – روح المعاني ٢١٠/١٣.

ووجهها مكي بن أبي طالب على أنها لغة لبني يربوع، على ما سيأتي، وقال: فالقراءة بكسر الياء فيها بعد من جهة الاستعمال، وهي حسنة على الأصول، ولكن الأصل إذا طرح كان استعماله مكروهاً بعيداً[٢١].

المُصَوِّبُونَ لها:-

هذه القراءة التي نسبها الفراء إلى الوهم، وضعَّفها من ذكرنا، وجعلها مكي بن أبي طالب مكروهة بعيدة، وذكر بعضهم أن الفراء استشهد لها ببيت مجهول، رجع الفراء فأجازها. والرجز للأغلب العجلي، وليس مجهولاً. قال الفراء: وقد سمعت بعض العرب يُنشد، وذكر رجز الأغلب وقال: فخفض الياء من فيِّ، فإن يك ذلك صحيحاً، فهو مما يلتقي من الساكنين، فيُخفض الآخرُ منهما، وإن كان له أصل في الفتح، ألا ترى أنهم يقولون: لم أره مُذُ اليوم، ومُذِ اليوم، والرفع في الذال هو الوجه، والخفض جائز ؟ فكذلك الياء من مصرخيِّ، خفضت ولها أصل في النصب[٢٢].

وذكر أبو حيان أن الفراء قال: وزعم القاسم بن معن أنها صواب، وكان ثقة بصيراً[٢٣].

---

(٢١) مكي – مشكل إعراب القرآن ٤٤٩/١.

(٢٢) الفراء – معاني القرآن ٧٦/٢.

(٢٣) أبو حيان – ارتشاف الضرب ٥٣٦/٢، البحر المحيط ٤٠٩/٥.

القاسم بن معن بن عبد الرحمن ابن الصحابي عبد الله بن مسعود النحوي القاضي الكوفي. صنف: النوادر في اللغة، وغريب المصنف، وكتبا في النحو. أخذ عنه محمد بن زياد الأعرابي اللغوي الراوية. وأخذ عنه الليث بن المظفر نحوا ولغة. توفي سنة ١٧٥، وقيل ١٨٨. انظر: القفطي – إنباه الرواة ٣٠/٣-٣١، السيوطي – بغية الوعاة ٢٦٣/٢.

وأجاز هذه القراءة ابن خالويه[٢٤]، وابن زنجلة[٢٥]، وابن الأنباري[٢٦]، والمُنتجب الهمذاني[٢٧]، وأبو حيان[٢٨]، وابن الجزري[٢٩]، والبنا[٣٠]، والألوسي[٣١]، وقبل هؤلاء إمام النحو واللغة والقراءة أبو عمرو بن العلاء[٣٢].

وجهها في القياس:

وجهت هذه اللغة ثلاثة توجيهات، وهي:

الأول: ما ذكره الفراء وغيره أنها مما يلتقي من الساكنين، فيُخفض الآخِرُ منهما، لأن ياء المتكلم حركتها حركة بناء لا إعراب، والعرب تكسر لالتقاء الساكنين كما تفتح[٣٣].

---

(٢٤) الحجة في إعراب القراءات السبع ١٧٨، إعراب القراءات السبع وعللها ١/٣٣٥-٣٣٦.

(٢٥) حجة القراءات ٣٧٧-٣٧٨.

(٢٦) البيان في غريب إعراب القرآن ٢/٥٧.

(٢٧) الفريد في إعراب القرآن المجيد ٣/١٥٨-١٦١.

(٢٨) البحر المحيط ٥/٤٠٩.

(٢٩) النشر في القراءات العشر ٢/٢٩٨.

(٣٠) إتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٧-١٦٨.

(٣١) روح المعاني ١٣/٢٠٩-٢١٠.

(٣٢) انظر: ابن خالويه – إعراب القراءات السبع وعللها ١/٣٣٥، ابن زنجلة – حجة القراءات ٣٧٨، أبا حيان – ارتشاف الضرب ٢/٥٣٦، البحر المحيط ٥/٤٠٩، ابن الجزري – النشر ٢/٢٩٨، البنا – إتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٧، الألوسي – روح المعاني ١٣/٢١٠.

أبو عمرو بن العلاء البصري. من القراء السبعة. ليس فيها ولا في العشرة من العرب غيره وغير ابن عامر. توفي بالكوفة سنة ١٥٤. ابن الجزري – تحبير التيسير ١٠٧-١٠٨.

(٣٣) انظر: الفراء – معاني القرآن ٢/٧٦، ابن خالويه – الحجة في القراءات السبع ١٧٨، إعراب القراءات السبع وعللها ١/٣٣٥-٣٣٦، ابن زنجلة – حجة القراءات ٣٧٧-٣٧٨، تفسير البغوي بهامش تفسير الخازن ٤/٣٩، ابن الأنباري – البيان في غريب إعراب القرآن ٢/٥٧، العكبري – التبيان في إعراب القرآن ٢/٧٦٧، إعراب القراءات الشواذ ١/٧٣٤، المنتجب – الفريد في إعراب القرآن المجيد ٣/١٥٨، القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ٢/٢٩٨-٢٩٩، ابن الجزري – النشر ٢/٢٩٨-٢٩٩، البنا – إتحاف فضلاء البشر ٢/١٦٧-١٦٨، الألوسي – روح المعاني ١٣/٢٠٩-٢١٠.

ولا وجــه لمــا ذهب إليه النحاس، والواحدي، والقرطبي، أن ياء النفس فــيها لغتان: الفتح والتسكين إذا لم يكن قبلها ساكن مثل: غلامِيَ، وغلامِيْ، فإذا كان قبلها ساكن فالفتح لا غير(٣٤).

ولا وجه لما ذهب إليه الزجاج والنحاس أن من أجاز بمصرخيّ بالكسر، لــزمه أن يقــول: " **هي عَصَايِ أتوكأ عليها** "(٣٥)، فقد قرئ بها، أثبت ذلك أبو حــيان، وهو مقدم على من نفى، قال: وإذا أضفت المقصور قلت: "عصايَ" في الأحــوال الــثلاثة، والياء مفتوحة، وقد تكسر نحو "عصايِ". وتسكينها بعد ألف كقراءة نافع(٣٦) "ومحيايْ" في الوصل(٣٧)، من إجراء الوصل مجرى الوقف(٣٨).

ولا وجه لما ذهب إليه الزمخشري أن قراءة الكسر في بمصرخيِّ حسنة في القياس، ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه القياسات(٣٩)، فإنها حسنة في القياس والاستعمال أيضاً.

ومن التحريك بالكسر لالتقاء الساكنين قوله تعالى: "**أولئك الذين اشتروا الــضلالة بالهــدى**"(٤٠) قــرئت الــواو فــي "اشتروا" بالضم، والكسر، والفتح، والاخــتلاس، وقلــبها همزة. كل ذلك للتبلغ بالحركة لاضطرار الساكنين إليها. ولكل قراءة من هذه القراءات الخمس وجهها وخصوصيتها(٤١).

---

(٣٤) انظر: النحاس – إعراب القرآن ٣٦٨/٢، الواحدي – الوسيط ٢٩/٣، القرطبي – الجامع لأحكام القرآن ٩ /٣٥٧.

(٣٥) طه ١٨. وانظر: الزجاج – معاني القرآن وإعرابه ١٥٩/٣، النحاس – إعراب القرآن ٣٦٨/٢.

(٣٦) نافــع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني. من القراء السبعة. توفي بالمدينة ١٦٩. ابن الجزري – تحبير التيسير ١٠٥.

(٣٧) الأنعام ١٦٢، من قوله سبحانه: "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين".

(٣٨) أبو حيان – ارتشاف الضرب ٥٣٧/٢. وانظر: البحر المحيط ٤٠٩/٥.

(٣٩) الزمخشري – الكشاف ٣٧٥/٢.

(٤٠) البقرة ١٦.

(٤١) انظــر: الــزجاج – معاني القرآن وإعرابه ٨٩/١، ابن مجاهد – السبعة في القراءات ١٤٥، الفارسي – الحجة ٢٣٠/١–٢٣٣، ابن جني – المحتسب ٥٤/١–٥٥، الخصائص ٣٣٧/٢، سر صناعة الإعراب ٧٧٧/٢ –٧٧٨، العكبري – التبيان ٣٢/١، ابن منظور – لسان العرب: شرى.

ومـــن التحريك بالكسر لالتقاء الساكنين قوله تعالى: "**يكاد البرق يخطف أبصارهم**"(٤٢). في يخطف قراءات: الأولى: يَخْطَفُ، بتسكين الخاء وفتح الطاء، يُقال: خَطِفَ يَخْطَفُ. والثانية: يَخْطِفُ، بتسكين الخاء وكسر الطاء، يُقال: خَطَفَ يَخْطِفُ. والثالثة: يَخَطِّفُ، بفتح الخاء وتشديد الطاء مكسورة. والرابعة: يَخِطِّفُ، بكــسر الخاء وتشديد الطاء مكسورة. والخامسة: يَخْطِّفُ، بتسكين الخاء وتشديد الطـــاء مكـــسورة، بالجمع بين الساكنين. والسادسة: يِخِطِّفُ، بكسر الياء والخاء وتشديد الطاء مكسورة(٤٣).

والقـــراءات الأربع الأخيرة من: اختطف يختطف، بوزن: افتعل يفتعل. والكـــسر لالـــتقاء الساكنين في قراءة ":يَخِطِّفُ"، فقد سكنت الخاء في يَخْتَطِفُ، وسكنت التاء بعد إبدالها طاء وإدغامها، لقرب مخرجي الحرفين، فكسرت الخاء لالـــتقاء الـــساكنين. وهـــذا أحد توجيهي هذه القراءة. وأنكره الفراء، وذهب في التوجـــيه الثاني إلى أن الخاء كسرت طلباً لكسرة الألف في اختطف. قال: وأما مـــن كـــسر الخاء فإنه طلب كسرة الألف في اختطف والاختطاف. وقد قال فيه بعـــض النحويـــين: إنما كسرت الخاء لأنها سكنت وأُسكنت التاء بعدها، فالتقى ســـاكنان، فخفـــضت الأول. كما قال: اضربِ الرّجلَ، فخفضت الباء لاستقبالها اللام. وليس الذي قالوا بشيء، لأن ذلك لو كان كما قالوا لقالت العرب في يَمُدُّ: يَمِدُّ، لأن الميم ساكنة، وسكنت الأولى من الدالين. ولقالوا في يَعَضُّ: يَعِضُّ(٤٤).

وردَّ الـــزجاج إنكـــار الفـــراء الكـــسر لالتقاء الساكنين، قال: ومن قال يَخِطِّـــفُ، كسر الخاء لسكونها وسكون الطاء. وزعم بعض النحويين أن الكسر لالتقاء الساكنين ها هنا خطأ، وأنه يلزم من قال هذا أن يقول في يَعَضُّ: يَعِضُّ، وفي يَمُدُّ: يَمِدُّ. وهذا خلط غير لازم، لأنه لو كسر ها هنا لالتبس ما أصله يَفْعَل

---

(٤٢) البقرة ٢٠.

(٤٣) انظـــر: الفـــراء – معانـــي القرآن ١/١٧-١٨، الأخفش – معاني القرآن ١/٥٠، الزجاج – معاني القرآن وإعرابه ١/٩٥-٩٦، ابن منظور لسان العرب: خطف.

(٤٤) الفراء – معاني القرآن ١/١٨.

ويَفعُلُ بما أصله يَفعِلُ، ويَخطِّفُ ليس أصله غير هذا، ولا يكون مرة على يَفتَعِلُ، ومرة على يَفتَعِلُ[٤٥]، فكسر لالتقاء الساكنين في موضع غير ملبس، وامتنع في الملبس من الكسر لالتقاء الساكنين، وأُلزم حركة الحرب الذي أدغمه لتدل الحركة عليه[٤٦].

ومن التحريك بالكسر لالتقاء الساكنين قوله تعالى: "**أفَمَنْ يَهْدِي إلى الحقِّ أحَقُّ أنْ يُتَّبَعَ أمَّن لا يَهِدِّي إلا أن يُهْدَى**"[٤٧] في يَهدِّي سبع قراءات: الأولى: يَهْدِي، بتسكين الهاء وكسر الدال مخففة. والثانية: يَهْدْي، بتسكين الهاء والدال، بالجمع بين الساكنين. والثالثة: يَهَدِّي، بفتح الهاء وكسر الدال مشددة. والرابعة: يَهَـدِّي، باختلاس فتحة الهاء وكسر الدال مشددة، والاختلاس، والإخفاء، والإشمام، وتضعيف الصوت، والإشارة، واحد، وهو الإتيان بثلثي الحركة وحذف ثلثها الأخير. والخامسة: يَهْدِّي، بتسكين الهاء وكسر الدال مشددة، بالجمع بين الساكنين. والسادسة: يَهِدِّي، بكسر الهاء وتشديد الدال مكسورة. والسابعة: يِهِدِّي، بكسر الياء والهاء وتشديد الدال مكسورة.

والقراءات الخمس الأخيرة من اهتدى يهتدي. والكسر لالتقاء الساكنين في قراءة يَهِدِّي. وهي قراءة عاصم[٤٨]، وحفص بن سليمان[٤٩]، ويعقوب[٥٠]. والقول فيها نحوه في قراءة يَخِطِّفُ المتقدمة[٥١].

---

(٤٥) في الأصل: يـفـتـَعـَلُ. تحريف.

(٤٦) الزجاج – معاني القرآن وإعرابه ١/٩٥-٩٦. وانظر: ابن منظور – لسان العرب: خطف.

(٤٧) يونس ٣٥.

(٤٨) عاصم بن أبي النجود الكوفي، أبو بكر. من التابعين، وأحد القراء السبعة. توفي بالكوفة سنة ١٢٨. ابن الجزري – تحبير التيسير ١٠٩.

(٤٩) حفص بن سليمان الكوفي، أبو عمر، ويعرف بحُفيص. راوية عاصم الكوفي. توفي سنة ١٨٠. انظر: ابن الجزري – تحبير التيسير ١١٠.

(٥٠) يعقوب بن إسحاق الحضرمي مولاهم، أبو محمد. من القراء العشرة. توفي بالبصرة سنة ٢٠٥. انظر: ابن الجزري – تحبير التيسير ١١٣.

(٥١) انظر: الزجاج – معاني القرآن وإعرابه ٣/١٩-٢٠، ابن مجاهد – السبعة في القراءات ٣٢٦، ابن جني – سر صناعة الإعراب ١/٥٧، مكي بن أبي طالب – الكشف ١/٥١٨-٥١٩، الواحدي – الوسيط ٢/٥٤٧، ابن أبي مريم – الموضح في وجوه القراءات وعللها ٢/٦٢٣-٦٢٥، ابن منظور – لسان العرب: هدى، ابن الجزري – تحبير التيسير ٣٩٩، النشر ٢/٢٨٣، البنا – إتحاف فضلاء البشر ٢/١٠٩-١١١.

ومـــن التحـــريك بالكــسر لالـــتقاء الساكنين قوله تعالى: "**ما ينظرون إلا صـــيحةً واحـــدةً تأخـــذهم وَهُـــمْ يَخِصِّمُونَ**"[٥٢] في يخصمون ست قراءات: الأولـــى: يَخْــصِمون، بـــسكون الخـــاء وكـــسر الـــصاد مخففـــة. والثانـــية: يَخَــصِّمون، بفـــتح الخـــاء وتـــشديد الـــصاد مكـــسورة. والثالثة: يَخَصِّمون، باخـــتلاس فـــتحة الخـــاء وكـــسر الصاد مشددة. والرابعة: يَخْصِّمون، بتسكين الخـــاء وكـــسر الـــصاد مـــشددة، بالجمع بين الساكنين. والخامسة: يَخِصِّمون، بكـــسر الخـــاء والـــصاد مـــشددة. والـــسادسة: يِخِصِّمون، بكسر الياء والخاء وتشديد الصاد مكسورة.

والقراءات الخمس الأخيرة من اختصم يختصم. والكسر لالتقاء الساكنين فـــي قراءة يَخِصِّمون، وهي قراءة ابن عامر[٥٣]، وعاصم، والكسائي، ويعقوب. والقول فيها نحوه في قراءتي: يَخِطِّفُ، ويَهِدِّي[٥٤].

ومن التحريك بالكسر لالتقاء الساكنين قوله:

فـــوالله لولا بُغْضُكُمْ ما سَبَبْتُكُمْ ولكنَّنـــي لم أجْدِ مِنْ سَبِّكُمْ بُدَّا [٥٥]

---

(٥٢) يس ٤٩.

(٥٣) عـــبد الله بـــن عامر اليحصبي، أبو عمران. شامي تابعي. من القراء السبعة، ليس فيها ولا في العـــشرة من العرب غيره وغير أبي عمرو، والباقون موال. توفي بدمشق سنة ١١٨. ابن الجزري – تحبير التيسير ١٠٨.

(٥٤) انظـــر: الزجاج – معاني القرآن وإعرابه ٢٨٩/٤-٢٩٠، ابن جني – سر صناعة الإعراب ٥٧/١، مكي بـــن أبـــي طالب – الكشف ٢١٧/٢-٢١٨، الواحدي – الوسيط ٥١٥/٣، ابن أبي مريم – الموضح في وجوه القراءات وعللها ١٠٧٤/٣-١٠٧٥، ابن منظور – لسان العرب: خصم.

(٥٥) البـــيت مـــن البحر الطويل. وهو دون نسبة في: الزبيدي – تاج العروس: وجد. والشطر الثاني دون نسبة أيضا في: ابن جني – الخصائص ٣٣٣/٢.

أراد: لم أجِذ، فأسكن الجيم استثقالاً للكسرة، والدال ساكنة، فحرّكها لالتقاء الـــساكنين، الفـــتح طلباً للخفة، والكسر على الأصل في التقاء الساكنين. والبيت بالروايتين. وكسر الدال عن القزاز(٥٦).

ومـــن التحـــريك لالـــتقاء الـــساكنين لغات بني تميم في آخر الأمر من المـــضاعف، فإنهم مختلفون في ذلك، فمنهم من يُتبع فيقول: مُدُّ، وفرِّ، وعَضَّ. ومـــنهم مـــن يكسر فيقول: مُدِّ، وفرِّ، وعَضِّ. ومنهم من يفتح فيقول: مُدَّ، وفرَّ، وعَضَّ. والتحريك في ذلك كله ليس إعراباً ولا بناء، وإنما هو لالتقاء الساكنين، يُتبعون، أو يكسرون على الأصل في التقاء الساكنين، أو يفتحون طلباً للخفة(٥٧).

ومـــن التحريك لالتقاء الساكنين اسم فعل الأمر "أُفّ"، ففيه ثماني لغات: أُفِّ، وأُفَّ، وأُفُّ، وأُفٍّ، وأُفًّا، وأُفٌّ، وأُفِّـــي ممال، وهو الذي تقول فيه العامة أُفِّـــي، وأُفْ خفـــيفة. والحـــركة في اللغات السبع الأول لالتقاء الساكنين، ليست إعـــراباً ولا بـــناءً. فمـــن كسر فعلى أصل الباب. ومن ضم فللإتباع. ومن فتح فللاستخفاف. ومن لم ينون أراد التعريف. ومن نوَّن أراد التنكير. ومن أمال بناه على فُعْـــلَى(٥٨).

ومـــن التحـــريك لالتقاء الساكنين "حيثُ"، بضم الثاء وفتحها وكسرها، والحـــركة فيها بناء، وإنما بُنيت لأنها تفتقر إلى الإضافة في فهم معناها، فجرت

---

(٥٦) القـــزاز: أبـــو عبد الله محمد بن جعفر القزاز التميمي النحوي. من مصنفاته: الجامع في اللغة، وضـــرائر الشعر، وإعراب الدريدية، والضاد والظاء، والعشرات في اللغة، وما أخذ على المتنبي، والتعـــريض والتـــصريح، وأدب الـــسلطان. توفـــي بالقيروان سنة ٤١٢ عن نحو تسعين. انظر: السيوطي – بغية الوعاة ٧١/١.

(٥٧) انظر: ابن جني – الخصائص ٣٦/٣-٣٧.

(٥٨) السابق ٣٧/٣-٣٨.

مجـرى الحـرف الذي لا بد له من غيره. فمن ضمها شبهها بقبلُ وبعدُ. ومن فتحها طلب الخفة. ومن كسرها فعلى الأصل في التقاء الساكنين(٥٩).

الثانـي: أنها لمطابقة كسرة إنَّ بعدها، "**وما أنتم بِمُصرِخِيِّ إني كفرت بما أشركتمون من قبل**" ويقال أيضاً: الإتباع، والتجانس، والتناسب، والتقريب. لأنه أراد الوصل دون الوقف، فلما أراد هذا المعنى، كان كسر الياء أدلَّ على هذا من فتحها(٦٠).

أقـول: وأريـد أيـضا مطابقة كسرتي الخاء والراء قبلها، لأن بين ياء المـتكلم المكسورة، والخاء والراء المكسورتين، ياء الجمع الساكنة، وهي حاجز غير منيع.

والمطابقـة فـي اللغـة باب واسع، يُحمل عليها مثلا قراءة فتح الواو المـتقدمة في قوله تعالى: "**أولئك الذين اشتَرَوا الضلالة بالهدى**"(٦١) فتحت الواو في: " **اشتَرَوَا الضلالة**" لمطابقة فتحتي الراء والتاء قبلها، ولمطابقة فتحتي الضاد واللام بعدها في الضلالة، لأن الضاد المدغمة ساكنة، والساكن حاجز غير منيع. وهذا لا يُنافي حمل ابن جني والعكبري الفتح طلبا للخفة مع ثقل الواو(٦٢).

ويُحمـل علـى المطابقة أيضا القراءات: يَخِطِّفُ، ويَهِدِّي، ويَخِصِّمون المتقدمة، بكسر الحرف الذي يسبق الحرف المشدد في هذه الكلمات الثلاث، فقد أتبعت كسرته كسرة الحرف المشدد، وأول الحرفين المدغمين ساكن غير منيع.

---

(٥٩) ابن الخباز – توجيه اللمع ٧٠.

(٦٠) انظـر: ابـن الأنباري – البيان ٥٧/٢، المنتجب – الفريد في إعراب القرآن المجيد ١٦٠/٣، الألوسي – روح المعاني ٢١٠/١٣.

(٦١) البقرة ١٦. وانظر قراءة الفتح في: الزجاج – معاني القرآن وإعرابه ٩١/١، ابن جني – المحتسب ٥٤/١ ، الخصائص ٣٣٧/٢، سر صناعة الإعراب ٧٧٧/٢-٧٧٨، العكبري – التبيان ٣٢/١.

(٦٢) ابن جني – المحتسب ٥٥/١، العكبري – التبيان ٣٢/١.

ومن كسر الياء فيما تقدم، فقد اتبع كسرتها كسرة ما بعدها.

ومــن كانــت لغته كسر الياء، وهو ما يعرف بتلتلة بهراء(٦٣)، فقد أتبع كسرة الحرف الذي بعدها كسرتها، وكسرة الحرف المشدد بعده.

ويُخَطِّــئ الفــراء أن تكون كسرة الحرف الثاني في هذه الكلمات تبعت كــسرة الحرف المشدد، لتوجيهه المتقدم لقراءة يَخطِّف، فقد ذهب إلى أن كسرة الخاء فيها إنما كان لكسرة الألف في اختطف والاختطاف. وكذا من خفض الياء والخــاء، فإنــه أيــضاً مــن طلبه كسرة الألف، لأنها كانت في ابتداء الحرف مكسورة(٦٤).

ولــيس الــذي قاله شيئا، وقد تقدم في توجيه القراءة رد الزجاج عليه. وأيضا فإن طلب كسرة الألف أمر تخيلي، وليس له دور عملي في نطق قراءتي: يَخطِّف ويِخطِّف.

ويُحمل على المطابقة أيضا قول النابغة:

كِلينــي لِهَــمٌ يــا أُمَــيْمَةَ نَاصب وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكب (٦٥)

فأحد توجيهي المنادى أن فتحة التاء في أميمة لمطابقة فتحتي الميم والنون قبلها وبعدها(٦٦).

---

(٦٣) مجــالس ثعلــب ٨١/١. وجعل سيبويه ذلك لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز. ولم يطلق الفعل المضارع. انظــر: ســيبويه – الكتاب تحقيق هارون ١١٠/٤-١١٣. ولعل نسبة هذه اللغة إلى بهراء لاستمرارها فيهم، وغلبتها عليهم، فإن العرب بعد استقرار الفصحى ونزول القرآن، جنحوا إلى الفتح.

(٦٤) الفراء – معاني القرآن ١٨/١.

(٦٥) النابغة الذبياني – الديوان ص٤٠ قصيدة ٣ بيت ١.

(٦٦) انظــر: سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ٢٠٧/٢، الفراء – معاني القرآن ٣٢/٢، السيرافي يوسف بن أبي سعيد – شرح أبيات سيبويه ٢٩٨/١، أبو سنينة – بناء الجملة ٤٠٢/١.

وتكلـم سـيبويه علـى المطابقة في مواضع كثيرة من الكتاب، وسماها الإتباع[٦٧].

مـن ذلك ما يكون في كلمتي "ابنم"، و "امرؤ". وما يكون من اتباع العلم غير المضاف صفته إذا كانت كلمة ابن، أو بنت، أو ابنة، منادى وغير منادى.
قـال: هـذا بـاب ما يكون الاسم والصفة فيه بمنزلة اسم واحد، ينضم فيه قبل الحـرف المـرفوع حـرف، وينكسر فيه قبل الحرف المجرور الذي ينضم قبل المرفوع، وينفتح فيه قبل المنصوب ذلك الحرف، وهو ابنم وامرؤ. فإن جررت قلـت: في ابنمٍ وامرئٍ، وإن نصبت قلت: ابنمًا وامرأً، وإن رفعت قلت: هذا ابنمٌ وامرؤٌ. ومثل ذلك قولك: يا زيدَ بنَ عمرو، وقال الراجز وهو من بني الحِرْماز:

يا حكمَ بنَ المُنْذِرِ بنِ الجَارُودْ

وقال العجاج:

يا عمرَ بنَ مَعْمَرٍ لا مُنْتَظَرْ [٦٨]

وإنمـا حملهـم على هذا أنهم أنزلوا الرفعة التي في قولك: زيدُ، بمنزلة الـرفعة في راء امرؤٌ، والجرة بمنزلة الكسرة في الراء، والنصبة كفتحة الراء، وجعلوه تابعاً لابن. ألا تراهم يقولون: هذا زيدُ بنُ عبد الله ؟ ويقولون: هذه هندُ بـنتُ عـبد الله، فيمن صرف ؟ فتركوا التنوين ها هنا لأنهم جعلوه بمنزلة اسم واحد لما كثر في كلامهم، فكذلك جعلوه في النداء تابعا لابن[٦٩].

(٦٧) انظـر: سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ١/٤٣٦، ٢/٢٠٣-٢٠٤، ٣/٥٣٢-٥٣٤، ٤/١٠٧-١٠٩، ١٤٦-١٤٧، ١٧٤، ١٩٦.

(٦٨) البيت من الرجز المشطور. وهو للعجاج في ديوانه ٤٧.

(٦٩) سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ٢/٢٠٣-٢٠٤.

ومن ذلك إتباع الثاني الأول في الفعل المضعف. قال: اعلم أن منهم من يحـــرك الآخـــر كتحـــريك ما قبله، فإن كان مفتوحاً فتحوه، وإن كان مضموماً ضـــموه، وإن كـــان مـــسكوراً كسروه، وذلك قولك: رُدُّ، وعَضَّ، وفرِّ يا فتى. واقـــشعرِّ، واطمئنِّ، واستعدِّ، واجترَّ، واحمرَّ، وضَارَّ، لأن قبلها فتحة وألفاً، فهي أجـــدر أن تفـــتح. ورُدُّنا، ولا يُشلِّكم الله، وعَضَّنا، ومُدُّني إليك، ولا يُشلِّك الله، وليعَضَّكم[٧٠].

ومن ذلك ضم همزة الوصل في الفعلين الماضي والأمر. قال: واعلم أن الألـــف الموصـــولة فـــيما ذكرنا في الابتداء مكسورة أبداً، إلا أن يكون الحرف الـــثالث مضموماً فتضمها، وذلك قولك: اقتُل، استُضعف، احتُقر، احرُنجم. وذلك أنك قَرَّبت الألف من المضموم إذ لم يكن بينهما إلا ساكن، فكرهوا كسرة بعدها ضـــمة، وأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، كما فعلوا ذلك في: مُذُ اليوم يا فتـــى، وهـــو فـــي هذا أجدر، لأنه ليس في الكلام حرف أوله مكسور والثاني مـــضموم. وفُعل هذا به كما فُعل بالمدغم إذا أردت أن ترفع لسانك من موضع واحد. وكذلك أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد. ودعاهم ذلك إلى أن قالوا: أنـــا أجوءُك، وأُنْبُؤُك، وهو مُنْحَدُرٌ من الجبل. أنبأنا بذلك الخليل. وقالوا أيضاً: لإمِّكَ. وقالوا:

اضربِ الساقينِ إمُّك هابلٌ[٧١]

فكسرهما جميعاً، كما ضَمَّ في ذلك[٧٢].

---

(٧٠) السابق ٣/٥٣٢. وانظر لغات بني تميم في آخر الأمر من المضاعف في: ابن جني – الخصائص ٣/٣٦-٣٧.

(٧١) شـــطر بـــيت مـــن الطويل، وهو بتمامه: وقال اضرب الساقين أمك هابل. وهو دون نسبة في: سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ٤/١٤٦، ابن جني – الخصائص ٢/١٤٥ بلفظ: الساقين إمِّك.

(٧٢) سيبويه – الكتاب ٤/١٤٦-١٤٧. يريد: كما ضم النون في الساقين، والهمزة في أمك، أتبع الأول الثاني.

ومن ذلك كسر الفاء من فَعِل فعلا أو اسما أو صفة، إذا كان ثانيه حرفاً حلقـيًا. وكـذلك فَعيل إذا كان ثانيه كذلك. قال: هذا باب الحروف الستة إذا كان واحد منها عينا، وكانت الفاء قبلها مفتوحة وكان فَعلا. إذا كان ثانيه من الحروف الستة فإنَّ فيه أربع لغات، مطرد فيه: فَعِل، وفِعِل، وفَعْل، وفِعْل، إذا كان فعلا أو اسـما أو صـفة فهـو سواء. وفي فَعيل لغتان: فَعيل، وفِعيل إذا كان الثاني من الحـروف الستة. مطرد ذلك فيهما، لا ينكسر في فَعِيل ولا فَعِل. إذا كان كذلك كسرت الفاء في لغة تميم، وذلك قولك: لِئيم، وشِهيد، وسِعيد، ونِحيف، ورِغيف، وبِخيل، وبِئيس. وشِهِدّ، ولِعِبٌ، وضِحِكٌ، ونِغِلٌ[٧٣]، ووِخِمٌ. وكذلك فَعِلٌ إذا كان صفة أو فعلا أو اسما، وذلك قولك: رَجُلٌ لِعِبٌ، ورجل مِحِكٌ، وهذا ماضغٌ لِهِمٌ، وهذا رجل وِعِكٌ، ورجل جِئِزٌ، يُقال: جَئِزَ الرجل إذا غصَّ، وهذا عَيْرٌ نِعِرٌ[٧٤]، وفِخِذ.

وإنما كان هذا في هذه الحروف، لأن هذه الحروف قد فعلت في يَفْعَلُ ما ذكـرت لك حيث كانت لامات من فتح العين. ولم تُفتح هي أنفسها هنا لأنه ليس في الكلام فَعَيْل، وكراهة أن يلتبس فَعِل بفَعَل، فيخرج من هذه الحروف فَعَل[٧٥]، فلزمها الكسر هنا، وكان أقرب الأشياء إلى الفتح، وكانت من الحروف التي تقع الفـتحة قبلها لما ذكرت لك[٧٦]، فكسرت ما قبلها حيث لزمها الكسر. وكان ذلك أخـف عليهم حيث كانت الكسرة تشبه الألف، فأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، كما أنهم إذا أدغموا فإنما أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم من موضع واحد[٧٧].

---

(٧٣) نغل الأديم نغلا فهو نغل: فسد في الدباغ، عفن وتهرى. ورجل نغِلٌ ونـَـغـْـلٌ: فاسد النسب: ابن منظور – لسان العرب: نغل.

(٧٤) عير نعر: كثير النعير، أي الصياح. ابن منظور – لسان العرب: نعر.

(٧٥) في الأصل في الكتاب بتحقيق هارون فـَعـِل. وكذا في طبعة بولاق ٢٥٥/٢.

(٧٦) انظر: سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ١٠١/٤.

(٧٧) السابق ١٠٧/٤-١٠٨.

ومـــن ذلـــك كـــسر الـــنون والـــباء فـــي نِعْـــمَ وبِئْسَ من أجل حرفي الحلـــق. قـــال ابـــن الـــسراج: نِعْـــمَ وبِئْسَ فعلان ماضيان، كان أصلهما نَعِمَ وبَـــــئِسَ، فكُـــسرت الفـــاءان مـــن أجـــل حرفـــي الحلق وهما العين في نَعِمَ، والهمـــزة فـــي بَـــئِسَ، فـــصارا: نِعِمَ وبِئِس، كما تقول: شِهِدَ، فتكسر الشين مـــن أجـــل انكـــسار الهـــاء. ثـــم أســـكنوا لها[78] العين من نِعِمَ، والهمزة من بِـــئِسَ، كمـــا يـــسكنون الهـــاء من شِهِدَ فيقولون: شِهْدَ، فقالوا: نِعْمَ وبِئْسَ . . . ففي نِعْمَ أربع لغات: نَعِمَ، ونِعِمَ، ونِعْمَ، ونَعْمَ[79].

ومن المطابقة لم يَلْدَهُ، ولم أَجْدَ، في قول أحدهم:

ألا رُبَّ مولـــود وليس له أبُ وذي وَلَـــدٍ لـــم يَلْـــدَهُ أَبَوانِ[80]

لأنـــه أراد: لـــم يَلِدْهُ، فأسكن اللام استثقالاً للكسرة، وكانت الدال ساكنة، فحركها لالتقاء الساكنين. وقول الآخر:

فـــواللهِ لولا بُغْضُكم ما سَبَبْتُكم ولكنَّـــي لم أَجْدَ منْ سَبِّكُمْ بُدّا[81]

أي لم أجد، فأسكن الجيم، وحرك الدال على ما مضى[82].

---

(٧٨) يعني للكسرة.

(٧٩) ابن السراج – الأصول في النحو ١/١١١. وفي الأصل تحريفات كثيرة. وانظر: تقريرات السيرافي على هامش الكتاب طبعة بولاق ١/٣٠٠.

(٨٠) البـــيت من البحر الطويل. وهو في: سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ٤/١١٥. بلفظ: عجبت لمولود، أنشده الخلـــيل لـــرجل من أزد السراة. وهو أول ثلاثة أبيات في: السيوطي – شرح شواهد المغني ١/٣٩٨-٣٩٩، وفـــيه: قال ابن يسعون: هذه الأبيات لرجل من أزد السراة، وقيل: هي لعمرو الجنبي. والبيت دون نسبة في: ابن جني – الخصائص ٢/٣٣٣، ابن يعيش – شرح المفصل ٩/١٢٦، السمين الحلبي الدر المصون ١/٤٦٣.

(٨١) تقدم برقم (٥٥).

(٨٢) انظر: ابن جني – الخصائص ٢/٣٣٣، الزبيدي – تاج العروس: وجد.

فتحـــريك الـــدال في الفعلين بالفتح من طلب الخفة، ومن الإتباع أيضاً، تبعت فتحة الدال فتحة حرف المضارعة، وبينهما حاجز غير منيع.

وأورد ابـــن جنـــي أمـــثلة كثيرة لما كانت الحركة فيه غير لازمة، أي للمطابقة التي سماها الإتباع.(٨٣)

وتقدمت لغات العرب في اسم الفعل المضارع أُفّ، وفي حَيْث، التحريك فـــي الاثنـــين لالتقاء الساكنين. وضم الفاء في الأول منونا وغير منون للإتباع. ذكـــر ذلـــك ابن جني(٨٤). وفتح الثاء في الثاني للتخفيف. ذكر ذلك ابن الخبَّاز، وابن هشام(٨٥). وقال سيبويه: شبهوه بأين(٨٦).

أقول: وفتح الثاء في حيث للإتباع أيضا، تبعت حركة الثاء فتحة الحاء، وبينهما حاجز غير منيع.

ووضع ابن جني لمصطلح المطابقة أو التناسب مصطلح الإدغام الصغير أو الأصـــغر، فـــي مقابل الإدغام الأكبر الذي هو إدغام المثلين. والغرض من كليهما تقريب الصوت من الصوت. وتكلم على كثير من مسائل الإدغام الصغير وقـــال: وجمـــيع ما هذه حاله مما قُرِّب فيه الصوت من الصوت، جارٍ مجرى الإدغـــام فيما ذكرناه من التقريب. وإنما احتطنا له بهذه السمة التي هي الإدغام الـــصغير، لأن فـــي هـــذا إيذانا بأن التقريب شامل للموضعين، وأنه هو المراد المبغي في كلتا الجهتين. فاعرف ذلك(٨٧).

---

(٨٣) انظر: الخصائص ٢/٣٣٣-٣٣٦.

(٨٤) السابق ٣/٣٧-٣٨.

(٨٥) ابن الخباز – توجيه اللمع ٧٠، ابن هشام – مغني اللبيب ١/١٣١.

(٨٦) الكتاب تحقيق هارون ٣/٢٨٦.

(٨٧) انظر: ابن جني – الخصائص ٢/١٣٩-١٤٥.

وقد دعتهم المطابقة، أو الإتباع، أو ما سماه ابن جني الإدغام الصغير أو الأصغر، الذي غرضه تقريب الصوت من الصوت، إلى الإخلال بالإعراب، ومن هذا "**الْحَمْدِ لله رب العالمين**"(٨٨). قال العكبري: ويُقرأ بكسر الدال إتباعاً لكسرة اللام، كما قالوا: المِغيرة(٨٩) ورِغِيف. وهو ضعيف في الآية، لأن فيه إتباع الإعراب البناء، وفي ذلك إبطال للإعراب(٩٠).

ومن هذا بيت الكتاب:

[وقال] اضرب الساقين إمِّك هابلُ(٩١)

قال ابن جني: وأصله: أُمُّك هابل، إلا أن همزة أُمُّك كُسرتْ لانكسار ما قبلها، على حد قراءة من قرأ "فلإِمِّه الثلث"(٩٢)، فصار: إمِّك هابل، ثم أتبع الكسر الكسر، فهجمت كسرة الإتباع على ضمة الإعراب، فابتزتها موضعها، فهذا شاذ لا يُقاس عليه، ألا تراك لا تقول: قِدِرك واسعة، ولا عِدِلك ثقيل، ولا بِنِتك عاقلة ؟(٩٣)

ومن هذا بيت الكتاب أيضا للنعمان بن بشير:

ويلِمِّها في هواءِ الجوِّ طَالِبَةً ولا كَهَذَا الذي في الأرض مطلوبُ(٩٤)

---

(٨٨) الفاتحة ٢. وانظر: ابن جني – الخصائص ١٤٥/٢، العكبري – التبيان ٥/١، أبا حيان – البحر المحيط ١ /١٣١، السمين الحلبي الدر المصون ٤١/١.

(٨٩) في الأصل: المعيرة، بالعين المهملة. تحريف.

(٩٠) العكبري – التبيان ٥/١.

(٩١) تقدم برقم (٧١).

(٩٢) النساء ١١.

(٩٣) سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ١٤٦/٤-١٤٧، ابن جني – الخصائص ١٤١/٣.

(٩٤) سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ١٤٧/٤. والبيت من البحر البسيط. نسب إلى النعمان بن بشير الأنصاري في: سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ١٧٤/٤، وطبعة بولاق ٢٧٢/٢، الشنتمري – تحصيل عين الذهب بذيل الكتاب طبعة بولاق ٢٧٢/٢. ونسب إلى امرئ القيس في: سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ٢٩٤/٢، وطبعة بولاق ٣٥٣/١، الشنتمري – تحصيل عين الذهب بذيل الكتاب طبعة بولاق ٣٥٣/١. وهو في ديوان امرئ القيس ص ٢٢٧ من القصيدة رقم ٤٨، وفيه: ويقال: إنها لإبراهيم بن بشير الأنصاري. يصف عقابا تطلب ذئبا.

ودعـــتهم المطابقـــة أيـــضا إلى إجراء الكلام على غير وجهه، وإلى الإخلال بحركة الإعراب، على تباعد الحروف التي تجرى فيها. قال سيبويه: ومما جرى نعتا على غير وجه الكلام: هذا جحر ضبٍّ خَرِبٍ. فالوجه الرفع، وهـــو كـــلام أكثر العرب وأفصحهم، وهو القياس، لأن الخرب نعت الجحر، والجحـــر رفـــع. ولكن بعض العرب يجرُّه، وليس بنعت للضب، ولكنه نعت للذي أضيف إلى الضب، فجروه لأنه نكرة كالضب، ولأنه في موضع يقع فيه نعـــت الضب، ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد. ألا ترى أنك تقول: هـــذا حَـــبُّ رمانٍ، فإذا كان لك قلت: هذا حبُّ رماني؟ فأضفت الرمان إليك ولـــيس لـــك الرمان، إنما لك الحب. ومثل ذلك: هذه ثلاثة أثوابك. فكذلك يقع علـــى جحر ضب ما يقع على حَبِّ رمان، تقول: هذا جحر ضَبِّي، وليس لك الـــضب، إنمـــا لـــك جحر ضب، فلم يمنعك ذلك من أن قلت: جحرُ ضبي، والجحـــر والضب بمنزلة اسم مفرد، فانجر الخرب على الضب، كما أضفت الجحـــر إليك مع إضافة الضب. ومع هذا أنهم أتبعوا الجر الجر، كما أتبعوا الكسر الكسر نحو قولهم: بِهِم، وبدارِهِم، وما أشبه هذا.

وكلا التفسيرين تفسير الخليل، وكان كل واحد منهما وجهاً من التفسير.

وقـــال الخليل رحمه الله: لا يقولون إلا: هذان جحرا ضبٍّ خربان، من قِبَل أن الضب واحد، والجحر جحران، وإنما يغلطون إذا كان الآخرُ بعدة الأول، وكـــان مذكـــراً مـــثله أو مؤنثا. وقالوا: هذه جِحرةُ ضبابٍ خربةٍ، لأن الضباب مؤنثة، ولأن الجحرة مؤنثة، والعدة واحدة، فَغَلِطوا.

وهذا قول الخليل رحمه الله ولا نُرى إلا هذا والأول سواء، لأنه إذا قال: هـــذا جحرُ ضَبٍّ مُتَهَدِّمٍ، ففيه من البيان أنه ليس بالضب، مثل ما في التثنية من البيان أنه ليس بالضب.

وقال العجاج:

كأنَّ نَسْجَ العنكبوتِ المُرْمَلِ(٩٥)

فالنسج مذكر، والعنكبوت أنثى(٩٦).

الثالث: ما نقله جماعة من أهل اللغة أنها لغة قَلَّ استعمالها(٩٧). وذكر أبو علـي قطرب(٩٨) أنها لغة في بني يربوع، يزيدون على ياء الإضافة ياء، وأنشد لها شاهداً بيت الأغلب المتقدم:

قـال لهـا هـل لـك يا تا فيِّي قالـت لـه مـا أنت بالمرضيِّ(٩٩)

وربما حذفوا الياء، فبقيت الياء المشددة مكسورة(١٠٠).

---

(٩٥) البيت من الرجز المشطور. وهو في ديوان العجاج ١٥٨-١٥٩. ونسب إليه في: السيرافي يوسف بن أبي سعيد – شرح أبيات سيبويه ١/٣٤١-٣٤٢. وبعده:

على ذُرى قُلّامِهِ المُهَدَّلِ سَبُوب كَتَّانٍ بأيدي الغُزَّلِ

ذكر منهلا ورده. المرمل: المنسوج. القلام: ضرب من النبت، وزعموا أنه الذي يعرف بالقاقـلّيّ. المهدل: المدلـى. سُـبُوب: جمـع سِـبّ وهو ثوب من كتان أبيض. شبه ما نسجت العنكبوت على أعالي قلام هذا الماء المدلى، بثياب رقيقة من كتان أبيض.

(٩٦) سيبويه – الكتاب تحقيق هارون ١/٤٣٦-٤٣٧. وانظر: الفراء – معاني القرآن ٢/٧٤-٧٥.

(٩٧) أبو حيان – البحر المحيط ٥/٤٠٩، الألوسي – روح المعاني ١٣/٢١٠.

(٩٨) قطرب: أبو علي محمد بن المستنير. أخذ النحو عن سيبويه، وعن جماعة من العلماء البصريين. يقال: إن سيبويه لقبه قطربا لمباكرته له في الأسحار. والقطرب: دويبة تدب ولا تفتر. توفي سنة ٢٠٦. القفطي – إنباه الرواة ٣/٢١٩.

(٩٩) تقدم برقم (١١).

(١٠٠) انظـر: الفارسي – الحجة ٣/١٦-١٧، مكي بن أبي طالب – مشكل إعراب القرآن ١/٤٤٩، الكشف ٢/ ٢٦، الـواحدي – الوسيط ٣/٢٩، ابن أبي مريم – الموضح ٢/٧١٠، ابن الأنباري – البيان ٢/٥٧، المنتجب – الفـريد ٣/١٥٨، القرطبي – الجامع ٩/٣٥٧، أبا حيان – البحر المحيط ٥/٤٠٩، الألوسي – روح المعاني ١٣/٢١٠.

فالأصــل في "مصرخِيّ" ثلاث ياءات: ياء الجمع، وياء الإضافة، وياء زيدت للمد، ثم حذفت الياء التي زيدت للمد، وبقيت ياء الإضافة مكسورة[١٠١].

ووجــه هذه اللغة من القياس أن ياء الإضافة كهاء الإضمار في النصب والجــر، فكما يلحقون الهاء الزيادة فيهما تارة، ويحذفونها أخرى، فكذلك يفعلون في ياء الإضمار[١٠٢]. قال سيبويه: هذا باب ثبات الياء والواو في الهاء التي هي علامة الإضمار وحذفهما.

فأما الثبات فقولك: ضربُهو زيدٌ، وعليها مال[١٠٣]، ولديهُو رجل. جاءت الهــاء مــع ما بعدها ها هنا في المذكر. كما جاءت وبعدها الألف في المؤنث، وذلك قولك: ضربها زيد، وعليها مال.

فإذا كان قبل الهاء حرف لين، فإنَّ حذف الياء والواو في الوصل أحسن، لأن الهــاء من مخرج الألف، والألف تشبه الياء والواو، تشبههما في المد، وهي أخــتهما، فلما اجتمعت حروف متشابهة حذفوا. وهو أحسن وأكثر. وذلك قولك: علــيهِ يــا فتــى، ولديــهِ فلان، ورأيت أباهُ قبلُ، وهذا أبوهُ كما ترى. وأحسن القــراءتين: "**ونَزَّلْنَاهُ تنزيلا**"[١٠٤] و "**إنْ تَحمِلْ عَلَيه يَلْهَثْ**"[١٠٥]، "**وشَرَوْهُ بثمنٍ بَخْسٍ**"[١٠٦] و "**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ**"[١٠٧] والإتمام عربي[١٠٨].

---

(١٠١) انظر: مكي بن أبي طالب – مشكل إعراب القرآن ٤٤٨/١-٤٤٩.

(١٠٢) انظر: الفارسي – الحجة ١٧/٣، مكي بن أبي طالب – مشكل إعراب القرآن ٤٤٩/١، المنتجب – الفريد ١٥٩/٣-١٦٠، الألوسي – روح المعاني ٢١٠/١٣.

(١٠٣) بالإمالة في عليها.

(١٠٤) الإسراء ١٠٦.

(١٠٥) الأعراف ١٧٦.

(١٠٦) يوسف ٢٠.

(١٠٧) الحاقة ٣٠.

(١٠٨) ســيبويه – الكتاب تحقيق هارون ١٨٩/٤. وجاء في الذيل ما ملخصه بتصرف عن السيرافي أبــي ســعيد: فصل سيبويه في الهاء التي قبلها ساكن، فإذا كان حرف علة واوا أو ياء أو ألفا، فالاختــيار أن تحرك ولا توصل بحرف نحو عليه، وألقى عصاه، وخذوه. وإذا كان غير حرف علة، فالاختيار أن تحرك وتوصل بواو نحو: "منهو آيات"، وأصابتهو جائحة. واختار أبو العباس حــذف الــصلة في: منه، وأصابته، ولم يفرق بين حرف اللين وغيره. وهذا هو الصحيح، لأن أكثر القراء، والجمهور على: "منه آيات محكمات". آل عمران ٧.

ووجههـــا من القياس أيضا أن ياء الإضافة ككاف الإضمار في النصب والجـــر، فكمـــا يلحقـــون الكاف الزيادة فيهما ويحذفونها فيقولون: عليكا مال، وعليكـــي مـــال، وأعطيـــتكاه، وأعطيتكيه، ويقولون: عليكَ مال، وعليكِ مال، وأعطيـــتكَهُ، وأعطيـــتكِهِ، فكـــذلك يفعلـــون فـــي ياء الإضافة فيقولون: عليِّي، ومكرميِّي، ويقولون: عليِّ، ومكرميِّ(١٠٩).

ووجهها من القياس أيضا أن ياء الإضافة كتاء المؤنث، فكما يلحقون تاء المـــؤنث الـــياء صـــلة ويحذفونها، لأنها كهاء الإضمار، فكذلك يفعلون في ياء الإضافة. قال الشاعر:

رَمَـــيْـتِــــيــــهِ فَـــأَصْـــمَــيْـــتِ   فمـــا أخطـــأتِ فـــي الـــرَّمْيَهْ(١١٠)

وتقول: رَمَيْتِهِ(١١١).

التوجـــيهان الأول والـــثالث في مطلق ياء المتكلم المدغم فيها. والثاني خاص في مثل: "بمصرخِيِّ إنِّي"، فليس كل ياء متكلم مدغم فيها يكسر ما بعدها

---

(١٠٩) انظر: الفارسي – الحجة ١٧/٣، المنتجب – الفريد ١٥٩/٣-١٦٠، الألوسي – روح المعاني ٢١٠/١٣.

(١١٠) البـــيت من البحر الهزج. وهو أول بيتين دون نسبة في: أبي حيان – ارتشاف الضرب ٤٦٣/١، والثاني قوله:

بِسَهْمَيْنِ مَلِيْحَيْنِ   أعارتكيهما الظَّبْيَهْ

والبـــيت دون نـــسبة في: الفارسي – الحجة ١٧/٣، مكي بن أبي طالب – مشكل إعراب القرآن ٤٤٩/١، المنتجب – الفريد ١٦٠/٣ بلفظ: فأضميت بالضاد المعجمة، السمين الحلبي – الدر المصون ٩٣/٧.

والـــشطر الثانـــي من البيت الشاهد في غير ارتشاف الضرب دون "في"، فيقرأ في هذه الحالة بقطع همزة الوصل في "الرمية".

أصـــمى الرمية: أنفذها. وضما وأضمى بمعنى ظلم. قال أبو منصور: كأنه مقلوب ضام، وكذلك بضى إذا أقام، مقلوب باض. ابن منظور لسان العرب: صما، ضما.

والشطر الأول من البيت الشاهد في بعض المراجع بلفظ: فأقصدت. والقصد: الاعتماد، والتوجه، والأم.

(١١١) انظر: الفارسي – الحجة ١٧/٣، مكي بن أبي طالب – مشكل إعراب القرآن ٤٤٩/١، المنتجب – الفريد ١٦٠/٣.

ومـــا قبلها، فإنك تقول: علَيٍّ دين، وجاء بُنَيٍّ أمس، ورأيت بُنَيٍّ أمس، ومررت ببنَيٍّ أمس.

وجهها في الاستعمال:

وشـــواهد إلحـــاق يـــاء المـــتكلم المدغم فيها ياء الصلة، وحذفها أحيانا والاجتـــزاء عنها بالكسرة، إلى جانب قراءة "بمصرخيِّ" قوله تعالى: "**قَالَ كَذَلِكَ قَـــالَ رَبُّـــكَ هُو عَلَيِّ هَيِّنٌ وَقَدْ خلقتُكَ مِن قبلُ ولم تَكُ شيئا**"(١١٢) بكسر الياء من عليِّ، وهي قراءة الحسن البصري(١١٣).

وقول الأغلب المتقدم:

قـــال لهـــا هـــل لـــك يا تا فيِّي ‏ ‏ ‏ ‏ قالـــت لـــه مـــا أنـــت بالمرضيِّ"(١١٤)

وقول أمية بن أبي الصلت:

يـــا بُنيِّـــي إنِّـــي نـــذرتُكَ للـــ ‏ ‏ ‏ ‏ ـــه شَحيطاً فاصبرْ فدى لك خالي(١١٥)

---

(١١٢) مريم ٩.

(١١٣) أبو حيان – البحر المحيط ١٦٦/٦، البنا – إتحاف فضلاء البشر ٢٣٤/٢.

(١١٤) تقدم برقم (١١).

(١١٥) البـــيت مـــن البحر الخفيف. وهو في: البغدادي –خزانة الأدب تحقيق هارون٢٥٢/١ لأمية، من قصيدة طويلة عدتها تسعة وسبعون بيتا، ذكر منها شيئاً من قصص الأنبياء عليهم السلام: داود، وسليمان، ونوح، وموسى، وذكر قصة إبراهيم وإسحاق عليهما السلام، وأنه هو الذبيح، وهو قول مشهور للعلماء.
والبـــيت في ديوان أمية ٤٤١، وأثبت جامعه ومحققه رواية البدء والتاريخ للمقدسي، وذكر أنها بلفظ/ أبنيَّ إنـــي... ســـحيطاً. وذكـــر أن البيت بالخزانة بلفظ: يا بُنَيَّ إني، هكذا زعم . وذكر أنه في تاريخ الطبري بلفـــظ: أبنـــيَّ إننـــي قد. التفعيلة الأولى على ما أثبته جامع الديوان من الروايات تكون مشكولة في البدء والـــتاريخ، أي دخلهـــا زحـــاف الشكل المركب من الخبن والكف. ومكفوفة في خزانة الأدب، أي دخلها زحاف الكف المفرد. ومشكولة والوزن غير مستقيم في تاريخ الطبري.
الـــشحيط: الذبـــيح. من شَحَطَهُ يَشْحَطُه شَحْطًا. وكذلك السحيط بالسين المهملة من سَحَطَه يَسْحَطُه سَحْطا. قال ابن سيده: والسين أعلى. ابن منظور – لسان العرب: شحط.
أمـــية بـــن أبي الصلت: لم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافراً سنة ٨ أو ٩ في الطائف، قبل أن يسلم الثقفيون. البغدادي – خزانة الأدب تحقيق هارون ٢٥٢/١.

وما ذكره أبو حيان، والسمين الحلبي، والألوسي، أنهم رووا بيت النابغة:

عَلَـيٍّ لعمـرو نعمـة بعد نعمةٍ لـوالده ليـست بـذات عقاربِ(١١٦)

بخفـض الـياء من عَلَيّ(١١٧). وما ذكره الألوسي أن رسول الله ﷺ تكلم بها في حديث بدء الوحي، وشرح حاله عليه الصلاة والسلام، لورقة بن نوفل ﷺ(١١٨).

الحسن والأحسن في حركتي الياء:-

لـبعض مـن أجاز لغة الكسر في "مصرخِيّ" وصححها، عبارات تحوم حـول مسألة الحسن والأحسن، مثل: الفتح أخف عليهم، وهو الوجه، والاختيار، والأولى، والأفصح، والأفشى، والقياس، والمشهور المستعمل الفاشي، ولغته هي الفصحى(١١٩).

وغايـة كلامهـم فـي هذا أن كون لغة أحسن من أخرى، لا يمنع من اسـتعمال اللغة الحسنة. قال الفراء: ألا ترى أنهم يقولون: لم أره مُذُ اليوم، ومُذِ اليوم، والرفع في الذال هو الوجه، لأنه أصل حركة مذ، والخفض جائز ؟ فكذلك الياء من مصرخِيِّ، خفضت ولها أصل في النصب(١٢٠).

---

(١١٦) البـيت مـن البحر الطويل. وهو في ديوان النابغة ص٤١ قصيدة ٣ بيت ٤، بفتح الياء من علي. ليست بذات عقارب: ليس فيها مكروه، لا يكدرها من ولا أذى.

(١١٧) أبـو حـيان – البحر المحيط ٤٠٩/٥، السمين الحلبي – الدر المصون ٩٢/٧، الألوسي – روح المعاني ٢١٠/١٣.

(١١٨) الألوسـي – روح المعاني ٢١٠/١٣. يريد الحديث المتفق عليه، وفيه: أومخرجي هم ؟ صحيح البخاري ج١ بـاب١ حـديث ٣ ص٤-٥، صـحيح مسلم ج١ كتاب١ باب٧٣ حديث ٢٥٢ (١٦٠) ص١٣٩-١٤٢. وضبطه فيهما بفتح الياء.

(١١٩) انظـر: الفراء – معاني القرآن ٧٦/٢، ابن خالويه – الحجـة ١٧٨، إعراب القـراءات السبع وعللهـا ٣٣٦/١، ابـن زنجلة – حجة القراءات ٣٧٧-٣٧٨، الفارسي – الحجة ١٧/٣، مكي بن أبي طالب – مشكل إعـراب القـرآن ٤٤٨/١، الكشف ٢٦/٢-٢٧، ابن أبي مريم الموضح ٧١٠/٢-٧١١، العكبري – إعراب القراءات الشواذ ٧٣٤/١، المنتجب – الفريد ١٦٠/٣، القرطبي – الجامع ٣٥٧/٩.

(١٢٠) الفراء – معاني القرآن ٧٦/٢.

وقال الفارسي، وقد ذكر أن كسر الياء من مصرخي لغة في بني يربوع، وبين وجهها من القياس: فإذا كانت هذه الكسرة في الياء على هذه اللغة، وإن كان غيرها أفشى منها، وعضده من القياس ما ذكرنا، لم يجز لقائل أن يقول إن القراءة بذلك لحن، لاستفاضة ذلك في السماع والقياس، وما كان كذلك لا يكون لحنا(١٢١).

وقال المُنْتَجب الهمذاني، وقد ذكر الوجوه الثلاثة في هذه اللغة: فهذه الوجوه صحيحة فاشية حسنة على الأصول، وإذا كان كذلك، فلا وجه لمن ضعَّف هذه القراءة، وعدها من اللحن، ولو لم يكن لها إلا وجه واحد، ولا يحل لمسلم أن يقدم على الطعن في شيء ثبتت روايته عن رسول الله ﷺ، مع صحة مخرجه، والرادّ عليه كالراد على رسول الله ﷺ(١٢٢).

وقال القرطبي، وقد ذكر تضعيف الفراء والزجاج لهذه القراءة، وذكر تصحيح قطرب لها، وأنها لغة في بني يربوع: القشيري: والذي يغني عن هذا، أن ما يثبت بالتواتر عن النبي ﷺ، فلا يجوز فيه هو خطأ، أو قبيح، أو رديءٌ، بل هو في القرآن فصيح، وفيه ما هو أفصح منه، فلعل هؤلاء أرادوا أن غير هذا الذي قرأ به حمزة أفصح(١٢٣).

وقال البنا: وهي متواترة صحيحة، والطاعن فيها غالط قاصر، ونفى النافي لسماعها لا يدل على عدمها، فمن سمعها مقدم عليه، إذ هو مثبت(١٢٤).

وكون لغة أحسن من أخرى كثير في كلام العرب، ولم تمنعهم اللغة الأحسن من استعمال اللغة الحسنة. فضم الواو في قوله تعالى: "**أولئك الذين**

---

(١٢١) الفارسي – الحجة ١٧/٣. وانظر: المنتجب – الفريد ١٦٠/٣.

(١٢٢) المنتجب – الفريد ١٦٠/٣.

(١٢٣) القرطبي – الجامع ٣٥٧/٩.

(١٢٤) البنا – إتحاف فضلاء البشر ١٦٨/٢.

اشـــتروا الضلالة بالهدى"[١٢٥] مجمع عليها[١٢٦]، وهي قراءة السبعة[١٢٧]، وذكر العكبري في توجيهها خمسة أوجه[١٢٨]، ولم يمنعهم ذلك من قراءاتها الأخرى.

وفتح الثاني من يَخَطِّف، ويَهَدِّي، ويخَصِّمون، صحيح جيد بالغ على ما ذكـــر الزجاج[١٢٩]. وهو الاختيار[١٣٠]، وأجود القراءة[١٣١]، لأنه من قبيل إلقاء فـــتحة تـــاء الافـــتعال علـــى ما قبلها بعد الإبدال والإدغام. ولم يمنعهم هذا من القراءات الأخرى في هذه الحروف.

وأكثـــر من هذا، أن الفصيح من العرب، قد يعمد إلى لغة، غيرها أقوى عـــنده فـــي القياس منها. قال ابن جني: ويدلك على أن الفصيح من العرب، قد يـــتكلم باللغة غيرها أقوى في القـــيـــاس عـــنـــده منها، ما حدثـــنا به أبو علي رحمه الله قال: عن أبي بكر[١٣٢]، عن أبي العباس[١٣٣]، أن عمارة[١٣٤] كان يقرأ "**ولا الليل سابقُ النَّهَارَ**"[١٣٥] بالنصب، قال أبو العباس: فقلت له: ما أردت؟ فقال: أردت: " **سَـــابِقٌ الـــنَّهَارَ**"، قال: فقلت له: فَهَلاّ قلته؟ فقال: لو قلته لكان أوزن.

---

(١٢٥) البقرة ١٦.

(١٢٦) الزجاج – معاني القرآن وإعرابه ٨٩/١.

(١٢٧) ابن مجاهد – السبعة في القراءات ١٤٥.

(١٢٨) العكبري – التبيان ٣٢/١.

(١٢٩) معاني القرآن وإعرابه ١٩/٣. وانظر: ٢٩٠/٤.

(١٣٠) مكي بن أبي طالب – الكشف ٢١٨/٢.

(١٣١) الواحدي – الوسيط ٥١٥/٣.

(١٣٢) أبو بكر بن السراج.

(١٣٣) أبو العباس المبرد.

(١٣٤) عمـــارة بـــن عقـــيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفي، أبو عقيل. كان شاعرا متقدما فصيحا، وكان المبـــرد يقول: ختمت الفصاحة في شعر المحدثين بعمارة بن عقيل. كان نحاة البصرة يأخذون عنه اللغة. توفي ٢٣٩. انظر: الصفدي – الوافي بالوفيات ٢٥٢/٢٢.

(١٣٥) يس ٤٠.

فقوله: أوزن، أي أقوى وأمكن في النفس. أفلا تراه جنح إلى لغة وغيرها أقوى في نفسه منها؟(١٣٦)

وقال في موضع آخر وقد أورد القصة: ففي هذه الحكاية لنا ثلاثة أغراض مستنبطة منها: أحدها: تصحيح قولنا: إن أصل كذا كذا. والآخر: قولنا: إنها(١٣٧) فعلت كذا لكذا، ألا تراه إنما طلب الخفة ؟ يدل عليه قوله: لكان أوزن، أي أثقل في النفس وأقوى، من قولهم: هذا درهم وازن، أي ثقيل له وزن. والثالث: أنها قد تنطق بالشيء غيره في أنفسها أقوى منه، لإيثارها التخفيف(١٣٨). إذ لولا ذلك لكان الأقوى أحق وأحرى، كما أنهم لا يستعملون المجاز إلا لضرب من المبالغة، إذ لولا ذلك لكانت الحقيقة أولى من المسامحة(١٣٩).

إن كسر ياء المتكلم المدغم فيها، يمكن أن يدخل فيما سماه الدكتور رمضان عبد التواب "الركام اللغوي للظواهر المندثرة في اللغة"(١٤٠)، فقد امتدت هذه الظاهرة اللغوية على الأيام، فقد ذكر أبو حيان أنها لغة باقية في أفواه كثير من الناس إلى اليوم، يقول القائل: ما فِيَّ أفعل كذا، بكسر الياء(١٤١). وتوفي أبو حيان سنة ٧٤٥. وقال ابن الجزري: وهذه اللغة باقية شائعة في أفواه أكثر الناس إلى اليوم، يقولون: ما فيِّ أفعل كذا، ويطلقونها في كل ياءات الإضافة المدغم فيها فيقولون: ما عليِّ منك، ولا أمرك إليِّ. وبعضهم يبالغ في كسرتها حتى

---

(١٣٦) ابن جني – الخصائص ١٢٥/١.

(١٣٧) أي العرب. (المحقق، محمد علي النجار).

(١٣٨) الخصائص ٢٤٩/١.

(١٣٩) السابق ٢٧٣/١.

(١٤٠) عبد التواب – فصول في فقه العربية ١٢٦.

(١٤١) أبو حيان – البحر المحيط ٤٠٩/٥.

تـصير يـاء[١٤٢]. وتوفي ابن الجزري سنة ٨٣٣. وذكر الألوسي أنها لغة أهل الموصل، وكثير من الناس اليوم[١٤٣]. وتوفي الألوسي سنة ١٢٧٠.

أقـول: كـسر ياء المتكلم المدغم فيها، لغة شائعة إلى يومنا هذا، القرن الخـامس عشر الهجري، وقد يبالغ بعضهم في الكسرة حتى تصير ياء، نحو ما ذكـر ابـن الجـزري، فـيقول: فيِّي، وَعَلَيِّي، وعلى الخصوص إذا وقعت في الاستفهام في الوقف. وهذا فاشٍ في لغة كثير من أهل الخليل في فلسطين.

الخاتمة:-

لغة كسر ياء المتكلم المدغم فيها صحيحة في القياس والاستعمال. أما في القياس فلها وجهان مطردان: أحدهما؛ أنها مما يلتقي من الساكنين. والثاني؛ أنها لغة في بني يربوع. ولبعض صورها وجه ثالث وهو المطابقة، على ما في الآية الثانية والعشرين من سورة إبراهيم عليه السلام، وعلى ما في بيتي أمية بن أبي الصلت، والنابغة الذبياني.وقد بسطت الكلام على هذه الوجوه الثلاثة.

وأمـا فـي الاستعمال فوقفت على ستة شواهد: اثنين من القرآن الكريم، وواحد من الحديث الشريف، وثلاثة من الشعر.

ولغـة الكسر على صحتها تظل فرعاً على لغة الفتح الأصل، وأربعة من الشواهد الستة التي وقفت عليها وردت باللغتين. وبيت أمية، ورجز الأغلب، هما اللذان وردا بلغة الكسر حسب.

ولغة الكسر على كونها فرعاً، لها خصوصيتها في المعنى واللفظ.

---

(١٤٢) ابن الجزري – النشر ٢/٢٩٩.

(١٤٣) الألوسي – روح المعاني ١٣/٢١٠.

أما في المعنى فهي آكد في الدلالة على المتكلم من الفتح، لأنها من جنس الــياء الدالة عليه، فهي شبه تكرير للياء. فإذا زيدت ياء على ياء الإضافة زادت الدلالة، وصارت من قبيل الزيادة في المبنى، الدالة على زيادة في المعنى.

وأما في اللفظ فهي إثراء له، فقد أقامت الوزن في بيت أمية:

يـــا بُنَيِّـــي إنِّـــي نَـــذَرْتُكَ للـــــ ـــهِ شَحِيطاً فاصْبِرْ فِدىً لك خالي(١٤٤)

وأقامت القافية في رجز الأغلب:

قَـــالَ لَهَـــا هــلْ لَـــكِ يـــا تَا فِيِّي قَالَـــتْ لَـــهُ مـــا أَنْتَ بِالْمَرْضِيِّ(١٤٥)

والحمد لله أولا وآخرا.

(١٤٤) تقدم برقم (١١٥).

(١٤٥) تقدم برقم (١١).

المصادر والمراجع

١- الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ = ٨٣٠): معاني القرآن. تحقيق: د. فائز فارس، ط٢، ١٤٠١ = ١٩٨١.

٢- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٠ = ١٨٥٤): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٣- أمية بن أبي الصلت (ت ٨ أو ٩ = ٦٣٠ أو ٦٣١): الديوان. جمع وتحقيق ودراسة: د. عبد الحفيظ السطلي، ط٢، ١٩٧٧.

٤- ابن الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ = ١١٨٢): البيان في غريب إعراب القرآن. تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠ = ١٤٠٠.

٥- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ = ٨٧٠): صحيح البخاري. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، نشر وتوزيع دار القلم بدمشق وبيروت، دار الإمام البخاري بدمشق.

٦- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ = ١٦٨٢): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٧- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦-١١٢٢): تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل، بهامش تفسير الخازن، دار الفكر، ١٣٩٩ = ١٩٧٩.

٨- البنا، أحمد بن الحسين (ت ١١١٧ = ١٧٠٥): إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر. تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، ط١، عالم الكتب ببيروت، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، ١٩٨٧ = ١٤٠٧.

٩- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٢٩١ = ٩٠٤): مجالس ثعلب. شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، القسم الأول ط٣، القسم الثاني ط٢.

١٠- ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد (ت ٨٣٣ = ١٤٣٠):

أ- تحبير التيسير في القراءات العشر. تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، ط١، دار الفرقان للنشر والتوزيع بالأردن، ١٤٢١ = ٢٠٠٠.

ب- النشر في القراءات العشر. تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية ببيروت.

١١- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ = ١٠٠٢):

أ- الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر ببيروت.

ب- سر صناعة الإعراب. دراسة وتحقيق: د. حسن هنداوي، ط١، دار القلم بدمشق، ١٤٠٥ = ١٩٨٥.

ج- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. تحقيق: علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، ١٤١٥ = ١٩٩٤.

١٢- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥ = ١٣٤٤):

أ- البحر المحيط. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ببيروت.

ب- ارتشاف الضرب من لسان العرب. تحقيق: د. مصطفى أحمد النماس، ط١، ج١، مطبعة النسر الذهبي. ج٢ مطبعة المدني ١٤٠٨ = ١٩٨٧. ج٣ مطبعة المدني ١٤٠٩ = ١٩٨٩.

١٣- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت ٣٧٠ = ٩٨١):
أ- إعــراب القــراءات السبع وعللها. تحقيق: د. عبد الرحمن بن سـليمان العثيمـين، ط١، مطبعة المدني بالقاهرة، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤١٣ = ١٩٩٢.
ب- الحجة في القراءات السبع. تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق ببيروت ١٩٧١.
١٤- ابـن الخباز، أحمد بن الحسين (ت ٦٣٧ أو ٦٣٩ = ١٢٤٠ أو ١٢٤٢):
توجـيه اللمـع. دراسة وتحقيق: أ.د. فايز زكي محمد دياب، ط١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة، ١٤٢٣ = ٢٠٠٢.
١٥- الخزرجـي، صفي الدين أحمد بن عبد الله (ت بعد ٩٢٣ = بعد ١٥٧):
خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تحقيق: مجدي منصور الشورى - دار الكتب العلمية ببيروت.
١٦- الذهبـي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ = ١٣٤٧):
معـرفة القـراء الكـبار على الطبقات والأعصار. تحقيق: بشار عواد معـروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، ط١، مؤسسة الرسالة ببيروت، ١٤٠٤ = ١٩٨٤.
١٧- الـزبيدي، السيد محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ = ١٧٩٠): تاج العروس. دار ليبيا للنشر والتوزيع ببنغازي.
١٨- الـزجاج، أبـو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١ = ٩٢٤): معاني القـرآن وإعرابه. تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب ببيروت، ١٩٨٨ = ١٤٠٨.
١٩- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ = ١١٤٤):
الكـشاف عـن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. دار

المعرفة للطباعة والنشر ببيروت.

٢٠- ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد (من رجال المائة الرابعة = القرن العاشر الميلادي): حجة القراءات. تحقيق: سعيد الأفغاني، ط٢، مؤسسة الرسالة ببيروت، ١٣٩٩ = ١٩٧٩.

٢١- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل (ت ٣١٦ = ٩٢٨): الأصول في النحو. تحقيق: عبد "الحسين" الفتلي، ط١، مؤسسة الرسالة ببيروت، ١٤٠٥ = ١٩٨٥.

٢٢- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦ = ١٣٥٥): الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، ط١، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق وبيروت، ١٤٠٦ = ١٩٨٦.

٢٣- أبو سنينة، د. كامل محمد: بناء الجملة العربية في شعر حسان بن ثابت. رسالة دكتوراه، إشراف: أ.د. محمود فهمي حجازي، د. عبد الحميد عوض السيوري، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ١٤٠٢ = ١٩٨٢.

٢٤- سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر (ت ١٨٠ = ٧٩٨): الكتاب.

أ- طبعة بولاق، ط١، ج١، ١٣١٦، ج٢، ١٣١٧.

ب- تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة. ج١ + ج٢، ط٣، ١٤٠٨ = ١٩٨٨. ج٣ لم تذكر الطبعة ولا سنتها. ج٤ ط٢، ١٤٠٢ = ١٩٨٢. ج٥ ، ط٢، ١٤٠٣ = ١٩٨٣.

٢٥- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (ت ٣٦٨ = ٩٧٩): تقريرات السيرافي على هامش الكتاب طبعة بولاق الأولى، ج١، ١٣١٦، ج٢، ١٣١٧.

٢٦- السيرافي، أبو محمد يوسف بن أبي سعيد (ت ٣٨٥ = ٩٩٥): شرح

أبـيات سـيبويه. تحقـيق: د. محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات الأزهـرية بالقاهـرة، دار الفكـر للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، ١٣٩٥ = ١٩٧٥.

٢٧- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ = ١٥٠٥):
أ- بغـية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت.
ب- شـرح شـواهد المغنـي. تحقيق: الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي، طبع ونشر لجنة التراث العربي.

٢٨- الشنتمري، يوسف بن سليمان (ت ٤٧٦ = ١٠٨٤): تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب. ذيل الكتاب طبعة بولاق الأولى، ج١، ١٣١٦، ج٢، ١٣١٧.

٢٩- الـصفدي، صـلاح الـدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ = ١٣٦٣): الوافي بالوفـيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٣٠- عبد التواب، أ.د. رمضان: فصول في فقه العربية. ط٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٤ = ١٩٨٣.

٣١- العجـاج بـن رؤبة (ت ٩٠ = ٧٠٩): الديوان. تحقيق: د. عزة حسن، مكتبة دار الشرق ببيروت.

٣٢- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦ = ١٢١٩):
أ- إعراب القراءات الشواذ. دراسة وتحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، ط١، عالم الكتب للطباعة والنشر ببيروت، ١٤١٧ = ١٩٩٦.
ب- التبـيان في إعراب القرآن. تحقيق: علي محمد البجاوي، ط٢، دار الجيل ببيروت، ١٤٠٧ = ١٩٨٧.

٣٣- الفارسـي، أبـو علي الحسن بن أحمد (ت ٣٧٧ = ٩٨٨): الحجة للقراء

الـــسبعة. تحقـــيق: كامـــل مـــصطفى الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية ببيروت، ١٤٢١ = ٢٠٠١.
٣٤- الفخـــر الـــرازي، فخـــر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٦٠٦ = ١٢١٠): التفسير الكبير. ط٣، دار إحياء التراث العربي ببيروت.
٣٥- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ = ٨٢٣): معاني القرآن. ج١، تحقـــيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠. ج٢، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦. ج٣، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، علي النجدي ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢.
٣٦- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ = ٨٩٠): تأويل مشكل القرآن. تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٢، دار التراث بالقاهرة، ١٩٧٣ = ١٣٩٣.
٣٧- القرطبـــي، أبـــو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٦٧١ = ١٢٧٣): الجامع لأحكام القرآن. دار إحياء التراث العربي ببيروت.
٣٨- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٢٤ = ٦٠٥): إنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الفكر العربي بالقاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، ١٤٠٦ = ١٩٨٦.
٣٩- ابـــن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى (ت ٣٢٤ = ٩٣٦): السبعة في القراءات. تحقيق: د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف بمصر.
٤٠- امرؤ القيس بن حجر (ت ٨٠ ق.هـــ = ٥٤٤): الديوان. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار المعارف بمصر.
٤١- ابـــن أبي مريم، نصر بن علي (ت بعد ٥٦٥ = بعد ١١٧٠): الموضح في وجوه القراءات وعللها. تحقيق ودراسة د. عمر حمدان الكبيســـي،

ط١، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ١٤١٤ = ١٩٩٣.
٤٢- مسلم بن الحجاج، أبو الحسين (ت ٢٦١ = ٨٧٥): صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
٤٣- مكي بن أبي طالب، أبو محمد (ت ٤٣٧ = ١٠٤٦):
أ- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤ = ١٩٧٤.
ب- مشكل إعراب القرآن. تحقيق: ياسين محمد السواس، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٤ = ١٣٩٤.
٤٤- المُنْتَجب حسين بن أبي العز (ت ٦٤٣ = ١٢٤٦): الفريد في إعراب القرآن المجيد. تحقيق: د. فهمي حسن النمر، د. فؤاد علي مخيمر، ط١، دار الثقافة بالدوحة بقطر، ١٩٩١ = ١٤١١.
٤٥- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ = ١٣١١): لسان العرب. دار صادر ببيروت.
٤٦- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت ٥١٨ = ١١٢٤): مجمع الأمثال. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة السنة المحمدية، ١٣٧٤ = ١٩٥٥.
٤٧- النابغة الذبياني، زياد بن معاوية (ت نحو ١٨ = نحو ٦٠٥): الديوان. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ذخائر العرب ٥٢، دار المعارف بمصر.
٤٨- النحاس، أبو جعفر محمد بن إسماعيل (ت ٣٣٨ = ٩٥٠): إعراب القرآن. تحقيق: زهير غازي زاهد، ط٢، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨٥ = ١٤٠٥.
٤٩- ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف (ت ٧٦١ = ١٣٦٠):

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطـبعة المدني بالقاهرة، نشر مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بالقاهرة.

٥٠- الـواحدي النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد (ت ٤٦٨ = ١٠٧٦): الوسـيط فـي تفسير القرآن المجيد. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الـشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمـل، د. عـبد الـرحمن عويس، ط١، دار الكتب العلمية ببيروت، ١٩٩٤ = ١٤١٥.

٥١- ابـن يعـيش، يعـيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣ = ١٢٤٦): شرح المفصل. عالم الكتب ببيروت، مكتبة المتنى بالقاهرة.

العدد بين الحساب واللغة

د. محمد سمير نجيب اللبدي
جامعة الإسراء الخاصة

المقدمة:

العدد في مفهومه الظاهري والحقيقي هو ما دل على الكميات والمقادير، سواء أكان جوابا عن سؤال صريح أو مقدر أو كان إخبارا عن استكثار، وليس له في اللغات في ما نعلم أية دراسات لغوية خاصة تغطي صياغته وبيان إعرابه وأصول استخدامه وطبيعة علاقته بالمعدود من حيث التذكير والتأنيث أو الإفراد والتثنــية والجمع كما هو شأنه في لغتنا العربية التي خصت كل مفرداته بقواعد ثابتة تبين كل جوانب الاستعمال المتعلقة به.

فالعــدد في اللغة العربية فئات مختلفة، تتباين في علاقاتها مع معدوداتها تقــديما أو تأخيــرا وتذكيرا أو تأنيثا أو مطابقة أو مخالفة، بالإضافة إلى مواقع إعرابه رفعا أو نصبا أو جرا، ومواقع المعدود فيه من حيث الوصف أو التأكيد أو النصب على التمييز أو الجر بالإضافة.

لــذلك نراه قد خص بنصيب وافر من الحديث عنه في ألفية ابن مالك، كمــا أن مــراجع النحو ومصنفاته قد خصته بمساحة جيدة من البحث والشرح والتفصيل وصياغة المتون حوله وتحشيتها.

فللأعداد في لغتنا أصولها الاشتقاقية، ولها مدلولاتها الكثيرة، كما أن لها أصــولا صــياغية يجب أن تراعى في التعبير عنها، وأصولا صوتية يجب أن تلاحــظ كــذلك، فلا يجوز رفعها أو رفع معدوداتها في موضع النصب، كما لا

يجــوز جــرها في موضع الجر، ولا إعرابها في موضع البناء، ولا بناؤها في موضع الإعراب، ولا تذكيرها في موضع التأنيث أو تأنيثها في موضع التذكير.

لكــل ذلك فلسفته التي انطلق منها أو بنى عليها؛ إذ لم ينشأ سمت معين فـــي صياغة الأعداد من فراغ، وإنما قام على أصول وتعليلات تستحق التبجيل لمن جهدوا في تحليلها واجتهدوا في وضعها كما سنذكر في متن البحث.

من هنا، رأينا أن نبحث في العدد ليس فقط كرمز حسابي مقداري وإنما كـصياغة لغــوية لهـــا أصـــولها وقواعدها مغايرين في ذلك ما أمكن الطريقة المعهــودة التـــي عرضته بها كتب النحو ومؤلفاته متوخين في بحثنا التعرض لعلاقة العدد بشكل عام باللغة من كل جوانبها، بالإضافة إلى دلالته المقدارية في أصل وضعه ومفهومه، وهو ما نأمل أن نكون قد وفقنا في عرضه وكشفه.

العدد بين الحساب واللغة

يشغل العدد في حياتنا مساحة كبيرة، حتى إذا ما بحثنا عنه في كل المرافق والجوانب وجدناه حاضرا في الأموال والأزمنة والأمكنة، ولا يكاد حديث من أحاديثنا يخلو من ذكرٍ للأعداد بكل مستوياتها. فإذا تناولنا الزمن وجدناه في الأيام والأسابيع والشهور والسنوات والأعمار والأجيال والقرون والتاريخ والمعارك والغزوات والحروب والأحداث.

وإذا تناولنا المكان وجدناه في جغرافية الحدود وأطوالها ومساحاتها، وما زاد فيها وما نقص، ناهيك عن الأموال والأرزاق ومقاديرها وأرباحها ودخولها وخساراتها ومدفوعاتها وعجوزاتها.

نجد العدد في كل هذه الجوانب وغيرها حاضرا قائما لا يخلو منه حديث أو مقال أو محاضرة أو بحث أو تقرير.

وقد تتخذ الأعداد في كلامنا أشكالا مختلفة، فهي حينا أعلام على الكميات والمقادير، وهي في أحيان أخرى دلالات على التقسيم والترتيب والتبويب والقياس، وهي كذلك كنايات عن المبالغة في الكثرة أو القلة.

وفي كتابتها تكون حينا بشكل الرموز الاصطلاحية المعروفة في اللغات، وحينا بشكل الحروف الهجائية، كما أنها تصنف إلى خانات ومنازل تحفظ لها كمياتها المقدارية نزولا أو صعودا.

وما من شك في أن الأعداد بكل مقاديرها تنتمي إلى كل العلوم الإنسانية، وبخاصة علم الرياضيات بعامة والحساب بخاصة، فهو الأساس بالنسبة لها، وبقية العلوم كما أشرنا آنفا لا تخلو منها ولا غناء لها عنها، فهي وسيلة التقسيم والجدولة، وهي دائما محتوى النتائج الإحصائية لكل المتعددات،

ولهــذا يقــرر النقاد والأدباء أن خلو الكلام الأدبي من الأعداد هو خاصية من خصائص هذا الأسلوب.

وإذا كــان العــدد في حقيقته العلمية الرياضية مجرد علَمٍ على كمية أو تــرتيب، فإنــه أيــضا بحث عقلي تجريدي تنبثق منه رياضيات ذهنية مختلفة، تكتسب أحيانا أبعادا فرعية إضافية فضلا عن أبعاده العلمية البحتة.

والعدد بمفهومه الكمي جانب عالمي إنساني، يعد كما قلنا عنصرا رئيسا فــي كــل جــوانب العلم وفروعه، وهو بهذا المفهوم لا يفيدنا في بحثنا هذا إلا بمقدار ما يتصل منه بالجانب اللغوي الذي سنتطرق إليه.

وفــي تأكيدنا أن بحث العدد من الناحية اللغوية لم يطرق كأسلوب، ولم يُتــناول كتــركيب لغوي يخضع لقواعد ثابتة، وأسس صوتية لغوية محددة كما طــرق فــي اللغة العربية التي اتخذت منه عنوانا لبحثٍ نحوي أسلوبي واسع، خــضع لاســتقراءٍ منطقــي ولفلسفةٍ تعليلية دقيقةٍ طريفة. فالعدد في لغتنا بحث تكوينــي، وليس بحثا حسابيا كميا فقط، فهو في نحونا أسلوب استخدامي مستقرأ من كلام العرب والقرآن الكريم وشواهد العصور المعتمدة.

حديثنا إذن في هذا البحث: سيدور حول العدد من الجانب اللغوي وليس الجانــب الحــسابي، أي: أنــنا سنتناول هذا الموضوع من حيث العدد اللغوي كأسلوب تركيبي له قواعده وأصوله التي يجب أن تتبع عند بنائه حتى تتوافر له سلامة الاستخدام وصحة التعبير.

وابتداء وقبل أن نتعرف إلى العدد من الناحية اللغوية، وما إذا كان هناك علاقــة بــين هذا الجانب والجانب الكمي الحسابي أم أنهما متداخلان يجب أن نتعرف إلى لَفْظي العدد والرقم، وهل هما مترادفان أم مختلفان ؟

بين العدد والرقم:

يـــستخدم الناس لفظ الرقم مرادفا للعدد، بمعنى أن الرقم هو العدد والعدد هـــو الرقم، في حين أن نصوص المعجمات لا تحتمل ذلك ولا تفيده، فكلمة رقم تدور حول معان متعددة ليس منها العدد، فمن ذلك: الكتابة، يقال: رقمت الكتاب أي كتبته، والتوشية، يقال: رقم الثوب وشاه.

كما يقال: التاجر يرقُم الثياب أي: يعلمها، ويقال رَقَمَ الكتاب، بيّن حروفه ونقّطه، ورَقْمُ الكتاب وترقيمه وتبيينه[1]، والرقْم الكتابة والختم[2] وهو ضرب من البرود، وضرب مخطط من الوشي.[3]

ومن المجاز قولهم: هو يرقم في الماء: وهذا مَثَلٌ يضرب للذي يعمل ما لا يعملـــه أحـــد لحذقه[4]، أو لمن يعمل عملا لا طائل تحته[5] والرقيم في قوله تعالـــى: "**أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم**"[6] اسم الكلب الذي كان مع أهل الكهـــف، أو اسم الوادي الذي كانوا فيه، وقيل أيضا إنه لوح رُقم أي: كتب فيه حديثهم، وجُعل على باب الكهف.[7]

وهكـــذا وبتتبع هذه المادة في معجمات اللغة التراثية لم أقع فيها على ما يفـــيد أن الـــرقم هو العدد، ويبدو أنه استخدام حديث قد شاع على ألسنة الكتاب والمتكلمـــين، حتى أصبح في الاستعمال مرادفا للعدد، ويعزز هذا القول ما ورد في المعجمات الحديثة، حيث جاء في أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد[8]. أن هـــذا الاســـتخدام خـــاص بالحاسبيين الذين يطلقونه على الأعداد من ١-١٠ ويتناول الصفر أيضا، ويقال لها الأرقام الهندية.

---

(١) أساس البلاغة الزمخشري مادة (رقم) ص١٧٤ ط١ دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٢) اللسان ابن منظور مجلد ١٢ ص٢٤٩ مادة رقم

(٣) اللسان ابن منظور باب الميم فصل الراء مجلد ١٢ ص٢٤٩.

(٤) أساس البلاغة الزمخشري مادة رقم ص١٧٤.

(٥) المعجم الأساسي جماعة من اللغويين مادة رقم ص٥٤٣.

(٦) سورة الكهف الآية ٨.

(٧) تفسير القرآن الكريم، مختصر تفسير القاسمي - اختصار الشيخ صلاح أرقه دان - دار النفائس.

(٨) الشرتوني، سعيد الشرتوني، أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، ج٣، ص٤٢٥.

وقـيل في جملة ما قيل إن الرقم رمز يستعمل للتعبير عن العدد[1]، وإن الرقم لفظ مَجْمعي، وأنه في علم الحساب رمز مستعمل للتعبير عن أحد الأعداد البـسيطة، وهـي الأعداد التسعة الأولى والصفر[2]. وهو كلام يشعر بأن الرقم مجـرد رمـز للعـدد وليس العدد نفسه، بدليل قَصْره على الأعداد الأولية دون تغطية الأعداد كلها.

وفـي رأينا إذا ما أردنا التوفيق بين اللفظين أن نقول إن العدد لا يكون رقمـا إلا إذا كان مكتوبا، حيث يقال الرقم المرقوم كما يقال العدد المرقوم، أو المـبلغ المرقوم، ولا يقال العدد المعدود، فالأرقام هي علامات الترقيم من نقطة وفاصـلة وتعجـب، توضـع أثناء الكلام أو في آخره، ولا تكون أعدادا مفيدة للكمـيات إلا في حالة كتابتها، لتكون بذلك أعدادا مرقومة، وأما في حالة لفظها، فهي كما نرجح أعداد وليست غير، فكل رقم ليس بالضرورة أن يكون عددا كما أن كل عدد ليس بالضرورة أن يكون رقما ما لم يكتب.

ويقوي هذا في رأينا أن العرب لم يكونوا يستعملون الرموز العددية في التعبيـر عن الكميات، سواء أكانت رموزا هندية نحو ١، ٢، ٣ أو عربية نحو 1, 2, 3، بـل كانوا يلفظون العدد أو يكتبونه ويَرقـُمونه بالحروف، سواء في رسـائلهم أو تاريخ أحداثهم ورصد وقائعهم وتسجيل مقاديرهم وكمياتهم، ولعل هـذا مـا أدى إلـى الخلط بين لفظي العدد والرقم، واستعمال كل منهما مرادفا للآخـر. ومع ذلك فإن هذا الاستنتاج لا يعني في رأينا بالضرورة مصادرة لفظ الرقم في معنى العدد، فاللغة تنمو وتتطور، ولا يضيرها أن يرادف لفظ آخر ذاع وشـاع كمـا هو الشأن في الرقم والعدد، فنحن في كل الأحوال مع نمو اللغة،

---

(١) المعجم الأساسي جماعة من اللغويين مادة رقم ص٥٤٤.

(٢) المعجم الوسيط د. إبراهيم أنيس وآخرون ج١ ط٢ مادة (رقم) ص٣٦٦.

وليس مع تجميدها وحصرها في لغة المعجمات ومفرداتها، وما قلناه هو للتحقيق والتوثيق وليس غير.

العدد في اللغة:

العـــدد مصدر الفعل "عد"، ويجمع على أعداد، والعدد هو مقدار ما يعد، والعـــد هـــو الإحـــصاء[1]، أي: تعقـــب المعـــدود وإعطاؤه لفظا يصبح بالتالي عَـــلـــمًـــا عليه يدل على مقداره وكميته أو ترتيبه.

ومما يجدر التنويه به في هذا المقام أن العدد الحسابي لم يكن ببعيد عن الحديث عنه في مراجع اللغة ومعجماتها ومصنفات نحوها، فقد ورد في تعريف العـــدد بعامة أنه ما ساوى نصف حاشيتيه الصغرى والكبرى[2] بمعنى أن لكل عدد حاشية كبرى وهي العدد الذي يسبقه، وصغرى وهي العدد الذي يلحقه فإذا جمعت الحاشيتان كان العدد نصف هذا المجموع، فالعدد – ٦ – مثلا هو نصف مجموع السبعة والخمسة.

وجـــاء في بعض مراجع اللغة المعجمية النوعية، كمعجم الكليات لأبي البقاء الكفوي أن العدد هو الكمية المتألفة من الوحدات[3]، وقد يطلق على كل ما يقع في مراتب العد[4].

---

(١) المعجم العربي الأساسي جماعة من اللغويين (لاروس) مادة عدد ص٨٢٤.

(٢) الـــصبان، محمـــد بن علي الصبان، الحاشية على الأشموني،ج٤، ص٦١ الحلبي + الكفوي/ أبو الـــبقاء، أيوب بن موسى الحسيني ١٠٩٤هـــ، ١٦٨٣م، منشورات وزارة الثقافة دمشق، ج٣، ص ٢٥٤.

(٣) المصباح المنير الفيومي – دار الكتب العلمية مادة العين والدال وما يثلثهما ص٤٦٩ + الكفوي، الكليات، ج٣، ص٢٥٤.

(٤) الكفوي، الكليات ج٣، ص٢٥٤.

كما ورد فيه كذلك تقسيم العدد إلى **تام**[1]، وهو الذي إذا ما اجتمعت أجزاؤه كانت مثله، نحو الستة فإن أجزاءها البسيطة الصحيحة هي النصف والثلث والسدس، فالنصف – ٣ –، والثلث اثنان، والسدس واحد ومجموع ذلك ستة.

وعدد ناقص وهو الذي إذا اجتمعت أجزاؤه البسيطة الصحيحة كانت جملتها أقل منه، وهو الثمانية، فإن أجزاءها: النصف وهو ٤، والربع وهو ٢، والثمن وهو ١. فالمجموع سبعة، **والعدد الزائد** وهو العدد الذي إذا اجتمعت أجزاؤه زادت عليه وهو اثنا عشر، فإن أجزاءها النصف وهو –٦–والثلث وهو –٤– والربع وهو –٣– والسدس وهو –٢– فالمجموع خمسة عشر وهو زائد على الأصل.

فمرجع كهذا يتعرض لتصنيف العدد إلى هذه الأصناف الدقيقة بالشكل الذي قدمناه، يدل على أن اللغويين لم يكونوا بعيدين عن العدد الحسابي الإحصائي الذي لا يمكن أن ينفصل عن البيان اللغوي بأي حال.

فاللفظ بكل مشتقاته وصيغه يدور حول العدد والتعداد، واللغة كما رأينا وسنرى هي الراصد الدقيق لكل الصيغ التي دارت حول هذا المعنى.

العدد في الدراسة النحوية:

إذا كان العدد في مفهومه الاصطلاحي الحسابي كما عرفنا هو الكم الذي يترتب عليه في ما بعد وضع لفظ يكون نتيجة لعمليات الإحصاء والعد والتجميع، فإن العدد في البحث اللغوي يتضمن هذا المعنى ولكنه يأخذ منحى آخر.

فالعدد الحسابي بكل أشكاله كمية ومقدار في حين أن العدد اللغوي بالإضافة إلى ذلك هو أسلوب وتركيب وسمت كلام.

---

(١) المرجع السابق.

والحـــديث عن العدد اللغوي صياغة يختلف عن العدد الحسابي ترميزا وجدولـــة، ونحن في بحثنا هذا سنتطرق إلى العدد من حيث الاستخدام التركيبي اللغـــوي، لأنـــه في هذا الإطار نوع من المركبات اللفظية التي يؤلفها العدد مع المعدود. إذ إن العدد مفردا لا مفهوم له إلا بمعدوده[١]، مذكورا أو مقدرا، وهذا المعـــدود فـــي الاصطلاح هو المسمى بتمييز العدد، لأنه موظف لتمييزه وإزالة إبهامه.

والعلاقة بين العدد والمعدود لا تخرج عن العلاقة بين التمييز والمميز، فكمـــا أن التمييـــز ويـــسمى التفسير والتبيين[٢] يفسر ويميز المميز المبهم، فإن المعـــدود كذلك يفسر العدد ويبينه، ولهذا يصنفه النحاة من أنواع التمييز الخاص بالمقادير وهو من أنواع التمييز المفرد.

والمعـــدود ســـواء أكان مفردا منصوبا نحو "طالبا" في ثلاثون طالبا أم مفردا مجرورا في نحو: "طلاب" من ثلاثة طلاب، فهو اللفظ الذي يزيل الإبهام الموجود في العدد.

فالعدد ثلاثون لا مفهوم له مفردا، وهو مجهول المعنى والغرض، وكذلك لفـــظ ثلاث، ولا يزول إبهامهما إلا بذكر المعدود، فلهذا يسمى بالتمييز في حالة النصب وهو كذلك في حالة الجر بالإضافة.

لكـــل ما ذكرنا نرى العدد والمعدود يشكلان مركبا متعدد الأنواع، لأن الجزء الأول من هذا المركب لا يستغني كما أسلفنا عن الجزء الثاني ولأن الثاني يكوِّن مع الأول مفهوما مقداريا لا يتضح إلا بهما.

---

(١) عباس حسن، النحو الوافي ج٤، ص٤٨٢ ، دار المعارف.

(٢) عباس حسن، النحو الوافي ج٤، ص٤٨٩.

والعـــدد بعامة خاضع إعرابيا لموقعه في الجملة، فقد يكون مرفوعا أو منـــصوبا أو مجرورا، وقد يكون مبنيا على الفتح كالأعداد المركبة التي لا تريم عـــن البناء، باستثناء العدد ١٢ الذي يعرب جزؤه الأول إعراب المثنى، ويبنى جزؤه الثاني على الفتح دون أن يكون له إعراب، لأنه بمثابة النون من المثنى، وهـــو الـــسبب في عدم إضافته كأخواته المركبة إلى صاحبها، فلا يقال هذه اثنا عشرك كما يقال هذه إحدى عشرك.(١)

والعـــدد إذا لم يكن جزءا من مفهوم الجملة فيخضع للإعراب وأريد به العـــد فقط، سمي بالعدد المسرود، ويكون في هذه الحالة موضوعا على الوقف، حـــيث يقـــال: واحـــدْ، اثنانْ، ثلاثهْ، أربعهْ، خمسهْ، ستهْ، إلى الألفْ، وذلك لأن المعاني الموجبة للإعراب مفقودة، شأنه في ذلك شأن حروف التهجي، حيث يقال في سردها: ألفْ، جيمْ، تاءْ، هاءْ، نونْ.(٢)

دلالة العدد اللغوي:

إن الحـــديث عـــن العدد اللغوي لا ينفصل كما ذكرنا عن الحديث عنه حـــسابيا ومقـــداريا، فنحن عندما نفرد عنوانا لدلالة العدد اللغوي، لا يعني أننا ســـلخناه عـــن مفهومه الدلالي الأصلي، وإنما أردنا الحديث عنه في صياغاته اللفظية اللغوية.

فالعدد بعامة إما أن يدل على الكمية، ويسمى العدد الأصلي، نحو خمسة وســـتة وأحد عشر، أو يدل على ترتيب الأشياء فيسمى العدد الترتيبي(٣)، وهو

---

(١) الزمخشري/ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨ هـــ، المفصل في علم العربية ص١٥ دار الجيل، بيروت.

(٢) الزمخشري، المفصل ص٢١٦.

(٣) الشرتوني، رشيد، مبادئ العربية في العرض والنحو، ص١٤٠، منشورات الآداب الشرقية.

الـــذي يدل على رتبة الأشياء فيما بينها نحو: الخامس والسادس والحادي عشر والسبعون والمائة والألف.

ولهـــذين النوعـــين: الأصلي والترتيبي أحكام لغوية تتعلق بكل منهما، وتبين طريقة استعماله ولفظه وتركيبه.

فالعـــدد الأصلي، وهو الدال على الكميات يبدأ من ١-١٠٠٠، وما قبل الـــواحد هو الصفر الذي لا يدل على شيء. والصفر كما ورد في المعجم لفظة تدل على خلو منزلتها من العدد، ويرمز إليه بالعربية هكذا (o) وبالهندية (.)[١].

وليس بعد الألف إلا مضاعفاته، وما يتبعها من زيادات العقود والنيفات، وأما المليون فهو تعبير غير عربي، وإذا ما أريد في العربية أن يعبر عن كميته قيل ألف ألف أي: مليون وليس غير.

العدد الأصلي من حيث الاشتقاق:

العدد الأصلي المفرد هو مجموعة الأعداد من ١-١٠ وألفاظ العقود من ٢٠-٩٠ ولفظي المائة والألف، يضاف إلى هذه المجموعات الأعداد المركبة من ١١-١٩، والأعـــداد المعطوفة من ٢١-٩٩، وهذه الأعداد هي تشعيب للأصول وتفريع عنها.[٢]

وقـــد صـــنف اللغويـــون هذه الأعداد بحسب دلالاتها العددية وإعرابها وطريقة ضبطها، وبحسب علاقتها بالمعدود من حيث التذكير والتأنيث، وطبيعة المعدود من حيث الإفراد والجمع والنصب والجر.

---

(١) المعجم الأساسي جماعة من اللغويين (لاروس) مادة صفر ص ٧٣٨.

(٢) الزمخشري، المفصل ص٢١٢.

ولسنا في هذا البحث متوخين هذا التصنيف كما ورد في مراجع النحو ومظانه، فهو معروض فيها بشكل تفصيلي لا غناء في تكراره. وإنما نحن في بحثنا هذا نحاول أن نتلمس الجوانب المتعلقة بالعدد، والتي لم يركز عليها في الغالب ضمن جهود بحثية خاصة، وهوما نحاول القيام به في هذا البحث.

ولعل من مداخل الحديث في هذا الجانب أن نتعرض للأعداد في اشتقاقها وأصولها وتفريعاتها بالشكل التالي:

<u>العدد (واحد)</u>، ويرمز إليه بـ (1) أو (١) ، وهو أول العدد وكذلك الواحد والأحد، وهو مشتق من الوحدة، وله صيغ عديدة حيث يقال "واحد" للمذكر وواحدة وإحدى للمؤنث، ويستعمل صفة لمعدوده أو توكيدا له كما قيل في قوله تعالى: "**ونفخ في الصور نفخة واحدة**"[١]، إذ تعرب كلمة واحدة صفة لنفخة أو توكيدا[٢]، ولا يتقدم هذا العدد على معدوده، فلا يقال واحد رجل وإنما يقال رجل واحد.

وقيل إن الواحد ليس بعدد[٣]، لأن العدد هو الكمية المتألفة من الوحدات، فلا يكون الواحد عددا[٤] ولأن العدد كذلك كم منفصل، وهو قسم مطلق الكم، ولا يقبل القسمة لذاته كما أنه ليس له حاشية صغرى كبقية الأعداد[٥]، والهمزة في إحدى وأحد منقلبة عن الواو، ولا يستعملان في الأعداد إلا في المنيفة، فيقال واحد وعشرون وإحدى وعشرون[٦].

---

(١) سورة الحاقة الآية ١٣.

(٢) محيي الدين درويش، إعراب القرآن.

(٣) حاشية الجمل مجلد ٤، ص٣٩٧.

(٤) الجرجاني، التعريفات + المصباح المنير.

(٥) الكفوي، أبو البقاء ج٣، ص٢٥٤ + الأشموني ج٤.

(٦) الزمخشري، المفصل ص٢١٦.

وفي التركيب يقال: أحد عشر، وفي منهج الترتيب يقال الواحد والحادي عشر والحادي والعشرون، ولا يستعمل حادٍ وحادية إلا مع (عشر) ومع (عشرين وأخواته) فيقال حاد وعشرون بدون أل أو حادية وعشرون[1]، ومن هذا العدد تشتق الأحادية والأحادي والموحَّد والموحِّد.

<u>العدد (اثنان)</u>، ويرمز إليه بـ (2) أو (٢). وهو لفظ مشتق من الثني، ويطلق على المذكر عدا أو وصفا، وقد يعرب توكيدا أو صفة لما قبله[2]، وهو من الألفاظ الملحقة بالمثنى إعرابا لعدم وجود مفرد له، ويعرب إعرابه سواء أكان مفردا أم مركبا أم معطوفا عليه.

ومعدوده كمعدود الواحد متقدم عليه دائما حيث يقال: رجلان اثنان، وامرأتان اثنتان، كما يقال: رجل واحد، وامرأة واحدة، ولا يقال واحد رجل، أو اثنا رجلين لأن كلمة (رجل) تفيد الجنسية والوحدة، ورجلان يفيد الجنسية وشفع الواحد، فلا حاجة إلى الجمع بينهما[3]. وجاء على غير قياس قولهم:

ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل

إذ المفروض أن يقال: ظرف عجوز فيه حنظلتان اثنتان.[4]

وهذا العدد يلفظ بهمزة الوصل حينا، أو بدونها فيقال اثنتان أو ثنتان،[5] حيث تحذف الهمزة لكثرة الاستعمال.

---

(١) ابن الناظم، جمال الدين محمد بن مالك، شرح ألفية ابن مالك، منشورات ناصر خسرو ص٢٩٠. ولد سنة ستمائة ومات في شعبان سنة ٦٧٢هـ.

(٢) حكمه حكم الواحد.

(٣) الدقر، عبد الغني، معجم النحو.

(٤) أي مع بقاء النون، إذ لا إضافة في هذه الحالة. المفصل الزمخشري، ص٢١٢.

(٥) الزمخشري، محمود بن عمر، الأنموذج – شرح الأردبيلي – جمال الدين محمد بن عبد الغني تحقيق د. جني عبد النبي ص١٢١.

وكمـــا يستعمل هذا العدد مفردا، يستعمل كذلك مركبا مع عشر، فيقال: اثـــنا عـــشر في حالة التذكير واثنتا عشرة في حالة التأنيث كما يستعمل تاما في حالة العطف فيقال اثنتان وعشرون، أو ثنتان وعشرون.

ويعرب إعراب المثنى رفعا بالألف ونصبا وجرا بالياء، كما يعرب في حالـــة التـــركيب دون نـــون، مستعاضا عنها بلفظ عشر، فيقال اثنا عشر واثنتا عشرة، ويعرب معطوفا عليه كالمثنى بحسب موقعه رفعا بالألف، ونصبا وجرا بالياء.

وعن هذا اللفظ مكررا يعدل لفظا (ثناء ومثنى) أي: اثنين اثنين، كما في قـــوله تعالى: "**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**"، ومنه تشتق الثنائية والمثنى والثنائي.

والعـــددان (١، ٢) يوافقان المعدود مفردين أو مركبين أو معطوفين في حالات الإعراب والتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير.

العـــدد (ثلاثة): ويرمز إليه بـــ (3) أو (٣). وهو لفظ مشتق من ثلث، وإلـــيه ترجع كل الصيغ التي تدل على الثلاثة، مثل: ثلث وثلاثي وثالوث وثلث، وعـــنه مكـــررا يعـــدل لفظا (ثُلاث ومَثْلث) أي ثلاثة ثلاثة، ومنه قوله تعالى: "**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**"(١).

وهذا العدد هو بداية الجمع وأقله، ويشكل مع الأعداد التالية له إلى تسعة فـــئة الأعـــداد المخالفة، التي لا تتوافق مع معدوداتها التي تليها، وتكون مضافة إليها نحو: ثلاثة رجال، وثلاث نسوة، وسيأتي الحديث عن ذلك لاحقا.

---

(١) النساء الآية ٣.

ومما يقال في هذا العدد أنه إذا عطف على مجروره المعدود، لا يجوز فـي معطوفه إلا الجر، لأنه جمع واحد وليس بجمعين فيقال: عندي ثلاثة رجالٍ ونسوةٌ بالرفع، بمعنى أن عندي ثلاثة رجال وعندي نسوة.

العدد (أربعة): ويرمز إليه بـ (4) أو (٤)، وهو عدد زوجي مشتق من ربـع، وتعـود إليه كل مفهومات الرباعية وألفاظها، من رباعي ورباع وتربيع ورابـع وربع ومربع ورباعية، وعنه مكررا يعدل لفظ (رُباع ومَرْبع)، كما تقدم في قوله تعالى: "وانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع"[١].

وهـذا العـدد مـن الأعداد الزوجية المخالفة لمعدوداتها في التذكير والتأنيث، ومعدوده لاحق به مجرورا بالإضافة، وإذا عطف عليه لم يجز فيه إلا الرفع كما تقدم في لفظ ٣، إذ لا يجوز الجر لأن الأربعة تحتوي على جمع واحـد فـيقال: لـدي أربعة رجالٍ وامرأةٌ أي لدي ثلاثةُ رجالٍ وعندي امرأة واحدة.

العدد (خمسة): ويرمز إليه بـ (5) أو (٥)، وهو عدد وتري مشتق من (خمـس)، ومـنه تشتق الصيغ المستعملة في الدلالة على التخميس، نحو خمس وخماسي وخميس وخامس ومخمس ومخموس، وعن الخمسة يعدل لفظا (خُماس ومَخْمس) أي: خمسة خمسة.

وهـذا العدد كسابقيه من مجموعة الأعداد المخالفة لمعدودها في التذكير والتأنـيث، ومعدوده مجرور بالإضافة، وإذا عطف عليه رفع ولا مساغ للجر، لأن العدد لا يتألف من جمعين، فيقال في مثله: عندي خمسة رجالٍ ونساءٌ، أي: ثلاثة رجالٍ وامرأتان إذ لا يوجد من العدد خمسة إلا جمع واحد.

---

(٢) النساء الآية ٣.

العــدد (ستة): ويرمز إليه بـــ (6) أو (٦)، وأصل اللفظ سدس[١]، فلما كثــرت فـــي الكلام أبدلوا السين تاء فصارت ست[٢] فالتغيير الأول للتقريب من غيـــر إدغام، والثاني مقصود به الإدغام[٣]. وذكر ابن يعيش أن إدغام ست إنما هـــو علـــى ســـبيل الشذوذ، والذي يدل على أن أصل ست سدسة بالدال أننا في التصغير نقول سديسة وفي الجمع نقول أسداس ولا نقول: أستات.[٤]

وهذا العدد يدل على ست وحدات، وكل وحدة منه تسمى سدسا، كما أن كـــل مشتقاته السداسية مأخوذة منه كالسداسي والمسدس والسديس، وعنه يعدل لفظـــا سُـــداس ومَـــسْدَس أي ستة ستة، وهو من الأعداد المخالفة لمعدودها في التذكير والتأنيث، ولا يكون معدودها إلا جمعا مجرورا، والمعطوف عليه يجوز فيه الجر كما يجوز فيه الرفع فيقال عندي ستة رجالٍ ونساءٍ أو نساءٌ.

العـــدد (سبعة): ويرمز إليه بـــ (7) أو (٧). وهو لفظ مشتق من (سبع) ويدل على سبع وحدات، وإليه تعود كل المشتقات كالسباعي والسابع، وعنه يعدل لفظا سُباع ومَسْبَع أي سبعة سبعة.

ومـــن استخداماته اللغوية والدينية قوله تعالى: "**الذي خلق سبع سموات طباقا**"[٥] وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظلـــه" إلى آخر الحديث، وقوله كذلك: "إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب"، وهذا العدد مخالف لمعدوده تذكيرا وتأنيثا، ويكون مجمـــوعا مجرورا، وإذا عطف عليه جاز جر معطوفه لوجود جمعين، أو رفعه

---

(١) مختار الصحاح مادة ستت، ص٢٨٤ – الرازي.

(٢) ابن جني، عثمان، الخصائص ج٢/ ص٤٧٢. دار الهدى للطباعة/ بيروت.

(٣) الخطيب/ عبد اللطيف/ لغويات ص١٧٤.

(٤) شرح المفصل ص١٢٣ لابن يعيش نقلا عن كتاب لغويات للدكتور عبد اللطيف الخطيب.

(٥) سورة الملك الآية ٣.

فـــيقال: عندي سبعة رجالٍ ونساءٍ أي: عندي ثلاثة رجال وأربعة نساء أو أربعة رجال وثلاثة نساء.

ولهـــذا العدد فضائل كثيرة سردها صاحب المخلاة، ومنها أنه عدد مقنع لأنـــه مذكور في السموات والأرض، وفي خلق الإنسان، وفي رزقه وأعضائه التي بها يطيع الله.(١)

وعـــن ابن الخباز في شرح الإيضاح قوله: وقد استقريت ما وقفت عليه مـــن كـــتب العلم والتفسير والحديث والتواريخ وغير ذلك، فلم أر عددًا مذكورًا دائرًا على الألسنة أكثر من هذا العدد.(٢)

العـــدد (ثمانـــية): ويرمـــز إليه بـــ (8) أو (٨)، وهو لفظ مشتق من (ثمن)، ويدل على ثماني وحدات تسمى كل وحدة (ثمنا)، وإليه تعود اشتقاقاته المعـــروفة، نحو: ثمين ومثمن وثماني، وعنه يعدل لفظا ثُـــمان ومَثْـــمَن أي ثمانـــية ثمانية، والياء فيه للنسب مثل الياء في اليماني وهو بذلك منسوب إلى الثمن.(٣)

والثمانية من الأعداد المخالفة لمعدودها، وتثبت ياؤه مع المذكر والمؤنث في حالة الإضافة، فيقال ثمانية رجال وثماني نساء وتسقط هذه الياء مع التنوين عـــند الـــرفع والجر كما تثبت عند النصب، فيقال: هؤلاء رجالٌ ثمانٍ ومررت برجالٍ ثمانٍ حيث يعامل معاملة (جواري)، ومعدود هذا العدد مجرور بالإضافة، وإذا عطف عليه جُرَّ المعطوف تبعا له.

---

(١) العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين، المخلاة ص٣٥٥ دار المعرفة ، بيروت.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الكفوي، الكليات، ج٢، ص١٢٨.

العـــدد (تسعة): ويرمز إليه بـــ (9) أو (٩)، وهو ثلاث ثلاثات[١] ويدل على تسع وحدات، والوحدة منه تسمى تسعا أو تسيعا، ويجمع على أتساع، ومنه يـــشتق التاسع والتساعي، وعنه يعدل لفظا (تـُـساع ومَـــتـــسْع) الممنوعين من الصرف، ويعنيان تسعة تسعة، وهذا العدد مخالف لمعدوده في التذكير والتأنيث، كمـــا أن معـــدوده مجرور بالإضافة، والمعطوف عليه يجر فيقال عندي تسعة رجال ونسوة، لأن العدد مكون من ثلاثة جموع.

العـــدد (عـــشرة): ويرمز إليه بـــ (10) أو (١٠). وهو لفظ مشتق من عشر ويدل على عشر وحدات، وكل وحدة يطلق عليها عشر، وهو من الأعداد المخالفـــة لمعـــدودها تذكيـــرا وتأنيثا إذا كان مفردا، ويخالف إذا كان مركبا مع الـــواحد إلى التسعة، ولا يشكل في هذه الحالة بنفسه عددا مفردا، وإنما يعد مع غيره عددا واحدا مبنيا معه على الفتح، إلا مع العدد (اثنان) الذي يعرب إعراب المثنـــى رفعـــا بالألف ونصبا وجرا بالياء، ويبقى لفظ عشر مبنيا على الفتح لا محل له من الإعراب، لأنه بمثابة النون كما أشرنا إلى ذلك آنفا.

ومن لفظ عشرة تشتق وحداته الجزئية، نحو: العُشْـــر الذي يجمع على عشور وأعشار ويقال للجزء عشير ويجمع عليها عشراء، وفي الحديث الشريف (تـــسعة أعشار الرزق في التجارة)، ويقال كذلك للجزء الواحد معشار، وقيل إن المعشار هو عشر العشر، أي: الواحد من العشر كما يقال إنه عشر العشير أي: أنه واحد من ألف، لأنه عشر عشر العشر.

والعشرة بأجزائها تشكل العقد الذي هو عشرة أجزاء، ومنها تتكون ألفاظ العقود وهي عشرون إلى (تسعون) والعشرة أولها.[٢]

---

(١) محيط المحيط للبستاني مادة عشر في باب العين ثم الشين ثم الراء.

(٢) محيط المحيط للبستاني.

والعـــشرة قـــد سميت عقدا لأنها تشكل جماعة الأجزاء التي تتم بسقف المجموعة العددية، كما يتم عقد البيت بضم حجارة سقفه بعضها إلى بعض.(١)

والعقـــد هـــو العـــدد يكون على رأس تسعة أعداد قبله من نوع واحد، والعقود لدى النحاة هي التي تبدأ بعشرة وتنتهي بتسعين.(٢)

ولفظ عشرة مفتوح الشين دائما، وقد تكسر أو تسكن عندما تكون مركبة مـــثل خمـــس عـــشْرة، وربما تكسر كما ورد في لغة تميم لطول الاسم وكثرة حركاته، إلا في اثني عشر فإن الشين لا تسكن إلا لسكون الألف والياء قبلها.

وهـــذه المجمـــوعة مـــن الأعداد إذا لم يكن لها معدود وقصد بها العدد المطلق كانت كلها بالتاء، نحو: ثلاثةُ نصف ستةَ وثمانيةُ ضعفا أربعةَ وتكون في هذه الحالة ممنوعة من الصرف لأنها أعلام.(٣)

<u>الأعداد المركبة</u>: ومن ألفاظ العقد الأول تتكون الأعداد المركبة مع لفظ عـــشرة، لـــتكون بذلك المجموعة الثانية من مجموعات الأعداد، مثل أحد عشر وثلاثـــة عـــشر إلـــى تسعة عشر، وتتميز هذه المجموعة بأنها مبنية على فتح الجـــزأين فـــي كل الحالات الإعرابية، ما عدا لفظ ١٢ الذي يعرب أوله إعراب المثنى كما ذكر آنفا.

<u>ألفـــاظ العقـــود</u>: ومـــن مفـــردات العقد الأول كذلك تتكون ألفاظ العقود المـــضاعفة، وهي عشرون إلى تسعون، وهي في الأصل مبنية من (عشرة) بعد

---

(١) المرجع السابق

(٢) عباس حسن، النحو الوافي ج٤، ص٤٨٦.

(٣) الأشموني، علي بن محمد، شرح الأشموني، لألفية ابن مالك، ج٤، ص٦١.
ابن هشام الأنصاري – جمال الدين بن عبد الله، الجامع الصغير في النحو ت ٧٦١هـــ، ١٣٦٠م، ص ٢٠٢.
الجامع الصغير في النحو لابن هشام، ص ٢٠٢.

تـضعيفها، وألفاظ العقود في حقيقتها ليست جموعا، وإنما هي أسماء جموع[1] لأنهـا تـدل علـى الجمع ولا مفرد لها مثل قوم ورهط ونساء، إذ إنها أسماء موضوعة لهذه الألفاظ، وليست جمعا لعشرة أو ثلاثة.

فالعـشرة هـي أول العقود كما ذكرنا، فإذا ثنيت أو كررت لمرة واحدة فهـي العـشرون، ولثلاث فهي الثلاثون، ولأربع فهي الأربعون، ولخمس فهي الخمـسون، ولـستٍ فهي الستون، ولسبع فهي السبعون، ولثمانٍ فهي الثمانون، ولتسع فهي التسعون.

فالعـشرون تعني عشرتين، ويلحق في إعرابه بجمع المذكر السالم، ولا يعـد جمع مذكر سالما لعدم وجود مفرد له، ويرفع بالواو وينصب ويجر بالياء، وقد يتساءل أحد عن السبب في اعتباره ملحقا بجمع المذكر السالم دون أن يثنى، فيقال: عشرتان موافقة للمعنى، وفي اعتقادنا أن لفظ العشرين يعني العشرتين من حيث دلالته على العقد أي أنه عقدان أو مجموعتان، لكنه باعتبار دلالته العددية فهو عشرون فردا أو جزءا، ولا نصيب له في التثنية في مثل هذا المعنى.

ولفـظ العـشرين من الألفاظ المحايدة التي لا تتأثر بمعدودها من حيث التذكيـر والتأنيث، كما أن معدوده دائما مفرد منصوب، ولا يأتي جمعا حتى لا يلتقي جمعان من غير فاصل بينهما.

ويعلـل الفـراء لـذلك بقوله: العدد وضع على نفسه لا على أنه صفة لـصاحبه، فقالوا: نلزم العشرين النون لأننا لم نقصد به قصد الرجال، ولا قصد النـساء، ولا مـا بين ذلك لما بعد: وكأن الاسم ليس له واحد منه يعرف فلما لم يكـن على بناء ذُهب به إلى مجهول العدد، تقول العرب: لقيت منه الأمرَّين فلم يحط بعدد، كما لم يعرف للعشرين ولا للتسعين واحد منه.[2]

---

(١) عباس حسن، النحو الوافي، ج٤، ص٤٧٢.

(٢) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، المذكر والمؤنث، تحقيق د. طارق الجنابي ج٢، ص٢٥٥.

الثلاثون هي العقد الثاني من ألفاظ العقود، ويعني ثلاث عشرات، ويتحقق فيه معنى الجمع من ناحيتين:

الأولى دلالته على الثلاث – وهي أول الجمع

والأخرى دلالة العشرات الثلاثة على مفهوم المعدود ذي الأفراد المتعددين.

وهذا العقد كسابقه ملحق بجمع المذكر السالم من حيث إعرابه بالواو رفعا وبالياء جرا ونصبا، واعتبر ملحقا لخلوه من مفرد له من لفظه.

وبالنسق نفسه يجري الكلام في أربعين وخمسين وستين وسبعين وثمانين وتسعين، إذ يصدق عليها كلها أنها مضاعفات العشرة، وأن إعرابها كإعراب المذكر السالم، وإذا عرفت بأل قيل فيها: العشرون والثلاثون والتسعون وأن لها تمييزا مفردا منصوبا كما ذكر آنفا في لفظ عشرين وما صحبه من تعليل للفراء.

وربما تُميّز هذه العقود على قلة بجمع يصدق على الواحد منها، وهذا خلاف المعهود المذكور، فيقال: عندي عشرون دراهم على معنى: عشرون شيئا، كل واحد منها دراهم[1] وحمل عليه قوله تعالى في العدد المركب ذي التمييز المفرد المنصوب: "**وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا**" على معنى (فرقة) أي: كل فرقة منهم أسباط.[2]

وهذه العقود لا تضاف إلى مميزها، ولكنها قد تضاف إلى أصحابها فيقال: هذه عشرو محمد بحذف النون من أجل الإضافة وهذه عشروك وستوك، على معنى هذه حصتك مما لك من العشرين أو الستين درهما.

وورد في قول الكميت ما يؤيد ذلك إذ قال:

---

(١) ابن الناظم بدر الدين محمد بن مالك – شرح الألفية منشورات ناصر خسرو بيروت ص٢٨٧.

(٢) ابن الناظم، بدر الدين محمد بن مالك، شرح الألفية: منشورات ناصر خسرو، بيروت، ص ٢٨٧

(وستوك قد كربت تكتمل)

أي: الستون السنة الخاصة بك من عمرك.[1]

المائـــة والألـــف وهمـــا الفئة الرابعة من العدد الأصلي، وتمثل عددين يجمعان بين شيء من خصائص المجموعات كلها، من جر للمعدود إلى إفراد له أو جمعـــه حينا آخر، إلى حيادية في التذكير والتأنيث كألفاظ العقود، ولهما بعد ذلك سمات خاصة يتميزان بها.

فالعـــدد (مائة) ويرمز إليه بـــ (100) أو (١٠٠)، وهو عدد مؤنث[2]، ويحـــتوي علـــى عـــشر عـــشرات، ويقال في لفظه (مِئيه)، وهو من الأسماء الموصـــوف بها، يقول سيبويه: مررت برجل مائةِ إبـــلُه[3]، ويجمع على مئات ومـــئون بكـــسر المـــيم وضمها، وأصل لفظ مائة مئي، والهاء عوض عن الياء المحذوفة.

وقد يشتق منه فعل، فيقال: أمأيت القوم أي كانوا تسعة وتسعين فجعلتهم مائة، ولهذا العدد تمييز مفرد مجرور بالإضافة حيث يقال: لدي مائة كتاب، وقد شـــذ تمييـــزه بمفرد منصوب كما جاء في قول الشاعر: إذا عاش الفتى مائتين عاما، وهذا أمر لا يقاس عليه.[4]

وقد يضاف إلى الجمع كما جاء في قراءة حمزة لقوله تعالى: **"ثلاث مائة سنين"**، والتي تنسب كذلك إلى الكسائي، وقد خطأها المبرد، ولم يجوزها إلا في الـــشعر حـــيث قال: وهذا خطأ في الكلام غير جائز وإنما يجوز مثله في الشعر

---

(١) البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب، ج٣، ص ٢٦٧.

(٢) الأنباري، المذكر والمؤنث ص ٢٤٠.

(٣) اللسان ابن منظور، باب الياء فصل الميم ص٢٦٨ ط ١٩٦٨ دار صادر بيروت.

(٤) ابن الناظم، بدر الدين محمد بن مالك، ص ٢٨٦.

للـضرورة[١]، ومن النحاة من يقرها، فأبو حيان ينقل تجويز أبي علي لإضافة مائة إلى الجمع حيث قال: وقال أبو علي: هذه تضاف في المشهور إلى المفرد، وقد تضاف إلى الجمع.[٢]

والعدد (مائة) عدد حيادي مع معدوده بالنسبة للتذكير والتأنيث، إذ يذكر لفظه دون أن يتأثر بمعدوده فيقال: مائة رجل ومائة امرأة بلفظ واحد.

والأصل في لفظ مائة أن يكتب هكذا (مئة) بدون ألف – ولكن الألف قد اجـتمعت فـيها حتى لا تختلط اللفظة بكلمتي (منه) وفئة. وتسمى المائة هنيدة والمائتان هند إذ التصغير للصغير والتكبير للكبير.[٣]

<u>الألـف</u> ويرمز إليه بـ (1000) أو (١٠٠٠)، وهو عدد مذكر في لفظه[٤] وقد يؤنث على أنه جمع، ويجمع على ألف وآلاف، ويقال ألوف في جمع الآلاف أي أنه: جمع الجمع، قال تعالى: "**وهم ألوف حذر الموت**"[٥].

وهـذا العـدد يحتوي على عشر مئات، ويعد في العربية مبلغ الأعداد ونهايتها. وعندما تراد مضاعفاته، يقال: ألف ألف، وهو ما يعرف عند المحدثين بالمليون.

ولهذا العدد تمييزه المفرد المجرور بالإضافة، حيث يقال: في القاعة ألف رجل، ويكون جمعا مجرورا إذا كان مجموعا نحو: في القرية ألوف الرجال.

---

(١) تعليق الأستاذ عبد الخالق عضيمة على المقتضب ج٢، ص ١٧١.

(٢) تحقيق عبد الخالق عضيمة للمقتضب ج٢، ص ١٧١، نقلا عن البحر ج٦، ص ١١٧.

(٣) ابن مكي الصقلي، تثقيف اللسان، ج٢، ص١٧١، القاهرة تحقيق د. عبد العزيز مطر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

(٤) الأنباري، المذكر والمؤنث، ج٢، ص ٢٤٠.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٤٣.

والألف عدد حيادي من حيث التذكير والتأنيث، فلا يتأثر بمعدوده من هذا الجانب، ويبقى على لفظه كالمائة.

وقد يوصف بالمؤلفة فيقال: ألف مؤلفة أو ألوف مؤلفة، أي: مكملة.(١)

المخالفة بين العدد والمعدود

قد لا يكون تكرارا أن نتحدث عن العدد المخالف للمعدود في التذكير والتأنيث، وبخاصة أننا قد ذكرنا ذلك عرضا في أثناء الحديث عن الأعداد من (٣-١٠)، فمثل هذه المخالفة ظاهرة بارزة في بناء العدد والحديث عنه، إذ يقتضي السياق والمنطق أن يذكر العدد للمعدود المذكر، وأن يؤنث للمعدود المؤنث، وأما أن يختلفا فهذا أمر يستدعي الوقوف عنده لجلاء سره وبيان حكمته.

فللعدد كما ذكرنا أحكام كثيرة، لا تنحصر كما قلنا في الدلالة المقدارية الحسابية، وإنما تتعداها إلى التركيب والصياغة والإعراب، ومما لا شك فيه أن ظاهرة المخالفة كما أشرنا تبدو غريبة، ولولا أن الاستقراء اللغوي قد أثبت ذلك لكانت المطابقة هي الأولى.

ولهذا نرى التركيز عليها قليلا، لعلنا نجلو شيئا من الحقيقة المتعلقة بها، وقد يكون من المفيد قبل أن نخوض في فلسفة التعليل واستعراض ما ذكر في هذا الصدد أن نبرز هذه المخالفة من باب التذكير بها، ليسهل علينا بعد ذلك الربط بينها وبين ما قيل من أسبابها.

فإذا كان العددان واحد واثنان، وهما يشكلان الفئة المسالمة يطابقان المعدود السابق لهما، ومجموعة العقود وكذلك المئة والألف، وهي الفئة المحايدة

---

(١) انظر مختار الصحاح، الرازي، ط دار الكتب مادة ألف ص٢٢.

لا تتأثـــر بالمعـــدود تذكيرا وتأنيثا، فإن المجموعة العددية التي تبدأ من (٣-٩) وتنتظم بها العشرة مفردة وهي الفئة المعائدة تخالف معدودها فتذكر معه إن كان مؤنثا، وتؤنث معه إن كان مذكرا وذلك بالنظر إلى مفرد هذا المعدود كما يرى الجمهور أو إلى لفظ الجمع كما يرى البغداديون[١].

ولـــسنا بحاجة إلى جدولة هذه الأعداد، فهي مشروحة بالتفصيل في كل مؤلفات النحو المرجعية والمنهجية.

ولكن ما سر هذه المخالفة ولماذا كانت ؟

تعليل المخالفة: لم تقع مخالفة العدد للمعدود كما ذكرنا آنفا إلا في نطاق هـــذه المجموعة، وهي مخالفة واجبة في مختلف استعمالاته، سواء أكانت مفردة أم مـــركبة أم معطوفا عليها، وقد عللت هذه المخالفة بأقوال عديدة منها: أن هذه الأعـــداد مؤنثة الأصل، مثل: زمرة وفرقة وطائفة، فرئي أن يستصحب الأصل المذكـــر لـــسبقه، وأن يكـــون التذكير مع المؤنث لكونه لاحقا للمذكر ومتأخرا عنه[٢]، وذكر الأردبيلي في شرحه للأنموذج، معللا لذلك أن هذه الأعداد بمعنى (جماعـــة)، فهـــي فـــي المعنى مؤنث، فينبغي أن تزاد علامة التأنيث في لفظها لـــتطابق المعنـــى، والمذكـــر لكونه أصلا وهوأولى برعاية هذه المطابقة، وإذا روعيت فيه ففي المؤنث لا يمكن وإلا لم يبق فرق بينهما.[٣]

وقـــيل إن مـــن حـــق هذه الأعداد أن تستعمل بالتاء مطلقا لأن مسماها جموع، والجموع غالبٌ عليها التأنيث، ولكن أرادوا التفريق بين المذكر والمؤنث

---

(١) الأشموني ج٤، ص٦١ ط الحلبي.

(٢) الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، ج٤، ص٦١ الحلبي.

(٣) شـــرح الأردبيلـــي للأنموذج في النحو للمزمخشري تحقيق د. حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة.

فجـــاءوا بعدد المذكر بالتاء على القياس لكونه أصلا، وبعدد المؤنث بغير التاء للتفريق.(1)

وقـــال الفراء: تثبت الهاء في عدد المذكر، ولا تدخل في عدد المؤنث، لأن العدد مبني على الجمع، فلما كانوا يثبتون الهاء في جمع المذكر فيقولون في جمع صبي صبية وفي جمع غلام غلمة وفي جمع رغيف أرغفة، وفي قرد قردة وحجر حجارة أثبتوها في عدده، لأن العدد مبني على الجمع.

ولمـــا كانـــوا لا يدخلـــونها في جمع المؤنث، فيقولون في جمع رُكْـــبة رُكَـــب، وقِرْدة قِرَد وغرفة غُرف لم يدخلوها كذلك في عدد المؤنث، لأن العدد أيضا مبني على الجمع.(2)

ويقـــول أبـــو حـــاتم السجستاني: إنما أدخلوا الهاء في عدد المذكر، ولم يدخلـــوها في عدد المؤنث، لأن المؤنث أثقل من المذكر، وأكثر المؤنث فيه هاء التأنيث، فجعلوا جمع المؤنث بلا هاء، ليكون أخف له، لأن الهاء لزمت الواحدة ولذلك ثقل فكرهوا أن يمكنوا ذلك الثقل حتى لا ينتقل من الواحدة إلى الجماعة، ففـــروا من ذلك فحذفوا الهاء في الجمع ليعتدل الجمع، فيكون ثـــقيلٌ مع خفيف، وأما المذكر فخفف فأدخلوا الهاء في جمعه، فقالوا ثلاثة ليكون ثـــقيلٌ مع خفيف فيعـــتدل، وكـــرهوا أن يجمـــع بين الثقيلين، فجعلوا ثقيلا مع خفيف وخفيفا مع ثقيل.(3)

وقـــيل فـــي هـــذا الصدد أكثر مما ذكرنا مما دار في معظمه حول خفة التذكير وثقل التأنيث وجريان كل من المؤنث والمذكر على أصله.

---

(1) ابن الناظم، بدر الدين بن محمد، شرح ألفية ابن مالك، ص ٢٨٤.

(2) الأنباري، محمد بن القاسم، المذكر والمؤنث، ج2، ص ٢٣٢.

(3) المصدر السابق ص ٢٣٤.

وفـي اعتقادنا أن الآراء التي ذكرت هي ضرب من التعسف والتحليل الفلسفي الذي لا فائدة منه دائما، وإنما هو ضرب من الترف الفكري، لا نملك إلا تقديـره وليس قبوله بالضرورة – وما نرجحه في هذا الصدد هو أن الاستقراء وتتبع الجزئيات لإدراك الكليات وإحقاق حقائقها هو الذي أفضى بنا إلى استخدام العـدد كمـا ورد، وحسبنا أن نجد ذلك في النصوص المعتمدة وبخاصة القرآن الكـريم كما في قوله تعالى: "**سـخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما**"(١) وليس بيقين أن يكون ثقل المركب الإضافي المكون من جمعين سببا في تخفيفه باختلاف المتضايفين تذكيرا وتأنيثا درءا له من ثقل ثالث.

ومـع هذا نعود ونقول إن الاستقراء وواقع اللغة هما اللذان يقران هذه الظاهرة، دون الوغول في تعليلها وتفسيرها، ولولاهما لما وجد في نظرنا مانع من جريان الأمر على طبيعته فيتوافق المذكر مع المذكر والمؤنث مع المؤنث.

يقـوي ذلك إمكان الأمرين (المطابقة وعدمها) في حالة تقديم المعدود علـى العـدد فـي مـثل: قرأت الكتب الثلاث أو الثلاثة، علما بأن المركب الوصـفي لا يقـل ثقلا عن المركب الإضافي. ويعززه كذلك قوله تعالى في كـتابه العزيـز "**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**"(٢)، حيث ذكر العدد مع كـون المعـدود جمعا مذكرا، ولم يكن في ذلك أي ثقل في اللفظ، ولا نذهب بعـيدا بالاغترار في ما ذهب إليه النحاة من التأكيد على أن الآية جارية على أصـلها، وأن العدد مع معدوده المؤنث حيث قالوا: الأمثال جمع مثل والمثل مذكـر، أي أنـه جمع لمذكر وصف لمحذوف مؤنث، يكون معه تقدير الآية هكذا "من جاء بالحسنة فله عشر حسنات أمثالها".(٣)

---

(١) الحاقة الآية ٧.

(٢) الأنعام الآية ١٦٠.

(٣) الأنباري محمد بن القاسم، المذكر والمؤنث، ج٢، ص ٢٣٨.

ولا ندري لم هذا التخريج، والاستخدام واضح ولا يحتاج إلى تحميله ما لا ضرورة لتحميله إياه، وحسبنا أن نقول إن المخالفة استقرائية يقتضيها النسق التعبيري الذي تهدف إليه لغتنا في مختلف أحكامها، كالحذف والتعويض والقلب والتخفيف، وإن ما ورد مما يخالف ذلك يحمل على الجواز والقلة وحسب.

العدد الترتيبي:

سبق أن ذكرنا أن العدد ينقسم إلى، أصلي وقد ذكرناه وترتيبي وهو ما سنتحدث عنه:

فإذا كان العدد الأصلي هو العدد الدال على الكميات، فالترتيبي هو العدد الذي يدل على ترتيب الأشياء والمفردات وبيان مواقعها وأوصافها.

وهذا يعني أن العدد الدال على الترتيب هو عدد وصفي أي أنه نعت لغيره موجودا هذا الموصوف أم مقدرا، لذلك كان حكمه الإعرابي المتابعة لموصوفه طالما أنه في موقع النعت، فنقول: أكرمت الطالب الأول أو الثاني أو الثالث في صفه، ونقول كذلك هذا السؤال الثاني عشر والتاسع عشر، وهذه هي المرة العشرون أو التسعون أو المائة أو الألف.

ويطابق العدد الترتيبي معدوده في التذكير والتأنيث والتعريف والتنكير والإفراد والتثنية والجمع وفي وجوه الإعراب، شأنه في ذلك شأن الوصف الذي يطابق موصوفه في أربعة من الوجوه العشرة التي ذكرها النحاة في مصنفاتهم وشروحهم.

ومعظم مفردات العدد الترتيبي مصوغ على وزن فاعل ويتعين ذلك في مجموعة الواحد إلى العشرة و في الجزء الأول من العدد المركب والمعطوف عليه في العقود، وأما العقود ذاتها ولفظا المائة والألف فيصاغ منها الترتيب على ألفاظها بقرينة المقام.

فالعـــدد المفرد وهو من (١-١٠) يعبر عن الترتيب منه بلفظ الأول عن الواحد. ولا يقال واحد وواحدة وحادي وحادية إلا في حالتي العطف والتركيب، فيقال الواحد والعشرون، والواحدة والعشرون أو الحادية عشرة أو الحادي عشر وفـــي غيرها يقال: الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر.

وفـــي المركب بعامة: يقال حادي عشر وثاني عشر وثالث عشر ورابع عـــشر وخامس عشر وسادس عشر وسابع عشر وثامن عشر وتاسع عشر مع المذكـــر وبالتاء في الجزأين مع المؤنث بحسب الموصوف وتكون هذه الأعداد الوصفية مبنية على فتح الجزأين كما في العدد الكمي.

وفـــي المعطـــوف، يقـــال: الحادي والعشرون إلى (التاسع والتسعون) فالمعطوف عليه يطابق معدوده في كل ما للصفة، في حين أن العقد المعطوف لا يتأثـــر بالتذكير ولا بالتأنيث كشأنه وهو عدد أصلي وأما العقود من لفظ عشرين إلـــى تسعين، وكذلك المائة والألف، فهي ألفاظ عددية تدل على الترتيب بقرينة التعـــريف اللفظـــية أو الحالـــية فـــيقال: وصلت في قراءة الكتاب إلى الصفحة الأربعين أو الصفحة المائة أو الصفحة الألف.(١)

<u>وللعدد الترتيبي ثلاث دلالات:</u>

الأولـــى: دلالـــة الوصـــف المطلـــق، نحو رابع وعاشر وتاسع عشر والعشرون والألف.

والثانـــية: الدلالة على أن الموصوف واحد من مجموعة لا تتعدى العدد المشتق منه كأن يقال: هذا ثالث ثلاثة أو خامس خمسة أي أنه أحد الخمسة دون الإشـــارة إلـــى مـــوقعه بينهم ويلاحظ أن صياغته تجمع بين النوعين الترتيبي والأصلي. ومثاله قوله تعالى: **"ثاني اثنين إذ هما في الغار"**(٢)

---

(١) الشرتوني، رشيد، ص ١٤٥.

(٢) التوبة الآية ٤٠.

الثالثة: الدلالة على التأثير في العدد الأصلي بجعله زائدا عليه بأن يكون مضافا إليه أو عاملا فيه النصب على معنى "جاعل" كأن يقال: هذا رابع ثلاثة، أي جاعــل الثلاثة أربعة أو عاشر تسعة أي أنه جاعل التسعة عشرة، ويتم ذلك كمــا قلــنا بإضــافة الأول للثانـــي بتنوين الأول ثم نصب الثاني. وإلى هذين الاستعمالين يشير ابن مالك في ألفيته بقوله:

وإن ترد بعض الذي منه بنى تضف إليه مثل بعضٍ بيِّن
وإن ترد جعل الأقل مثل ما فوق فحكم جاعل أحكما

وبالعـــددين الأصلي والترتيبي ورد قوله تعالى: "**سيقولون ثلاثة رابعهم كلــبهم ويقولــون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا**".(1)

العدد الصريح والكنائي

وينقسم العدد من حيث الدلالة المباشرة وغير المباشرة إلى عدد صريح وعدد كنائي.

فأما الصريح، فهو العدد الذي يدل على المعدود مباشرة برمزه نحو (٣) أو بلفظه نحو ثلاثة.

وأمـــا العدد الكنائي، فهو اللفظ الذي يدل على العدد دلالة غير صريحة ولا محدودة.

ولـــه ألفـــاظ خاصـــة يؤدى بها وتختلف في ما بينها من حيث الدلالة، وينحصر هذا العدد الكنائي في المعنوية والمقدارية في بعض الأحيان، وينحصر

---

(١) الكهف الآية ٢٢.

هـذا العـدد في كم الاستفهامية والخبرية وكأين وكذا كذا وألفاظ البضع والنيف والـضعف وفي رأينا أن الجموع أيضا بكل أنواعها كنايات عددية وفي حسبنا تعدادها لا تفصيلها.

العـدد ولغة التاريخ: التاريخ هو تقييد الحوادث والأمور الجارية بزمن معين مشهور بحيث ترتبط به وتنسب إليه، سواء أكانت قد وقعت وتحققت فيه أم وقعت في زمن آخر.[١]

وقـد جرت عادة المؤرخين المحدثين أن يؤرخوا للوقائع بالعدد الأصلي أو الترتيبـي، كـأن يقـال مـثلا: جـلا الإنجليز عن أرض فلسطين في يوم ١٥/٥/١٩٤٨ أو يقـال: فـي اليوم الخامس عشر من أيار عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين.

في حين أن المؤرخين القدامى قد جرت عادتهم على التأريخ بالليالي من الشهر القمري لسبقها على النهار[٢] وذلك من خلال تعبيرات سليمة اللغة مراعى فـيها قـواعد التذكير والتأنيث وقواعد إلحاق الضمائر بالفعلين (خلا) أو مضى للتعبير به عما انقضى و (بقي) للتعبير به عن الأيام التي بقيت من الشهر.

فالشهر الهجري تسعة وعشرون يوما أو ثلاثون، توزع الأحداث المراد تأريخهـا علـى أيامه، فعلى افتراض أن الشهر الذي يراد التأريخ فيه هو شهر رمضان، فإن الأحداث الواقعة فيه تصاغ تواريخها بالأشكال الآتية:

---

(١) عباس حسن، النحو الوافي، ج٤، ص ٥٢٤-٥٢٥.

(٢) الأشموني، شرح ألفية ابن مالك، ج٤، ص ٦٣٢.

الحدث	الليلة	التأريخ	(١٥) رمضان	الحدث	الليلة	التأريخ
* * *	الأولى	لمهل شهر رمضان أو مستهله أو لأول ليلة منه – أو لغرته – وقع كذا وكذا	النصف من رمضان أو لمنتصف رمضان، وقد يقال لخمس عشرة ليلة خلت أو خلون من رمضان أو لخمس عشرة ليلة بقيت أو بقين من رمضان	* * *	السادسة عشرة	لأربع عشرة ليلة بقيت أو بقين من رمضان
* * *	الثانية	ليلتين خلتا من رمضان		* * *	السابعة عشرة	لثلاث عشرة ليلة بقيت أو بقين من رمضان
* * *	الثالثة	لثلاث ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	الثامنة عشرة	لاثنتي عشرة ليلة بقيت أو بقين من رمضان

* * *	الرابعة	لأربع ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	التاسعة عشرة	لأحد عشرة ليلة بقيت أو بقين من رمضان
* * *	الخامسة	لخمس ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	العشرون	لعشر ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	السادسة	لست ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	الحادية والعشرون	لتسع ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	السابعة	لسبع ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	الثانية والعشرون	لثماني ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	الثامنة	لثماني ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	الثالثة والعشرون	لسبع ليال بقين أو بقيت من رمضان

* * *	التاسعة	لتسع ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	الرابعة والعشرون	لست ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	العاشرة	لعشر ليال خلون أو خلت من رمضان		* * *	الخامسة والعشرون	لخمس ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	الحادية عشرة	لإحدى عشرة ليلة خلت من رمضان		* * *	السادسة والعشرون	لأربع ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	الثانية عشرة	لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان		* * *	السابعة والعشرون	لثلاث ليال بقين أو بقيت من رمضان
* * *	الثالثة عشرة	لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان		* * *	الثامنة والعشرون	لليلتين بقيتا من رمضان

* * *	الرابعة عشرة	لأربع عشرة ليلة خلت أو خلون من رمضان	* * *	التاسعة والعشرون	لليلة بقيت من رمضان
			* * *	الثلاثون	لسرر رمضان أو لسرارة أو لآخر ليلة منه أو لسلخه أو لانسلاخه

ومن أمثلة هذا الاستخدام الميدانية، ما جاء في البداية والنهاية عن غزوة هــوازن حــيث قال ابن كثير: وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه أن خروج الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى هوازن بعد الفتح في خامس شوال ســنة ثمان، وزعم أن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم بخمس عشرة ليلة.

ويواصــل فيقول: وقال الواقدي: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوازن لست خلون من شوال فانتهى إلى حنين في عاشره.[١]

وفي الطبري[٢] ذِكْرٌ لبعض الأحداث التي وقعت في عام سبعة وثمانين بعــد المائتين حيث قال: ولأربع ليالٍ بقين من صفر دخل المعتضد من متنزهه إلــى بغــداد، وفي يوم الأربعاء لثلاثَ عشرةَ خلت منه ولى جعفر بن محمد بن حنفي هذا، ولليلةٍ بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ورد الخبرعن السلطان أن كــذا وكذا، وفي يوم الأحد لعشرٍ خلون من شهر ربيع الآخر قعد بدر مولى المعتــضد في داره، وفي يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من شهر ربيع الآخر مات محمد بن عبد الحميد الكاتب.[٣]

والسيوطي في مقدمة المزهر يقول عن نفسه: وكان مولدي بعد المغرب مستهل رجب سنة تسع وأربعين.

وهكذا ومن خلال الجدول السابق والأمثلة التي أوردناها نلاحظ الصياغة اللغوية الصحيحة في التعبير عن التواريخ من خلال ما يلي:

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء الحافظ، البداية والنهاية، ج٤.

(٢) الطبري، ج١٠، ص ٥٧٥، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف بمصر.

(٣) تاريخ الطبري، ج١، ص ٧٥-٧٦.

أولا : اســتخدام الفعل خلا للأيام الماضية من الشهر حتى منتصفه، وقد يــستعمل الفعل مضى بدلا منه كما استخدم الفعل بقي للأيام التالية لليوم الخامس عشر حتى آخره.

ثانيا : غلــبة اســتخدام تاء التأنيث مع الأعداد التي تميز بمفرد وهي من (١١-١٩) لمراعاة الأصل واستخدام نون النسوة مع الأعداد التي تميز بجمع وهي من (٣-١٠) ولمراعاة الأصل كذلك مع جواز أن تخلف النون التاء وبالعكس.(١)

ثالثا: : تمييز الليلة الخامسة عشرة وكذلك الأخيرة بأوصاف تميزهما عن بقية الليالي.

رابعا : من الممكن إضافة العدد إلى تمييزه ليلة أو ليال أو تقديره كما في العــدد ذاته الذي يجوز فيه أن يذكر معدوده أو يقدر كما في قول الرســول عليه الصلاة والسلام: من صام رمضان إيمانا واحتسابا وأتبعهن ستا من شوال فقد دخل الجنة (بحذف معدود الستة).

خامسا : الــلام الجارة لكلمة ليلة بمعنى عند أو في بتقدير مضاف أي عند استقبال أو في استقبال(٢)

ومما يجدر التأكيد على ملاحظته هنا أن التأريخ بالليالي لسبقها كما قلنا، ولكن هل يجوز اتباع النهج نفسه في تأريخ الأحداث بالأيام كما التأريخ بالليالي

---

(١) الأشموني، شرح الأشموني للألفية، ج٤، ص ٧٩ + عباس حسن، النحو الوافي، ج٤، ص ٥٢٥
(٢) الصبان، الحاشية، ج٤، ص ٨٧.

بالليالي ؟ إجابة عن ذلك، نقول: إن ذلك لم يرد في الحقيقة ولم ينتهج هذا النهج أحـــد فـــي مـــا نعلم. ومع هذا فإننا نعتقد جوازه من باب القياس والمحاكاة مع مراعاة التعبيرات نفسها واستخدامها في إطار ما تقتضيه قواعد التذكير والتأنيث وإلحاق الضمير.

فـــلا مانـــع فـــي ما نرى أن يقال مثلا: لأربعة أيام خلون أو خلت من أكتوبـــر حـــدث كذا وكذا أو لثلاثة عشر يوما بقين أو بقيت من أكتوبر وقع كذا وكذا.

العدد وحساب الجُمل

ويقـــتحم العـــدد الحـــسابي فنون اللغة وأساليبها فنجده يترجم الحروف الأبجديـــة إلـــى مقادير أسموها حساب الجُمّل، وأحرف الجمّل هي مجموعة من الحـــروف تـــشكل بألفاظهـــا هـــذا الحساب.[١] وعنه يقول ابن دريد ولا أحسبه عـــربيا[٢] وحـــساب الجمـــل هو حساب الأحرف الهجائية الذي يقال له حساب الأبجدية المجموعة في إبجد، هوز حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ، وعليه تبنى التواريخ الشعرية.[٣] إذ إن لكل حرف حسابه الذي يغطى به بالشكل التالي:

(١) السيوطي، المزهر، ج٢، ص ٣٤٨.

(٢) الوافي (معجم وسيط اللغة العربية الشيخ عبد الله البستاني)

(٣) المنجد في اللغة والأعلام ط٢٢ مادة جمل ص١٠٢.

الألف	تعادل	١	الياء	تعادل	١٠	القاف	تعادل	١٠٠
الباء	تعادل	٢	الكاف	تعادل	٢٠	الراء	تعادل	٢٠٠
الجيم	تعادل	٣	اللام	تعادل	٣٠	الشين	تعادل	٣٠٠
الدال	تعادل	٤	الميم	تعادل	٤٠	التاء	تعادل	٤٠٠
الهاء	تعادل	٥	النون	تعادل	٥٠	الثاء	تعادل	٥٠٠
الواو	تعادل	٦	السين	تعادل	٦٠	الخاء	تعادل	٦٠٠
الزاي	تعادل	٧	العين	تعادل	٧٠	الذال	تعادل	٧٠٠
الحاء	تعادل	٨	الفاء	تعادل	٨٠	الضاد	تعادل	٨٠٠
الطاء	تعادل	٩	الصاد	تعادل	٩٠	الظاء	تعادل	٩٠٠
						الغين	تعادل	١٠٠٠

ومـن هذه الحروف ومقاديرها نشأ التاريخ الشعري، وهو لون بديعي نشأ في أواخر العصر المملوكي.(١) وهو أن يضع الشاعر في آخر أبياته وبعد كلمة أرخ أو مشتقاتها كلمات إذا حسبت حروفها بحساب الجمل اجتمع فيها تاريخ المناسبة التي يغطيها، سواء أكانت مناسبة وفاة أو ولادة أو حج أو إنجاز أو زواج.

ومنه قول شاعر يؤرخ لطبع المخصص لابن سيده في عام ١٣٢١ هـ: إذ قال:

---

(١) المعجم المفصل في اللغة والأدب، د. إميل يعقوب وميشيل العاصي، المجلد الأول.

أقول لما انتهى طبعـا أؤرخــه جاء المخصص يروي أحسن الكلم

٤ ٨٥١ ٢٢٦ ١١٩ ١٢١

ومجموع هذه الأرقام هو سنة الطباعة وهي: ١٣٢١ هـ.

وفي نموذج لشاعر آخر في تهنئة ولده بمولود له رزقه الله به في شهر ذي الحجة من عام ١٣٤٠ هـ حيث قال:

صُـهَيبٌ جـاء في شهر عظيم بـه حج إلى البيت الحرام
فقلـت إلـى أبيه اليوم اهنأ وأبـشر بالغلام على الدوام
صـحابيٌ جلـيلٌ كان يدعى بهذا الاسم ما بين الأنام
وجـاء إلـيه تاريخي بصدق صهيب جاءنا في خير عام
١٩٦ ١٠٧ ٢٦ ٩٠ ٨١٠ ١١١

العدد وطرائف اللغة

لـيس العـدد فـي كل لغات الأرض ببعيد عن مجال الألغاز والتحجية واختبارات الذكاء واكتناه ما وراء الأعداد من مدلولات ونتائج وإشارات.

وهـو في اللغة العربية كذلك، مادة لاختبار الذكاء ووسيلة للتعرف إلى مستويات الإدراك ومقاديرها ودرجاتها.

ويـزيد علـى ذلـك أن العـدد فـي لغتنا متوافر في الأحاجي العربية والموضـوعات اللغوية بدرجة تدل على موقعه البارز في الدراسة اللغوية سواء من حيث صياغته أو تركيبه أو إعرابه أو أصول مفرداته.

فقد وجدنا العدد الحسابي في موضوع دخول (ما) على إن وأخواتها، وذلك في صدد الحديث عن (ليت) التي تعمل أو تهمل دون أخواتها في حالة اقترانها بما. ويستشهد النحاة على ذلك بشاهد نحوي هو في الوقت نفسه أحجية رياضية وذلك في قول النابغة على لسان امرأة تدعى زرقاء اليمامة، يقال أنها نظرت إلى السماء، ورأت سربا من الحمام استطاعت بذكائها وحدة نظرها أن تعرف عدده بمجرد أن رأته وعن ذلك تقول الرواية إنها:[١]

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا   إلى حمامتنا أو نصفه فَدِيَة

وفي رواية أخرى أنها قالت[٢]:

ليت الحمام ليه * إلى حمامتيه   * أو نصفه قَدِيَهْ * تم الحمام مِيَة

وهي بذلك تريد أن تقول: ليت العدد الذي أراه من الحمام في السماء مع الحمامة التي لدي مضافا إلى نصفه يكون المجموع مائة، أي أن العدد المقصود هو ست وستون.

فالمسألة كما تبدو رياضية أشير لها في شاهد نحوي وهو جواز نصب الحمام بإعمال ليت وجواز رفعه بإهمالها.

وفي قول سيدنا عمر بن الخطاب في شأن قوله تعالى: "**إن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا**" لن يغلب عسر يسرين، وقد ذكر النحاة أن النكرة إذا أعيدت نكرة أي كررت مرة ثانية كانت الثانية غير الأولى وأن المعرفة إذا ذكرت مرتين كانت الثانية عين الأولى.

---

(١) الأشموني، شرح الأشموني، ج١، ص ٢٨٤.

(٢) حاشية الصبان، علي الأشموني، ج١، ص ٢٨٤.

فاليسر في الآية الكريمة قد ذكر مرتين فالأول فيهما غير الثاني في حين أن العـــسر وهو معرفة قد ذكر مرتين فالعسر الثاني هو عين الأول فهو عسر واحد – وعليه فاليسر يسران والعسر عسر واحد ومثل ذلك أن نقول:

اشتريت سيارة وبعت سيارة فالثانية غير الأولى.

وإذا قلت اشتريت السيارة وبعت السيارة فالسيارة الثانية هي عين الأولى.

ومن طرائف العدد كذلك ما ورد في قول أبي نواس متحدثا عن مجلس لهو في قصيدة له، حيث قال[1]:

ودارِ ندامـــى عطلـــوها وأدلجـــوا — بهـــا أثــرٌ مـــنهم جديـــدٌ ودارس
أقمـــنا بهـــا يـــوماً ويومـــين بعده — ويـــوما لـــه يـــومَ الترحل خامس

فقـــد اختلف في عدد الأيام المقامة إن كانت خمسة أو ثمانية، فمن قائل إنها خمسة ومن قائل إنها ثمانية وهو الصحيح لأن الشطر الأول ينبئ عن ثلاثة أيام كاملة والشطر الثاني ينبئ عن خمسة أخرى تبدأ باليوم الذي ذكر في الشطر الثانـــي وكان له خامس، أي أنه يتحدث عن خمسة أيام يكون اليوم الذي تصدر فـــيه الشطر الثاني أحدها وليس رابعا ختم بالخامس، فعلى ذلك يكون المجموع ثمانية أيام.

<u>ويقـــول اللغويون</u>: دخل رمضان في الواوات، يكنون بذلك عن انقضاء الثلثين ودخول الشهر في الثلث الأخير الذي يبدأ من (٢١-٢٩) حيث يقال واحد وعشرون وخمس وعشرون وتسع وعشرون بعطف العقد على العدد بالواو، ولا يخفى ما في هذه الكناية اللغوية من لطف ظاهر في توظيف اللغة في التكنية عن العدد.

---

(١) الحصري، زهر الآداب، ج٣، ص ١٧٥.

ومـــن طرائف العدد أيضاً حديث النحاة عن واو يسمونها واو الثمانية[1] وهـــي التي تسبق العدد ثمانية عند العد حيث يقال واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية، بإدخال الواو على ثمانية دون غيرها لأن السبعة عندهم عدد كامل والعدد بعدها مستأنف.[2]

ومـــن ذلـــك قوله تعالى في سورة الكهف[3]: "**ويقولون سبعة وثامنهم كلـــبهم**"، حيث أتت الواو بعد السبعة، وفي قوله كذلك: "**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها**"[4] حيث ذكرت الواو في قوله (وفـــتحت) لأن أبـــواب الجنة ثمانية، في حين أن الواو لم تذكر في الحديث عن أبواب جهنم لكونها سبعة، حيث قال تعالى: "**حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها**"[5].

وجـــاءت الـــواو في قوله تعالى: "**والناهون عن المنكر**" سابقة للوصف الثامن، وعن واو الثمانية هذه، يقول ابن هشام: ذكرها من النحاة الحريري، ومن النحويين الضعفاء ابن خالويه.[6] في حين أن العاملي يقول عنها على لسان أبي علـــي المالقـــي: أنها لغة فصيحة لبعض العرب، ويعقب بقوله: واللغة الفصيحة التي أشار إليها هي لغة قريش.[7]

من كل ما قدمناه وذكرناه عن العدد نخلص إلى أن:

---

(١) ابن هشام، المغنى، ج٢، ص ٣٥.

(٢) العاملي، بهاء الدين، المتوفى سنة ١٠٣١ هـ، المخلاة ص ٣٥٤ + ابن هشام، المغنى، ج٢، ص ٣٥.

(٣) الكهف آية ٢٢.

(٤) الزمر الآية ٧٣.

(٥) سورة الزمر الآية ٧١.

(٦) ابن هشام، المغنى، ج٢، ص ٣٥.

(٧) العاملي، المخلافة، ص ٣٥٤.

- العدد هو اللفظ الدال على المقدار سواء أكان ملفوظاً أم مكتوبا في حين الــرقم هــو العدد المكتوب وليس الملفوظ، وهذا يعني أن كل رقم عدد وليس كل عدد رقماً.
- المخالفــة فــي التذكير والتأنيث بين الأعداد (٣-٩) ومعدوداتها ظاهرة استقرائية ونظام لغوي ينطلق من مفهوم التخفيف والتناسق وكل ما قيل عدا ذلك تعليلات جدلية لا ترقى إلى الحقيقة.
- الجمــوع وأســماء الجمــوع ولفظ ضعف كنايات عددية يجب أن تذكر ضمن كنايات العدد لأنها لا تدل على المقادير صراحة.
- العــدد اللغــوي لا ينــسلخ عن مفهومه الحسابي وبذلك يدخل كتركيب وتعبير في الألغاز وامتحان الذاكرات الحسابية كما يدخل في التعبير عن الأحــداث والــتأريخ لهــا بسمت تعبيري خاص تعامل معه المؤرخون القدامــى فــي مــراجعهم التاريخــية التــي تــؤرخ للحروب والوقائع والمناسبات.
- العدد قد حظي في اللغة العربية من البحث والتقنين والتأصيل ما لم يحظ بــه في أي لغة أخرى ولهذا نجده دائماً من موضوعات النحو ومفرداته ودروسه.

وبعــد: فهــذا هــو العدد الحسابي في وجوهه اللغوية اشتقاقاً وصياغة وتــركيباً وإعــراباً واستخداماً. نأمل أن نكون قد عرضناه للقراء بطريقة سلسة طريفة يتقرب بها إلى الأذهان والألسنة والأقلام.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أساس البلاغة – الزمخشري.

٣- البداية والنهاية لابن الأثير.

٤- تثقيف اللسان لابن مكي الصقلي.

٥- الجامع الصغير لابن هشام.

٦- حاشية الصبان – علي الأشموني ط الحلبي.

٧- حاشية الجمل.

٨- محيط المحيط (معجم) البستاني.

٩- مختار الصحاح (معجم) الرازي.

١٠- الخصائص – ابن جني – دار الهدى للطباعة.

١١- خزانة الأدب – البغدادي.

١٢- المذكر والمؤنث – أبو بكر الأنباري.

١٣- المزهر للسيوطي.

١٤- زهر الآداب للحصري.

١٥- شرح الألفية لابن الناظم.

١٦- شرح الأردبيلي للأنموذج – مكتبة الآداب – القاهرة.

١٧- شرح الأشموني – ط البابي الحلبي – مصر.

١٨- شرح المفصل لابن يعيش.

١٩- شرح عمدة الحافظ لابن مالك.

٢٠- تصريف الأسماء – الطنطاوي.

٢١- صناعة الكتابة وفن التعبير د. طلال علامة.

٢٢- الطبري – تاريخ – دار المعرفة بمصر.

٢٣- المعجم الأساسي.

٢٤- المعجم الوسيط.

٢٥- تعليق الأستاذ عبد الخالق عضيمة علي المقتضب.

٢٦- معجم الأدوات النحوية / عبد الغني الدقر.

٢٧- التعريفات للجرجاني.

٢٨- المعجم المفصل.

٢٩- مغني اللبيب لابن هشام.

٣٠- المخلاة للعاملي – دار المعرفة ببيروت.

٣١- تفسير الجلالين – السيوطي والمحلي.

٣٢- تفسير القرآن الكريم – مختصر القاسمي – دار النفائس.

٣٣- المفصل في علم العربية للزمخشري.

٣٤- الفصول الخمسون لابن معطى.

٣٥- أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد – سعيد الشرتوني.

٣٦- الكليات – الكفوي.

٣٧- اللسان (معجم) ابن منظور.

٣٨- لغويات – عبد اللطيف الخطيب.

٣٩- مبادئ العربية – رشيد الشرتوني.

٤٠- النحو الوافي – عباس حسن.

٤١- المنجد في اللغة (معجم).

٤٢- الهمع للسيوطي.

٤٣- الوافي (معجم) عبد الله البستاني.

ثانياً: مع الكتب

قراءة دلالية في كتاب "زكريا أوزون":

"جناية سيبويه"

"الرفض التام لما في النحو من أوهام"

(القسم الثاني)

د. ياسين أبو الهيجاء

كلية الآداب/ جامعة الإسراء

ويحمل زكريا أوزون على الإعراب المقدر في المنقوص والمقصور ويقـــول[٨٧]:"هـــو وهـــم وخيال وكذب وتلفيق". ونقول أي إسفاف هذا، وأي مـــصلح هـــذا الذي يستجيز لنفسه أن يستخدم هذه الألفاظ؟ وأشير ههنا مرة أخـــرى إلـــى أنّ تقرير اللجنة وقرارات المؤتمر المذكورين أشارا إلى الذي يقول به أوزون، وإن اختلف السياق والتعبير.

ويعرض للمفرد والمثنى والجمع، ويلفت النظر إلى أن صيغة المثنّى آخـــذة فـــي الانقراض من اللغة المحكية، سواء في الأسماء أو الأفعال، ففي الأفعـــال تـــنوب واو الجماعـــة عن ألف الاثنين، وفي الأسماء قلّما نستخدم المثنّى[٨٨]. كما يلفت النظر إلى أنّ ما يسمّى جمع القلة غير صحيح، ودليله أن " أَنْفُـــس " على وزن " أَفْـــعُل "، ونجده يتجاوز العشرة ليصل إلى ما هو

---

٨٧. نفسه: ٦٥.

٨٨. نفسه: ٦٦.

أكثر بكثير في قوله تعالى[٨٩]:" **وأُحضرت الأنفس الشُّحّ**"[٩٠]. وبعد أن يتناول تقسيم الاسم إلى مذكر ومؤنث، ويذكر أقسام المؤنث يختم حديثه بقوله[٩١]:" يتضح لنا تماماً أن من ساهم في وضع قواعد لغتنا العربية ليس عربياً، وإنما كان يحاول وصف تلك اللغة لأمثاله من غير العرب".

ولا يُردّ عليه في مسالة انقراض صيغة المثنّى، لأنه يدعو لمستوى مختلف يتحمل وزره. أمّا خلطه في قضية جمعي القلة والكثرة فمسألة باهتة ردّ عليها اللغويون والنحويون من الكلام الفصيح بما لا يدع حاجة لعرضها، وقد دار على حواشي بيت حسان "لنا الجفنات الغرّ يلمعن في الضحى..."[٩٢]،كثير من النقاش في التبادل بين جمعي الكثرة والقلة جلّى هذه القضية. وقد أصدر مجمع اللغة العربية في القاهرة – الذي يزري أوزون بجهوده – قراراً أجاز فيه التعاقب بين جمعي القلة والكثرة، وتعيين أحدهما بالقرينة[٩٣]. ولكن "أوزون" يضرب صفحاً عن كلّ هذا، ويوهم القارئ أنه يستحق براءة اكتشاف لهذه الظاهرة الصرفية، وكلامه عن عربية سيبويه – وقد عرضت لما فيه من السخف– لا يستحق الوقوف عنده، لأن سيبويه على أعجميته ينتمي إلى هذه اللغة أكثر من كثير ممّن يزعمون الانتماء إليها، فالعربية ليست جينات تُتَوارَث، وإنما هي اللسان، فمن تكلّم بالعربية فهو عربي".

---

٨٩. النساء: ٤.

٩٠. نفسه: ٦٧.

٩١. نفسه: ٦٧.

٩٢. ينظر: الكتاب:٥٧٨/٣، المقتضب: ١٨٨/٢، والخصائص: ٢٠٦/٢، وشرح المفصل: ٥/ ١٠، خزانة الأدب: ١٠٦/٨، وما بعدها.

٩٣. مجموع القرارات العلمية في خمسين عاماً: ٨٧.

ويشرع في تناول المنصوبات بادئاً بالمفعول به، وهو عنده اسمٌ يقع علــيه الفعــل ولا تهمه حركة آخره لتحديده، وإنما يتمّ استنتاجه من سياق الكلام، ومن فهم الجملة وتحديد الفعل والفاعل(٩٤). وهو يرفض تماماً مسألة المفعول به الثاني في نحو:" أعطيت الفقير درهماً"، فالذي وقع عليه الفعل هو الفقير وحسب(٩٥). وهو يلقي في رُوع السامع كعادته أنّ هذا الرأي من بنات أفكاره، وقد قال فريق من النحويين أن المفعول الثاني حال(٩٦)، والقضية بعد ذلك لا تمثل مسألة ذات خطر، فهذا خلاف في التنظير، لا يعني من يتحرّى المنطق السليم. أمّا دعوته الصريحة لإلغاء الإعراب فهي مسألة أخرى، وقد حبّر المحدثون عشرت المصنفات للرد عليها ودحضها.

ويلــتفت إلــى الأســاليب العــربية، فيتــناول الإغراء والتحذير، ويقول(٩٧):"ظهر هذا الأسلوب عندما وجد أهل اللغة – النحاة– حركة الفتحة آخر الكلمة، فحاولوا إيجاد تخريجة لها... قرروا أن يعربوا " الحزمَ " مفعول به منصوب (هكذا) لفعل محذوف تقديره "الزم"!! ولم يعترفوا بأنّ قولنا الحزمَ يعطيــنا نفس معنى الحزمُ الحزمُ، وأن حركة الحرف الأخير لا تغير معنى الكلمة وموقعها"، ويذكر أنه يقال في أسلوب الاختصاص ما قيل في الإغراء والتحذير.

لعل هذا الرأي من أكثر الآراء دلالة على فساد عربية الرجل، وبُعده عــن تمــثّل أســاليب العربية وتراكيبها، وهو يحاول جاهداً أن يمضي في ركــوب مذهبه في اطّراح علامات الإعراب، وإذا ظن "أوزون" أن المسألة

---

٩٤. نفسه: ٦٩.

٩٥. نفسه: ٣٧.

٩٦. ينظر: الهمع:٤٨١وما بعدها.

٩٧. نفسه: ٧٣.

فوضـــى لا سَـــراة لها فهو واهم. فالأسلوب لم يُظهره النحاة، كما يقول، بل نقلـــوه عن العرب، وحللوه حسب دلالته. وللنظر من يفقه هذا الأسلوب فقهه الذي يليق به، يقول سيبويه في قولهم[98]: "الطريقَ الطريقَ":"ولا يجوز أن تُضمر تنحّ عن الطريق لأن الجار لا يُضمر" ويردف قائلاً[99]:"واعلم أنه لا يجوز أن تقول زيدٌ وأنت تريد أن تقول ليُضرَب زيدٌ". ولننظر قول السيوطي فـــي التأويل[100]:" لا يصحّ ولا يسوغ إلاّ إذا كانت الجادة على شيء ثم جاء شيء يخالف الجادة فيُتَأول".

فالإعـــراب لا ينفصل عن الدلالة، ولئن كان ثمة تأويل لا يخلو من التعـــسّف، فإن جله يهدف إلى الاتساق بين القاعدة اللغوية وظاهر التركيب، وهـــو مظهـــر جلـــيّ من مظاهر الالتزام بدلالة النص. والقول بأن "الحزمَ" يساوي " الحزمُ" فيه من جهل الأساليب اللغوية ودلالتها ما لا يحتاج معه إلى دفع. ولو تكرّم علينا "أوزون" وأول لنا "الحزمُ" - في أسلوب الإغراء- على معنـــى مـــن معاني النحو، لعرف إلى أيّ شيء يفضي مذهبه، ولكنه يركب مركباً لا يحسنه، وإن كان يدري أين يتجه به.

ويخوض في سائر المفاعيل، فيتوقف عند المفعول فيه، ويرى[101]: "أن هذه التسمية المشتركة لا تميز بين مفهوم الزمان ومفهوم المكان؛ ذلك أنّ زمـــن حدوث الفعل يختلف كثيراً عن مكان حدوثه، فلا يمكن السيطرة على الزمن من قبل الإنسان، ولا يمكننا أن نفعل فيه ما نشاء، ويرى أن مصطلح الظرف مُلْبِس وغريب ولا مدلول له في الذهن، وإلى هذا يعيد خلط الطلاب

---

٩٨. إلا في القليل النادر، ينظر: سيبويه: ٤٩٦/٣، وما بعدها، والمقتضب:٣٣٦/٢.

٩٩. الكتاب:٢٥٤/١.

١٠٠. الاقتراح: ٣٩

١٠١. نفسه: ٧٥.

بين المفعولات. أمّا في المفعول المطلق، فهو يعلن "أنه لا يفهم معنى المطلق، ويرفض كل ما يقال في مسألة نيابة المفعول المطلق. كما يحمل على باب المفعول معه؛ لأنه -كما يقول- لن يسير والشارع، لسبب بسيط وهو أنه كائن حيّ والشارع جماد. وفي المفعول لأجله يسأل عن الهاء فيه، نحو قولهم:"وقف الطلاب احتراماً للمعلم" علام تعود؟ ويعلّق قائلاً[١٠٢]:" من الواضح أنّ المعلم هو المفعول لأجله، فمن أجله تمّ الوقوف.. أمّا (احتراماً) فهي سبب وقوف الطلاب".

أمّا مسألة أن تسمية المفعول فيه لا تميّز بين مفهومي الزمان والمكان، بحجة عدم التمييز بين زمن حدوث الفعل ومكانه فأقول لا شك أنّ هذا الرجل اطلع على الخلاف بين البصريين والكوفيين في التسمية، ولكنه يوهم القارئ -كدأبه- بأنه وقع على خلل لم يتنبّه إليه غيره، وهَنَة لم تدركها أنظار السلف المتحجّر. فالظرف من مصطلح البصريين، وجاء في حاشية الصبان[١٠٣]:" واعترضهم الكوفيون بأن الظرف الوعاء المتناهي الأقطار، وليس اسم الزمان والمكان كذلك... وأجيب بأنهم تجوزوا في ذلك واصطلحوا عليه، ولا مُشاحّة في الاصطلاح"، فالتسمية لا شك من باب المجاز. وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ الكوفيين يطلقون على الظروف إضافة إلى المفعول فيه، الصفات والمحالّ[١٠٤]، والمواقيت[١٠٥]. على أنّ تسمية الظرف شاعت حتى باتت علماً على هذا الباب، وأي شيء يجنيه "أوزون" من ردّها؟ هذا من

---

١٠٢. نفسه: ٧٧.

١٠٣. حاشية الصبان: ١٨٣/١.

١٠٤. ينظر: معاني الفراء: ٢٨/١، ١١٩، ٤٢/٣. وإعراب القرآن/النحاس:١٦٩/١. وتهذيب اللغة:٣٧٣/١٤. والموفي في النحو الكوفي:٢٢٢. مسائل الخلاف:٥١/١٨.

١٠٥. معاني القرآن/الفراء:١١٩/١، ١٣٨.

وجـــه، ومـــن الـــوجه الآخـــر لم يطلعنا على المصطلح الذي يراه مناسباً لمدلولها.

وأمّـــا عـــدم فهمـــه لمعنى "المطلق"، فلا يضيره، والنحاة أرادوا أن يميزوه من غيره، فاصطلحوا على هذه التسمية التي تمثّلوا دلالتها، فهو من جهـــة لا يتقيد بحرف كسائر المفعولات، ومن جهة أخرى يكاد يكون عندهم المفعول الحقيقي الذي أحدثه الفاعل بعد إذ لم يكن. ومع هذا فثمة رأي جدير في هذا الصدد بالمناقشة، لو التفت إليه السيد أوزون. فابن هشام في المغني، يذكـــر "فـــي التحذيـــر من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها" قولهم:"خلقَ الله السماواتِ" على أن "السماوات" مفعول به، ويقول معلقاً[١٠٦]: "والـــصواب أنه مفعول مطلق، لأن المفعول المطلق ما يقع عليه اسم المفعول بلا قيد"، ويردف موضحاً:"المفعول به ما كان موجوداً قبل الفعل الذي عمل فـــيه، ثم أوقع الفاعل به فعلاً. والمفعول المطلق ما كان الفعل العامل فيه هو فعـــل إيجاده، والذي غرّ أكثر النحويين في هذه المسألة أنهم يمثّلون المفعول المطلـــق بأفعال العباد، وهم إنما يجري على أيديهم إنشاء الأفعال لا الذوات، فـــتوهموا أن المفعول المطلق لا يكون إلا حدثاً، ولو مثّلوا بأفعال الله تعالى لظهر لهم أنه لا يختصّ بذلك". وفي هذه المسألة وجوه كثيرة للنقاش لو كان يبغـــي " أوزون" مناقـــشة علمية ذات فائدة، أمّا أن يرفض المفعول المطلق تعـــسفاً، فأي إصلاح هذا الذي يزعمه؟ والكلام على رأيه في نائب المفعول المطلق لا يجدي، ما دام يردّ الباب كله.

وأمّـــا رده لـــــ "المفعول معه" لأنه "لن يسير والشارع، لسبب بسيط وهـــو أنه كائن حيٌّ والشارع جماد"، فأقول: أسقِمْ بهذا فهماً، لأنه فهم قِشريّ يـــسقط الدلالة، فـــ"واو" المعية تتميز من "واو العطف" بأنها تقتضي الاقتران

---

١٠٦. المغني: ٨٦٧.

الزمنـــي الحتمـــي، دون شرط التشريك في الحكم، بينما تقتضي واو العطف التـــشريك في الحكم، اقترن معه بالزمان أم لم يقترن، فالمعية هي المصاحبة الـــزمنية بالدرجة الأولى، والدلالة الأولى للعطف هي الاشتراك في الحكم، وما نُصِبَ المفعول معه إلا إيذانا بهذه الحقيقة.

وأمّا اعتراضه على مصطلح المفعول لأجله فلا وجه له، فالمقصود بالمفعـــول لأجلـــه ما فُعِلَ لأجله فعلٌ، وحصلَ بسببه هذا المفعول، وهو في اصـــطلاحهم أيضاً المفعول له، ومن أجله، والتفسير(١٠٧)، وهو عند الكوفيين مـــن باب المصدر(١٠٨). ومناط الدلالة في هذا التركيب هو الفعل أو ما يقوم مقامـــه لا المصدر المنصوب، ولا الاسم المجرور. ويمكن أن نصف الحدث ههنا بـــ "قمة التركيب"، والمفعول يفسّره، وهذه هي دلالته، فعند قولنا: "وقفنا إجـــلالاً للمعلم"، فالخبر الذي يتبوّأ قمة هذا التركيب، هو الوقوف؛ لأنه يبغي تفسير حَدَث غير معلّل، قام به الفاعل؛ لذلك جاء المفعول (المصدر) يفسّره، ويجلـــيه. ولعـــل تحويل التراكيب التي يَرِد فيها المفعول لأجله إلى تراكيب استفهامية، نحو: لم وقفت، ولم سافرت..."؟ والإجابة عنها، يؤكد هذه الدلالة. وتـــسطيح هذا التركيب، في جعل "المعلم" في المثال المذكور ونحوه "مفعولاً لأجله"، فضلاً عن التجاوز في مفهوم المفعول، ينبئ بالفهم السقيم لهذا الباب أيضاً.

وهـــو يحمل على مفهوم التمييز، ويقول١٠٩:"إنّ التمييز يتحقق ويتمّ عندما يتوفر لدينا معطيات مختلفة نميزها عن بعضها كأن يطلب منّا أن نميز الاســـم عـــن الفعـــل في نص (معطيات مختلفة) أدبي، أمّا أن نوجد كلمات افتراضية ونسميها تمييز (هكذا)، فهذا وهم، والوهم لا يعطي قواعد سليمة".

---

١٠٧. معاني القرآن:١/١٧، ٧٣.

١٠٨. أسرار العربية:١٧٤.

١٠٩. نفسه: ٨١.

وهذا كلام كسابقه أقرب إلى الغمغمة منه إلى البيان، غير أنّ الأمثلة تقرّبنا إلى مراده، إذ يقول:"عندما أقول مثلاً: اشتريت دونماً أرضاً، فهل كلمة (أرض) ميّزت الدونم وأزالت عنه الإبهام؟ ولماذا لا تكون كلمة (دونم) هي التمييــز لأنهــا تبين مساحة الأرض المشتراة مقدرة بالدونم لا بالفدان مثلاً؟ وإذا قلت: "اشتريت دونم أرض" لماذا لا يصبح التمييز مضافاً إليه"؟

لا شـــكّ في أنّ هذا الذي يقول به " أوزون" يندرج تحت "التدليس"، فلْــيوثق المثال الذي يسوقه لينقد باب التمييز إن استطاع، لنرى في أيّ نصّ هـــو، وهـــل يظـــن أنه بلغ السخف بالنحويين أن يجعلوا من "الدونم" تمييزاً لـــ"أرض"، يناقشون فيه باباً يعدونه موضحاً لمبهم، وتفسيراً لغامض. وهلاّ قرأ هذا الرجل فقه سيبويه – الذي يسم جهوده بالجناية – لهذا الباب، حتى يعـــرف من الجاني؟ يقول سيبويه في كلامه على تمييز المقادير[١١٠]:"وذلك قولك: ما في السماء موضع كفٍّ سحاباً، ولي مثله عبداً، وما في الناس مثله فارســاً، وعلـــيها مثلها زبداً. وذلك أنك أردت أن تقول: لي مثله من العبيد، ولي مِلؤه من العسل...". فهل يرى السيد أوزون أنّ دلالة التمييز ههنا هذر يمكن إسقاطه؟

علـــى أن ثمة مسألة ينبغي الإشارة إليها، وهي مسألة التمييز المؤكِّد على الخلاف فيه، نحو[١١١]قوله تعالى: "**إنّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً**"، وقول الشاعر[١١٢]:

والتغلبيون بئس الفحلُ فحلهمُ فحلاً وأمّهم زلاءُ منطيـــقُ

---

١١٠. سيبويه: ١٧٢/٢.

١١١. التوبة: ٣٦.

١١٢. البـــيت لجريـــر فـــي ديوانه: ٤٨٢، وهو في "شرح الكافية الشافية:٤٩٦/١، و "شرح ابن عقيل:١٦٤/٣.

فخلافـــاً لكثيـــر من النحويين [113] قد يأتي التمييز مؤكداً، قال المبرد[114]:" واعلم أنك إذا قلت: نعم الرجل رجلاً زيدٌ، فقولك:"رجلاً" توكيد: لأنه مستغنى عـــنه بذكر الرجل أولاً، وإنما هذا بمنزلة قولك: عندي من الدراهم عشرون درهماً. إنما ذكرت الدرهم توكيداً، ولو لم تذكره لم تحتج إليه". وهذا يختلف اخـــتلافاً كبيـــراً عمّا يزعمه " أوزون"، ويلقي به دون سياق، ويجعله مسألة بديهية في كتب النحويين.

أمّا التمييز المجرور فحديث الرجل فيه حديث من لم يطلع على كتب الـــنحو ولا علـــى كلام العرب. فالتمييز المجرور تمييز، غير أن اصطلاح التمييـــز مجـــرّداً يعني باباً معيناً من المنصوبات له أركانه، فإذا جيء إلى التمييـــز المجـــرور كـــان لا بد من الإشارة إلى مسألة الجرّ فيه، ولعلّ هذه المسألة تبدو جلية في باب العدد. أمّا نقده المصطلح، وجعله من باب الوهم، فهـــو مـــن الخلط والفوضى لا من الإصلاح، فهذه مسألة لا تمثّل أيّ إشكال لـــدى الـــدارس، وهـــو يريد أن يجعل منها قضية أسهمت في تعمية النحو وغموضه.

ثم يتناول الاستثناء، ويعرض لقولهم:جاء الرجال إلا رجلاً"، ويعقّب قائلاً[115]: وهنا نسأل ماذا أنجزنا عندما قلنا إنّ رجلاً مستثنى بـــ"إلاّ"، وهل بـــيّن الإعراب تأثير كلمة رجل في العبارة؟ هل بين دور الكلمة؟" ثم يتناول قـــولهم:" ما جاء الرجال إلا رجلاً" ويعلّق عليه:"هنا يمكنك أن تعرب "رجلٌ" بدل من الرجال مرفوعاً بالضمة. ونسأل ما هذه المحاكمة الغريبة... وجدوا

---

١١٣. ينظر حاشية الصبان: ٢/٣٠١.

١١٤. المقتضب:٢/١٥٠، وينظر: الخصائص، ١/٨٣، شرح الكافية الشافية:١/٤٩٦.

١١٥. جناية سيبويه: ٨٢-٨٣.

أن آخر الكلمة مرفوع، فلم يجدوا لها سوى تخريجة البدل، وهل يحق لنا أن نقول ما جاء رجلٌ إلاّ رجلٌ".

ولا يـزال هـذا الـرجل يلبّس على القارئ، فقبل تحليل نظره في الاستثناء نجد أنه يضرب مثلاً:" جاء الرجال إلا رجلاً" وفيه استثناء نكرة لم تخـصص من معرفة، وهذا لا يجيزه أحد من النحويين، فلا يجوز الاستثناء مـن النكرة ولا أن يكون المستثنى نكرة إلاّ إن أفادتا، والإفادة على وجهين؛ إمـا بتخصيصهما بوصف أو إضافة أو غيرهما ممّا يفيد تخصيصاً، والوجه الآخر أن يكون الاستثناء في كلام تام منفي أو شبه منفي؛ لأن النفي وشبهه تـتحقق فيه الفائدة لدلالة النكرة على العموم(١١٦). و"أوزون" – كما نرى – مـصلح لا يمـتلك الأدوات الأساسية للمادة التي يدعي إصلاحها. أمّا قوله "وهـل بيّن الإعراب تأثير كلمة رجل في العبارة؟" – يعني المستثنى– فليس غـريباً على من ركب منهجه ، فإذا كانت دلالة الاستثناء لغة واصطلاحاً لا تمـثل له ما يستحق الوقوف عنده، فماذا يمكن أن نطلق على هذا التركيب، أقرب معنى وأصدق دلالة؟

أمّـا الـبدل في الاستثناء الذي تعلّق به فلينظر وليوازن أيما يتمثل الـروح الحقيقية للغة هو أم سيبويه(الجاني)، يقول سيبويه في باب" ما يكون فيه المستثنى بدلاً ممّا نفي عنه(١١٧):" وذلك قولك: ما أتاني أحدٌ إلاّ زيدٌ، وما مـررت بأحـدٍ إلاّ زيدٍ، وما رأيت أحداً إلا زيداً، جعلت المستثنى بدلاً من الأول، فكأنمـا قلـت:مـا مررت إلا بزيدٍ، وما أتاني إلاّ زيدٌ، وما لقيت إلاّ زيـداً". وإضـاءة المسألة عند ابن يعيش، إذ يقول(١١٨):" والفرق بين البدل

---

١١٦. ينظر: الهمع:١٨٤/٢، حاشية الصبان:٢٠٨/٢.

١١٧. سيبويه:٣١١/٢ وما بعدها.

١١٨. شرح المفصل: ٨٧/٢. وينظر: معاني النحو:٢٢١/٢.

والنـــصب في قولك:ما قام أحد إلاّ زيد" أنك إذا نصبت جعلت معتمد الكلام النفـــي، وصار المستثنى فضلة فتنصبه، كما تنصب المفعول به، وإذا أبدلته منه كان معتمد الكلام إيجاب القيام لـــ "زيد"، وكان ذكر الأول كالتوطئة، كما ترفع الخبر لأنه معتمد الكلام".

فقوام المسألة الدلالة التي يضرب السيد أوزون عنها صفحاً، فالقول "مـــا قام أحد إلا زيدٌ" دلالته "ما قام إلا زيدٌ" على نية إثبات القيام لزيد؛ لأنه المقـــصود بـــالحكم، والمـــبدل مـــنه ههنا توطئة لهذه الحقيقة، فهو في حكم المطـــروح، فإذا قيل:"ما قام أحدٌ إلا زيداً" كان قوام الدلالة النفي، لأنك تنفي القـــيام عـــن الجميع، ثم تستثني زيداً من هذه الحقيقة، فغاية الاتباع الإثبات، وغاية النصب النفي، ولكل دلالته.

ويخـــتم حديثه في الكلام على الجارّ والمجرور، ويحمل على مفهوم شـــبه الجملة كما يحمل على التعليق عند النحاة، ويقول[١١٩]:" والسؤال الآن هـــل "بـــه" أو "منه" أو "عليه" مثلاً أشباه جمل؟ وما المعنى الذي تعطيه تلك الأحـــرف المتـــشابكة الغـــريبة؟ ويقـــول في التعليق "وشبه الجملة (الجار والمجـــرور) بحاجـــة إلى ما تتعلّق به...فإذا قلت "نام الطفل في البيت" فإن الجـــار والمجرور "في البيت متعلقان بالفعل "نام"، ولكن إذا قلت "نام الطفل صـــباحاً فـــي البـــيت" فهـــنا يتعلّق الجار والمجرور بالظرف وننسى الفعل الأصـــلي". ويقـــول معلّقاً في الحاشية[١٢٠]: ما هو المدلول الذي تتركه كلمة "متعلّق" في الذهن؟ وهل يصل مدلولها إلى كل إنسان عربي يريد تعلم قواعد لغته؟".

---

١١٩. نفسه: ٨٥.

١٢٠. نفسه: ٨٩.

وأقــول: إن مــصطلح "شبه الجملة" هو مصطلح دالّ على أن هذا التركيب يفتقر إلى عنصر مكمّل لمعنى الجملة، وعند جمهرة النحويين يجب أن تــتعلق شبه الجملة بنوعيها الظرف والجار والمجرور بفعل أو ما يشبهه مـــن المشتقات، وأقل من هذين معنى الفعل، نحو"أفٍ للكسالى"، واسم مؤول بمـــا يشبه الفعل، نحو قوله تعالى:"**وهو الله في السموات والأرض**"، فحرف الجرّ متعلق بـــ"لفظ الجلالة"؛ لأنه مؤول بـــ"المعبود":"؛ لتكتمل بهما الدلالة.

والتعلّق من أنصع القضايا الدلالية في النحو العربي، ولنضرب مثلاً للسيد أوزون على التعلق من كثب لعله يدنيه منه، فلو قيل:رأيت القمرَ فوق الـــتلة" ماذا يُفهم من شبه الجملة؟ لا شكّ أن في المعنى غموضاً تجليه مسألة الـــتعلق، فلو عُلّق الظرف ههنا بالفعل، لكان القائل قد رأى وهو نفسه فوق الـــتلة "القمرَ في السماء"، ولو علقه بـــ "حال" محذوف، لكان القائل قد رأى القمـــرَ نفـــسه مـــستقراً فوق التلة، وهنا تظهر قيمة التعلق التي يزري بها "أوزون". والقرآن الكريم حافلٌ بالشواهد التي تدلل على قيمة التعلق، ويكفي أن أضـــرب شاهداً واحداً منها، وهو قوله تعالى(١٢١):"**وقال الذي اشتراه من مـــصر لامرأته أكرمي مثواه**"، **فتعلُّق "لامرأته"** بـــ"قال" لا بـــ"اشتراه"؛ لأن المعنـــى يكون على هذا (اشتراه لامرأته) وفي هذا فساد للمعنى بيِّن، وتغدو قال بلا مخاطَب.

بقـــي ههنا أنّ التعليق لا يقتصر على شبه الجملة بقسميها، بل يشمل أبواباً غيرها، وإن اختلف مسمّاه؛ مادام المعنى العام يفتقر إليه، وللنظر قوله تعالـــى"وأنفقـــوا ممّا رزقناهم سراً وعلانية" فـــ"سراً" و"علانية" إمّا أن تكونا حالين أو مفعولين مطلقين، وهما متعلقان بـــ"أنفقوا" لا برزقناهم"، لأن مناط

---

١٢١. يوسف ٢١.

الدلالـــة الإنفـــاق، لا طبـــيعة الـــرزق. ومثل هذا في اللغة كثير، لو وعاه "أوزون"[١٢٢].

وبعـــد هـــذا، فإننا نسأل السيد أوزون أين موقع قوله في "نام الطفل صـــباحاً فـــي البـــيت": فهنا يتعلّق الجار والمجرور بالظرف وننسى الفعل الأصـــلي"، وعلى أي وجه من وجوه النحو أو الدلالة علّق الجار والمجرور بـــ"الظرف"؟

ويخوض في الفصل الرابع فيما يسمّيه الأدوات ولعله أكثر الفصول الذي ينتاب الكاتب فيه ما يشبه الهذيان، وأول ما يتناوله الهمزة، ويعرض لها فـــي حالة الاستفهام، ويذكر قوله تعالى[١٢٣]:"أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميـــتاً" وقـــوله تعالـــى[١٢٤]:"أأنـــتم تخلقـــونه أم نحـــن الخالقـــون"، ويعلّق قائلاً[١٢٥]:"ونحن نرى أنّ الهمزة في كلتا الآيتين السابقتين لا تفيد الاستفهام، لأن الله عـــزّ وجل لا يسأل عباده، فهو عالم بطبيعة عباده، وبكافة أحوالهم وإجابـــاتهم– وهي تفيد الإنكار". وقد رأينا أيّ جهل يركب "أوزون" في هذه المـــسألة، غيـــر أنّـــه هـــهـــنا يضيف إليه إنكارَه خروجَ الاستفهام عن معناه الأصلي، وهو باب عريض في البلاغة، ودليل بارز على تصرّف اللغة في تراكيبها وأساليبها.

ويتـــناول " أنْ " و" إنْ " المخففتـــين، ويتكلم على تخريجات النحاة المضحكة المبكية –كما يقول– في قراءة" إن هذان لساحران"، ويتهكّم عليهم حيـــنما يذكـــرون " إنْ " المشبّهة بليس، وهو في كلّ ذلك لا يقدّم بديلاً لهذه

---

١٢٢. ينظر: معاني النحو:٣/ ٩٧، ومابعدها.

١٢٣. الحجرات: ١٢.

١٢٤. الواقعة: ٥٩.

١٢٥. نفسه: ٩١-٩٢.

التخريجات بل ينهي كلامه بقوله[١٢٦]:"ونطلب من القارئ العزيز أن يستنتج دقـة وعظمة تلك القواعد العتيدة". وإن كان قارئه العزيز يفقه العربية فقهه فيها، فالمشكلة تستعصي على الحلّ.

وهو لا يفرّق بين " لا " الناهية و" لا " النافية، الداخلتين على الفعل، وينـتقد رأي الـنحاة فـي قولهم إنّ لا النافية لا عمل لها؛ لأنها لا تغيّر من حـركة نهايـة الكلمات، ويقول:"فإذا قلت: لا أحب الوطن" فإن "لا" التي لا عمـل لها – نحوياً- خربت الديار والوطن. ويخلص إلى قوله:" إذاً فالعمل مـرتبط بالحركة، فإذا لم تؤثر في حركة آخر الكلمة ذهب عملها وأصبحت عاجـزة علمـاً بأنها تهز كيان الدول. وله في ذلك نظر؛ إذ يقول[١٢٧]:"وفي حقيقة الأمر لا(النافية) أو لا(الناهية) تؤديان عملاً أساسياً واحداً وهو النفي، ولا النافـية التـي لا عمـل لهـا تنبع من إرادة واعية أو حقيقة ثابتة، أمّا لا(الناهـية)العاملة فتستخدم عند النهي بالأمر والطلب، فعندما نقول لا تعيش الخـراف مـع الـذئاب" فـإنّ لا(النافـية) التي لا عمل لها تنبع من حقيقة ثابتة(ظاهرة طبيعية)... أمّا عندما تقول"لاتنهَ عن خلق وتأتي مثله..."فإنّ لا الناهية العاملة تستخدم للنهي بالأمر والشدة بالطلب".

وهـو يخلط بين مصطلح العمل النحوي وبين دلالة الحرف ومن ثَمّ دلالـة التركيب، وينتهي إلى أن غير العامل يساوي فاقد الدلالة، وهو جهل باللغة وأساليبها، فالعامل وغير العامل ينضويان تحت مسالك الدلالة اللغوية، ولعل أوضح دلالة على هذا الفهم وجود حروف عاملة على لغة ومهملة على أخرى، وخير ما يمثل هذه الحروف "ما" التميمية، وصنوها الحجازية، فكيف

١٢٦. نفسه: ٩٧.

١٢٧. جناية سيبويه:٩٧-٩٨.

يفـــرق " أوزون" بين قراءتين، في قوله تعالى: " ما هذا بشراً"(١٢٨)، و"ما هنّ أمهاتِهم"(١٢٩)، وقد قرئت"بشرٌ"(١٣٠)، و" أمهاتُهُن"(١٣١) بالرفع. ولو تفضل علينا وشـــرح لـــنا كـــيف يمكن لنا أن نميز بين الإرادة الواعية وغيرها، وكيف نـــصرف هـــذه الإرادة عمن يستخدم " لا " الناهية، وهو بها أخلق، وعليها أقدر؟

ويعرض لأدوات الاستفهام، ويتناول " كيف "، و" مَن "، ويقول(١٣٢):" "كـــيف" تعرب خبراً مقدماً "لاحظ المغالطة في التسمية من البداية" إذا وليها اســـم أو فعـــل نـــاقص، أمّا "مَن" فنجد أنها تعرب مبتدأ إذا وليها فعلٌ لازم، مـــثال:"مـــن الطـــارق"، والسؤال هنا: ما الفرق بين حالتي " كيف " و"من"، ولمـــاذا " كـــيف" خبـــر مقدم، و"من" مبتدأ؟ ما هو المعيار المنطقي والدقيق للفـــصل بيـــنهما؟ ولماذا لا يكون كلّ منهما مبتدأ، فيأتي الجواب المفحم: إن "كيف الادخار" تعادل "الادخار كيف"... وهكذا ندخل ثانية في حلقة الترادف المغلقـــة"، ويردف قائلاً:" لنأخذ حالة أخرى للأداة "كيف" حيث نجد: "كيف" تُعـــرب حالاً إذا وليها فعل تام، مثال:"كيف جاء"(فعل تام) بينما تبقى الأداة " مَن " – إذا وليها فعل تام – مبتدأ، مثال: "من جاء" و يختم كلامه قائلاً(١٣٣):" وهـــنا نـــسأل: ما الفرق بين "كيف" و"أين" فيما يلي:" كيف الادّخار" و"أين الادّخار"، إذا كان الجواب لكلا السؤالين: الادّخار في التوفير، مثلاً"؟

---

١٢٨. يوسف: ٣١، وقد اجتمع على هذه القراءة الأربعة عشر.

١٢٩. المجادلة:٢، قرأها السبعة، ينظر: كتاب السبعة:٦٢٨.

١٣٠ .قرأها ابن مسعود، ينظر الكشاف٣١٧/٢، والبحر المحيط:٣٠٤/٥.

١٣١. انفرد بها عاصم، ينظر: كتاب السبعة: ٦٢٨.

١٣٢. جناية سيبويه: ١٠٦.

١٣٣. نفسه: ١٠٧.

وممّا يتناوله من أدوات الاستفهام أيضاً "أي" ويعلق عليها بقوله[١٣٤]:"أمّا أداة الاستفهام "أي"فهي كـ"ابن بطوطة" تراها مبتدأ أو ظرفاً أو مفعولاً به أو مفعولاً مطلقاً...أداة استفهام تأخذ مواضع غريبة لكلمات تسميتها غريبة، فتعطي قواعد كلها غرابة".

وأقول: إن من أهمّ الإشكاليات التي لا تفتأ تظهر في كلّ معالجات "أوزون" للموضوعات التي يطرقها هي عدم إلمامه بالأبواب التي يزعم إصلاحها. فقوام الجملة العربية الإسناد؛ لأن الإفادة إنما تحصل بهذا الإسناد، ولا يمكن أن تعرف دلالة الكلام ما لم يُحدد طرفا الإسناد الرئيسان، وما يفضل عنهما، وسعياً وراء هذه الدلالة تندرج الغالبية العظمى من خلافات النحويين. فالوصف النحوي هو وصف للعلاقات التي تربط عناصر الجملة بعضها ببعض، ولا مكان لاسم أو فعل لا ينتظم في هذه العلاقات، وانطلاقاً من هذه الحقيقة كان لأسماء الاستفهام محلٌ من الإعراب، وهذا جواب عن المعيار المنطقي والدقيق لهذا الإعراب الذي يطرحه " أوزون".

وإعادة صياغة التركيب الاستفهامي ، بتغيير موقع اسم الاستفهام أو الإجابة عنه إنما هو لتحديد علاقة الاستفهام بالتركيب، واستنكاره معادلة"كيف الادخار" بـ"الادخار كيف"، يجلي بصورة واضحة خلْطَ الرجل في موقع المفردات كما ينتظمها القانون اللغوي المبني على الاستخدام، وتفسير هذه البنية، لغايات تعليمية أو توضيحية، وأكثر ما تلجأ إلى هذه الطريقةِ الكتبُ التعليمية والمدرّسون.

أمّا سؤاله عن الفرق بين "أين" و"كيف" حينما نسأل عن الادّخار، ما دام الجواب في التوفير، فهو سؤال من لا يعرف مسالك العربية، فإن سلمنا

---

١٣٤. نفسه: ١٠٧.

بالفـــرق بـــين الادّخار والتوفير في سؤاله، فلا يمكن أن تكون الإجابة عن الـــسؤالين واحـــدة، إلاّ إذا أراد المجيب أن يخرج إلى باب آخر، قريب ممّا يـــسمّى في "علم البديع" بـــ"أسلوب الحكيم"، نحو قوله تعالى(١٣٥):"يَسْـــأَلُونَكَ عَـــنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ". أمّا ابن بطوطة "أيّ" فإن مرونة هذه الأداة، وشحنها بالدلالات المختلفة، واستقراء اللغويين لهذه الدلالات هو الذي أهلها لهذه "الديناميكية" التي ينتقدها "أوزون"، ومَنَحَها هذه المنزلة، وهم لم يتفضلوا عليها بهذه الدلالات من عند أنفسهم .

وفي الفصل الخامس يتناول " إعراب الجمل "، ويتناولها بنقد ساذج، وأول مـــا يعـــرض للجملة الخبرية، ويمثّل لها بجملة" الطفل يلعب"، ويحمل علـــى إعـــرابها خبراً،ويردف قائلاً(١٣٦):"والسؤال هنا ومن المدرسة النحوية الـــرائدة، لمـــاذا لا تكـــون جملـــة "يلعب" في محل نصب حال مثلاً، فيكون التأويل:"الطفل لاعباً، ويكون الخبر محذوفاً تقديره "حاله لاعباً".

وهذا يضاف إلى رصيد من الجهل بأساليب العربية ودلالاتها، بعضه فوق بعض، فالأصل في اللغة الوضوح ولا يكون الإبهام غرضاً حتى تكون ثمة غاية بلاغية وراءه، وسبك جملة " الطفل يلعب" ينبئ بأنّ غاية المتكلم أن يخبـــر عـــن الطفل، لا عن حالته، وتقدير حاله لاعباً عبث، ليس من مسالك اللغة، على الرغم من اتصال الخبر والحال اتصالاً وثيقاً، تحدّد الدلالة أُطُره، وقد أشار سيبويه غير مرة إلى ذلك(١٣٧).

---

١٣٥. البقرة: ١٨٩.

١٣٦. نفسه: ١١٢.

١٣٧. الكتاب: ٢/٤٩، ٥٠، ٨١، ٨٧ – ٩٢.

ويتناول الجملة الوصفية، ويأخذ المثالين الآتيين "رأيت طفلاً يلعب"، و "رأيت الطفل يلعب"، ويعلق على الجملة الأخيرة[١٣٨]:"فإن جملة "يلعب" في محل نصب حال، وذلك حسب القاعدة المهلهلة، خالية الدلالة "الجمل بعد المعارف أحوال، وبعد النكرات صفات"، ويردف قائلاً: ما هو المعيار المنطقي الواضح الذي جعل من الجملة الفعلية(يلعب) (حال)، ومن التي قبلها صفة" ومن الأولى (خبر)؟ إنّ مجرد الخلط بين الفعل الذي يتضمن مفهوم الصيرورة والسيرورة(مفهوم التبدل والزمن)، والاسم الذي يتضمن مفهوم الثبات والكينونة يقودنا إلى خطأ جسيم فادح وإلى طمس الحقيقة، فإذا قلت: الطفل يلعب، فإن تلك الجملة لا تعني ولا تعادل البتة، عبارة "الطفل لاعب"، الأولى فيها مفهوم الحركة والزمن والثانية فيها مفهوم الثبات، فكيف تتم المساواة"؟

وأقول: القاعدة التي يسمها "أوزون" بـ"المهلهلة، خالية الدلالة" هي أيضاً من أشهر القواعد الدلالية في العربية، والمعيار المنطقي الذي يسأل عنه في التمييز بين الجملة الصفة، والجملة الحال، لا مكان له، ولا يطلبه إلاّ السيد أوزون ومن ينهج نهجه. فقولك: رأيت طفلاً يلعب" له دلالة محددة، في سياق محدّد، ولا يمكن بحال أن تُلقَى هذه الجملة إلاّ إذا كان هذا الطفل يلعب، في سياق يقتضي وجود أطفال غيره لا يلعبون، أو لا يقدرون على اللعب، أو يكون هو نفسه لا يقدر على اللعب في الأصل لأمر ما، وإلاّ لم يكن لها أيّ دلالة ذات معنى أو مغزى؛ ذلك أنها تريد أن توصل للسامع صفة لهذا الطفل في سياق مخصوص، حتى تغدو الصفة والموصوف شيئاً واحداً دالاً على هذا الطفل، يخصصه من غيره، فمركزية الدلالة هنا تتكون من مجموع الطرفين النكرة والجملة التي توصف بها. وللنظر إلى قوله

١٣٨. نفسه: ١١٣.

تعالـــى[١٣٩]:" **فَـــألْقَـــاهَـــا فَإذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى**"، فبؤرة الدلالة، تتكون من الموصوف وجملة الصفة، فقد تحولّت هذه العصا إلى حية لا تحتاج إلى وقت للتكـيّف مع كينونتها الجديدة، بل نجدها تنتقل وتمشي بسرعة، كأنها رُكّبت في هذه الصورة، فمركزية الدلالة تتكون من مجموع الحية ونعتها.

أمّـــا "رأيت الطفل يلعب" فله سياق مختلف تماماً، فمن جهة نجد أن ثمـــة اتفاقـــاً على معرفة هذا الطفل بين القائل والسامع أو السامعين، وقمة الدلالـــة فـــي توضـــيح الحال التي عليها هذا الطفل، والسامع أو السامعون ينتظـــرون هـــذا التوضـــيح، والسياق يفترض أن الحال وحدها ههنا مركز الدلالة؛ لأن الأصل فيه أن يكون على غير هذه الحال. ولنأخذ شاهداً بيناً من الكتاب العزيز، وهو قوله تعالى[١٤٠]: "**يـــا أيُّها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنـــتم ســـكارى**" فبؤرة الدلالة ههنا هي جملة الحال، وعليها يتوقف الحكم، الذي يتشوّف إليه السامع.

أمّا كلام " أوزون" على التأويل، وعلى الفرق بين الفعل الذي يتضمن مفهـــوم الصيرورة والسيرورة(مفهوم التبدل والزمن)، والاسم الذي يتضمن مفهـــوم الثـــبات والكيـــنونة، الذي يقودنا إلى خطأ جسيم فادح وإلى طمس الحقيقة، كما يقول، وهو يعني تأويل الجملة بـــ"اسم الفاعل". فأقول أولاً: من أيـــن أتى السيد أوزون بأن اسم الفاعل يتضمن مفهوم الثبات؟ ألم يقرأ قوله تعالى[١٤١]:"**الحمدُ لله فاطرِ السموات والأرض* جاعلِ الملائكة رسلاً**"، فأين الثبات في هذا؟ ولئن كان اسم الفاعل الذي يدل على المضي، ثابتاً، فإن قسماً كبيـــراً مـــنه لـــيس كذلك، وهو الذي يعمل عمل فعله، بل إننا نجد الكوفيين

---

١٣٩. طه:٢١

١٤٠. النساء، ٤٣.

١٤١. فاطر:١.

يطلقون عليه الفعل[١٤٢]. أمّا تأويل الجملة باسم الفاعل، فإن الأصل في الخبر والصفة والحال الإفراد، وما جاء على غير ذلك فمؤول؛ ذلك أن الجملة التي تقـــع هذه المواقع نائبة عن المفرد؛ إذ هو الأصل، والمركب فرع منه[١٤٣]. علـــى أننا يجب أن نعترف - بعيداً من المذهب الذي يركبه "أوزون"- أن قضية التأويل من أكثر القضايا إشكالاً في النحو العربي، ولا شك أنها تفتقر إلـــى دراسات شاملة ومعمّقة، بعيداً من المعيارية، التي تفترض أن قيمة هذا التأويل تنهض من قضية سلامة النصوص.

وفـــي الفـــصل السادس يعرض للشواهد والتخريجات النحوية، وممّا يتناوله قوله تعالى[١٤٤]:"ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب"، وقـــوله تعالـــى[١٤٥]:"وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها"، ويعلّق على الحـــركة الإعـــرابية لـــــ"البر" في الآيتين[١٤٦]:"ونطلب من الأخ القارئ أن يلاحـــظ تلـــك المغالطـــة العجيبة فـــ"البرّ" خبر مقدم، وجدوها منصوبة بعد (ليس)، فلم يجدوا حلاً سوى اعتبارها خبر(ليس) مقدماً، والمضحك بعد ذلك أنهم خلقوا مكاناً لجملة في الإعراب لم نعرفه من قبل".

و"أوزون" بعيد من فقه العربية وأساليبها، وهو لا شك لن يصل إلى جزء يسير من فقه هذه اللغة ما دام يركب هذا المذهب الساذج. فقوام المسألة الدلالـــة، والآيـــة الأولى: "ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم" قرأها حمزة وحفص

١٤٢. ينظـــر: معانـــي القـــرآن، للفراء:١/٣٣، ٤٥، ٢/٤٣، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٣/ ٢٠٨. و"معاني الكسائي":١٧٣، ١٨٥، ومجالس ثعلب: ١ / ١٢٤، و"مجالس العلماء: ٢٦٥.

١٤٣. ينظر: المغني:٥٣٦، و حاشية الصبان: ١/٢٨٥.

١٤٤. البقرة: ١٧٧.

١٤٥. البقرة: ١٨٩.

١٤٦. نفسه: ١٢٠.

بنـــصب الـــراء من "البر"، وقرأ باقي السبعة برفعها. وقال أبو حيان[١٤٧]:" وقراءة الجمهور أولى، من وجه، وهو أن توسط خبر ليس بينها وبين اسمها قلـــيل، وقـــد ذهب إلى المنع من ذلك ابن دُرستويه تشبيها لها بـــ"ما"، أراد الحكـــم عليها بأنها حرف، كما لا يجوز توسيط خبر ما، وهو محجوج بهذه القراءة المتواترة، وبورود ذلك في كلام العرب.

قال الشاعر[١٤٨]:

سلِي إن جهلتِ الناسَ عنا وعنهم وليس سَواءً عالـــمٌ وجهولُ

وقال الآخر[١٤٩]:

أليس عظيماً أن تلمَّ مُلمّـــة وليس علينا في الخطـــوب مُعَـــوّلُ"

فهـــذا الاستخدام الذي ينكره "أوزون" قد جاء عن العرب، فلا محلّ لإنكـــاره مـــن هـــذا الـــوجه. وقال المبرد وهو المعروف بتشدده، وتطويعه الـــشواهد؛ للتنـــسق والقاعدة[١٥٠]: " "ليس"، تقديمُ الخبرِ فيها وتأخيره سَواءٌ". وقـــال الزجاج[١٥١]:"ولك في إعراب البر وجهان...فمن نصب جعل "أنْ" مع صـــلتها الاســـم، فيكون المعنى "ليس توليتُكم وجوهكم البرَّ كلَّه"، ومن رفع فالمعنى "ليس البرُّ كلُّه توليتَكم، فيكون البرّ اسم "ليس" وتكون توليتكم الخبر".

---

١٤٧. البحر المحيط: ٢/٤.

١٤٨. البيت للسموأل في ديوانه:٩٢، وهو أيضاً في الخزانة: وفي شرح ابن عقيل:١/٢٧٣.

١٤٩. البيت بلا نسبة في تخليص الشواهد: ٢٣٧.

١٥٠. المقتضب:٤/١٩٤، ٤٠٦. وينظر:أوضح المسالك:١/٢٣٨.

١٥١. معاني القرآن وإعرابه:١/٢٤٦.

وحجة المانعين أنها يغلب عليها جانب الحرفية، فيجريها مجرى "ما" النافية؛ فــلا يجيــز تقــديم خبرها على اسمها، ولا عليها[١٥٢]. وهذا كلام معياري، يخالفــه المسموع ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، وقد سجّل عبد الخالق عضيمة كثيراً من الآيات التي توسط فيه الخبر بين ليس واسمها[١٥٣].

ونضيف إلى هذا بأن تقديم الخبر يحمل دلالة لا يحملها وهو مؤخّر، وأنّ قــراءة "البــرَّ" بالنصب تنجم من قصد "البرّ" بالنفي، وهي تختلف عن قــراءة الرفع؛ إذ يتحول الخبر من الجزء المكمّل للفائدة، وحكم صادر على المبتدأ، إلى قمة دلالية بارزة في هذا التركيب. أمّا "البرّ" في الآية الثانية فلم تقرأ بالنصب لأن الباء واقعة في أول المصدر المؤول الذي ينبئ بأنه الخبر، وليس ثمة مندوحة ههنا عن هذه الدلالة.

وينــتقل إلى آية أخرى من سورة البقرة، وهي قوله تعالى[١٥٤]:"ولا تقولــوا لمــن يقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياء ولكن لا تشعرون". ويذكر تعليق العكبري في التبيان:"قوله تعالى (أموات) جمع على معنى (مَن)، وأفرد (يقــتل) على لفظ (من)، ولو جاء "ميّت" لكان فصيحاً، وهو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف: أي هم أموات، (بل أحياء) أي بل قولوا هم أحياء، لمن يقــتل فــي سبيل الله ... (ولكن لا تشعرون) المفعول هنا محذوف تقديره لا تشعرون بحياتها".

وهــو يعلّق على كلام العكبري[١٥٥]:" ونستنتج من المقطع السابق ما يلــي:أولاً: استنكار غير مباشر ومبطن لاستخدام صيغة الجمع (أموات) مع

---

١٥٢. ينظر: شرح المفصل:٧/١١٤، حاشية الصبان:١/٣٤٢.

١٥٣. دراسات لأسلوب القرآن الكريم: القسم الثالث، الجزء الأول:٣٨٦.

١٥٤. البقرة: ١٥٤.

١٥٥. نفسه: ١٢١.

المفـــرد (لمن يقتل)، والدليل قوله :لو جاء ميتاً كان فصيحاً، ونحن نقول لو قـــال أحدنا ذلك لما سلم من لسان وقلم العكبري وأمثاله. ثانياً:استخدام كلمة وهمية وهي الضمير "هم"، ليبرر حركة الرفع في كلمة (أموات) عوضاً عن (هم أموات). ونحن نقول أموات لا تعادل (هم أموات) أبداً، ولماذا لا يكون تقديـــر الكلام (إنهم أموات).. ثم كيف ينوب الضمير الوهمي (هم) عن (من يقتل) أليس الأجدر أن نقول (أنت أموات) لينسجم الضمير مع صيغة المفرد. "ويـــبدو أن العكبري ينسى وينسى معه نحاتنا الأفاضل أن المتحدث هو الله عـــزّ وجـــل. وأن لا ترادف في كلمات الكتاب". وهو يطلب من القارئ أن يتأمل الآية كما يقدرها العكبري:"لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله هم أموات بل قولوا هم أحياء، ولكن لا تشعرون بحياتها".

وهو يعرّض بالعكبري لأنه يقول:" :"قوله تعالى (أموات) جمع على معنى (مَن)، وأفرد (يقتل) على لفظ (من)، ولو جاء "ميّت" لكان فصيحاً، فهو يجهـــل أن العكبـــري يذكّـــر بقاعدة مشهورة في كلام العرب، لا في تنظير النحاة، مفادها أن كلمة "مَن" سواء أكانت موصولة أم غير موصولة، مذكرة اللفـــظ، وقد يكون معناها على غير ذلك، وعلى هذا يصحّ أن يعود الضمير علـــيها مفرداً مذكراً مراعاة للفظ، أو يعود مراعياً المعنى فيكون غير ذلك، وهذا أقل من الأول، ومن الأول قوله تعالى: "**ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يـــؤمن بـــه**"، وقد اجتمع الأمران في قوله تعالى:"**بلى من أسلم وجهه لله وهـــو محـــسن* فلـــه أجره عند ربه* ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**" فالـــضمائر في الشطر الأول من الآية مفردة مذكرة مراعاة للفظ "مَن"، وفي الـــشطر الثانـــي للجمـــع مـــراعاة لمعنى "من". والاسم الظاهر حاله كحال الـــضمير. وقـــد أفرد سيبويه فصلاً في ذلك[١٥٦]، هذا هو لسان العرب الذي يجهله أوزون.

١٥٦. الكتاب: ٤١٥/٢. وينظر: المقتضب:٢٩٥/٢، ٢٥٢/٣.

وبعـــد أن يـــستعرض عـــدداً من الآيات ووجوه قراءاتها على هذه الشاكلة، ينتهي إلى قوله[١٥٧]:"عندئذٍ أقول: إن حركة أواخر الكلمات لا تغير المعنـــى، ولـــم يهتم بها الرسول صلّى الله عليه وسلم، وقد قرأ الصحابة في حياته بقراءات عدة، ومختلفة".

وقـــوله هـــذا هـــو محض افتراء وتدليس؛ لأن القراءات لم تكن باباً للفوضى، ولم يقرأ كلٌّ على هواه، كما يريد "أوزون" أن يسيغ للقارئ. وذكر أبوحـــيان أن القراءات القرآنية كلها، صحيحها وشاذها إنما جاءت على لغة العـــرب[١٥٨]. وقال ابن جنّي[١٥٩]:"والناطق على قياس لغة من لغات العرب مـــصيب غيـــر مخطـــئ، وإن كـــان غيـــر مـــا جاء به خيراً منه". وقال الدانـــي[١٦٠]:"وإئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى فـــي اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصحّ في النقل. والـــرواية عـــنهم إذا ثبـــتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فُشُوّ لغة؛ لأن القـــراءة ســـنة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها". هذا هو المذهب الذي لا يحسنه السيد أوزون، ولا أحسب أنه يريد أن يحسنه.

ويـــستعرض عدداً من الشواهد الشعرية، وإعراب النحاة لها، نحو: وقـــد يجمـــع الله الـــشتيتين بعدما يظنان كلّ الظنّ..."، و"تمرون الديار ولم تعوجـــوا..."، و"بنـــي غدانـــة ما إن أنتم ذهب..."، ومرة يحيل إعراب هذه الأبـــيات إلـــى القـــارئ، وأخرى ينهي الإعراب بالحوقلة. ثم ينهي الفصل باســـتعراض عـــدد من التراكيب والأساليب، نحو: "أجدّك، و" بله "، و"ربَّ

---

١٥٧. نفسه: ١٤١.

١٥٨. البحر المحيط: ٤١٩/٨.

١٥٩. الخصائص: ١٢/٢.

١٦٠. النشر في القراءات العشر: ١٠/١-١١.

ارحمني"، و"لاسيّما). وكسابق عادته يعرب الأساليب، كما جاءت في بعض كتب النحو، ويفرك يديه ويحيل إلى القارئ وبلاغته، ليكتشف فساد الإعراب. إذ يقول[١٦١]:"ونترك للقارئ الخيار في قبول أو رفض تلك البلاغة القواعدية، وذلـــك العلـــم الفريد السامي، الذي لا نستطيع فهم لغتنا وفهم قرآننا الكريم بدونـــه". وهـــو فـــي كـــلّ ذلك يشن هجوماً على كلّ مظاهر اللغة العربية الفصيحة، لا على النحاة كما يزعم.

ويَـــسِمُ فـــصله الأخيـــر بـــــ"بـــين الماضـــي والحاضر"، ويستهله بقوله[١٦٢]:"إن عقدة القديم هي عقدة الشرق الإسلامي بأسره وخاصة العرب، فما جاء من القديم صحيح، وكلّ ما يعارضه وما خرج عنه خاطئ أو مشكك فـــيه". وهـــو يُثَـــرِّب أصـــحاب مدرســـة الماضي، كما يسميهم، وهم كما يقـــول:"يقفـــون في وجه كل من يحاول أن يأتي بجديد أو ينتقد القديم، وهم ينـــسوَن أن اللغـــة كـــائن حـــيّ ؛ لـــذلك تجدهم يؤمنون بأن اللغة العربية الفـــصيحة(المقعّـــدة) قادرة على أن تستوعب كافة المفردات والمصطلحات الجديدة -خاصة العلمية منها- ونحن نرى غير ذلك تماماً".

ونجد أن مذهبه يتجلّى بوجه، لعله أكثر وضوحاً ومباشرة ممّا سبق، فمشكلة الشرق هو التعصب للقديم على علاته، ورفضه للجديد على نفعه، لا لشيء ولكن لحداثته، ولذلك فهو يعلم موقف هؤلاء الذي اعتادت أعينهم على العيش في الكهوف، ولا يقدرون على مجابهة الشمس، والعيش تحت الضوء. ومن البديهي أن "أوزون" هو من يحمل مشعل الحداثة، وهو الذي يرفع شعار " اللغة كائن حيّ"، ولا بدّ لهؤلاء الحالمين من أن يستيقظوا على الحقيقة التي

---

١٦١. نفسه: ١٥٥.

١٦٢. نفسه: ١٥٧.

يفجـأهم بهـا: إنّ لغـتهم باختصار عاجزة، ولسانهم عَيِيّ عن أن يستوعب المصطلحات والمخترعات العلمية الجديدة.

وهـو يـرى أن يعـتمد العـرب في العصر الحديث المصطلحات الإنجليـزية؛ إذ يقول[١٦٣]:" وعليه فإنه يتوجّب علينا أن لا نضيّع الوقت في إيجـاد ما يقابل المفردات والمصطلحات العلمية الإنجليزية في اللغة العربية، وأن نعـيد النظـر في ما يسمّى بمجامع اللغة العربية ومهامها، فالعرب منذ بدايـة القرن العشرين وحتى يومنا هذا – أي على مرّ قرن من الزمان – لم يقدمـوا مصطلحاً واحداً في مجال العلوم والتكنولوجيا، في حين أنهم قدموا آلاف الكـتب الدينـية والأدبية التي لا تسمن ولا تغني من جوع... كما أن تسمية المخترعات هي من حقّ الأمم التي أوجدتها وأبدعتها ولا يحقّ لغيرها أن يغيـرها". وهـو يدعو إلى غلق باب من أهم أبواب العربية، فيقول:"إن إغـناء لغتنا بمفردات ومصطلحات من لغات أخرى والتوقف والامتناع عن محاولـة الاشـتقاق اللغوي من جذور الكلمة العربية سيؤدي إلى تطويرها، وإلى مواكبة أهلها لآفاق العلم والمعرفة، وحسبنا بالقرآن الكريم إماماً، حيث استخدمت فيه مفردات غير عربية كثيرة (سندس، استبرق، سرادق...).

وهـا هـو ببساطة يرى أن المجامع اللغوية لا فائدة منها، ولا خير فـيها. كما يقرر حقيقة أشد مرارة وهي أن المجامع لم تقدم مصطلحاً واحداً في مجال العلوم والتكنولوجيا، وأنّ العرب قدموا آلاف الكتب الدينية والأدبية التي لا تسمن ولا تغني من جوع، فالأمم التي تخترع هي التي تملك حق سكّ المـصطلحات. واحرّ قلباه على الصينية واليابانية والكورية وأمثالها كيف لم تـرزق بـابن بـارّ كالأستاذ أوزون يذكرها بسخافة الجهد الذي بذله ويبذله أبناؤها في سبيل البحث عن مقابل للمصطلحات الإنجليزية.

---

١٦٣. نفسه: ١٦١.

والــرجل كمــا نــرى ينفث كلّ ما يحوك في صدره على العربية الفــصيحة ومؤســساتها، فأمة العرب منذ عشرات السنين عالمهم وجاهلهم يسمّون السيارة والطيارة والدبابة والصاروخ وراجمة الصواريخ والغوّاصة والهاتــف... فإن لم تكن هذه مصطلحات عربية صميمة وضعت لمخترعات ظهرت في بلاد الأعاجم فما تكون.

وهــو جاحــد، فهو يبخس الكثير من المؤسسات والمراكز العلمية العــربية المعنــية بالتــرجمة والتعريب حقها؛ فالمجامع قد أبلت في مجال المــصطلحات بــلاء حــسناً، ويمكنه أن يطلع على المجلدات من محاضر الجلــسات والمعــاجم والمجــلات الصادرة عن مجمع القاهرة ليرى كم من المصطلحات عرّبت ودوّنت، وللمجمعين السوري والأردني، ومكتب تنسيق التعريب في الرباط، وغيرها من المراكز جهود طيبة أيضاً في هذا المجال، علــى أننا لا ننكر أن تلك الجهود أقل بكثير من الطموح، أمّا أن نجرد هذه المجامع والمؤسسات من كلّ فضيلة، فهذا ظلم ونكران لهذه الجهود الخيرة، علــى نقصها، وتشتتها، ولا يمكن أن يكون الغرض منه الخير للغة وأهلها، وما أجدر "أوزون" بهذا النكران!

أمّــا زرايــته على آلاف الكتب الدينية والأدبية أنها من قبيل عبث، ومضيعة للوقت، فلا يقول بهذا عربي يغار على عربيته وتراثه، ذلك التراث الــذي ربّــى الأجــيال، وهــذب طباعهم، وحفظ لغتهم. فضلاً عن أنه مادة عقــيدتهم. والرجل بعد ذلك لا يقرأ تاريخاً ولا يأبه به، فلو كانت اللغة التي يــزعم الانتساب إليها عيية، وتضيق بالتطور، لكان كشف عوارها، وفضح أمــرها، حيــنما نهــل العرب في العصرين الأموي والعباسي من كل علم، فاهتــضمته وأساغته تعلّماً وتعليماً. ودعوة أوزون إلى نبذ الاشتقاق إنما هي

دعـــوة محـــارب إلـــى تـــسليم سلاحه إلى أعدائه، وكفى بها دعوة إلى هدم العربية.

أمّـــا استشهاده بـــ"سندس" و"استبرق" ونحوهما، فأقول هذا اقتراض قـــوامه ألفاظ أعجمية معدودة دخلت العربية، ولا توجد لغة في العالم يزعم أصـــحابها نقاءهـــا مـــن مثل هذه الألفاظ، والإنجليزية نفسها التي يعتز بها "أوزون" فـــيها آلاف المفـــردات العـــربية، وهذه الحقائق شيء والدعوة إلى إدخـــال مجموعات كبيرة من الألفاظ والمصطلحات دون ضابط شيء آخر، وهي دعوة إلى إفساد اللغة وليس خدمتها.

وفي نهاية البحث يرى الباحث أنّ القراء سيكونون ثلاث زُمَر(١٦٤):

- الزمـــرة الأولـــى وتـــشمل طـــلاب التحصيل العلمي العالي وكبار المثقفين، ويظنهم سيؤيدون البحث والأفكار المطروحة

- و الثانـــية تـــشمل المتخصصين، وهم – كما يرى– سيقرون بوجود ثغرات وإشكاليات في النحو العربي، وسيكونون عوناً هاماً له.

- والثالـــثة وتشمل أصحاب الاختصاص الذين آمنوا بالوهم والخيال، أصحاب الجارّ والمجرور وتعليقه.. .

والكاتب يطرح على نفسه سؤالين:

- الأول: ما الغاية من هذا العمل؟

- الثاني: ما هو البديل بعد افتراض قبول العمل؟

---

١٦٤. نفسه: ١٦٩.

وفي إجابته عن السؤال الأول يرى أن الغاية يمكن أن تقسم إلى قسمين، الأول مباشــر، ويهدف إلى رفض قواعد النحو في اللغة العربية اعتماداً على النقد، والتأسيس لقواعد جديدة ترتكز على:

- موقع ودور الكلمة في النظم لا اعتماداً على أواخر الكلمات.
- إعمال العقل والمنطق في التقعيد.
- تأثير الزمن وفاعلية الأدوات (الحروف) في القواعد.

والهــدف المباشــر الثانــي هو التأسيس لنشوء جيل عربي يتكلم لغة عربية واحدة دون ازدواجية بين العامية والفصحى. وهو يستدرك قائلاً[١٦٥]: "وهنا لا بد من الإشارة وبشكل صريح إلى وجوب عدم الخلط بين ما ندعو إليه، وبين لغة القرآن الكريم، فالقرآن الكريم في لهجته وقراءاته هو صيغة تعبدية لا مجال لنقاشها، وبالرغم من أني مسلم مؤمن بكتاب الله عزّ وجلّ إلا أنه لا يمكنني فرضه على العربي غير المسلم ليكون مرجعيته العربية المعتمدة".

والقســم الثانــي يمــثل الهدف البعيد، ويهدف إلى خلق أمة عربية متطورة لها بصماتها في العالم المعاصر، لا بصمة أجدادها الغابرين، فلكي تتغير الأمة يجب أن تكون لغة معرفتها ولغة ثقافتها واختراعها ومعيشتها... واحــدة، فــنحن نــتحدث بالعامية ونفكر بالعامية ونحب بالعامية. إن رئيس مجلــس الوزراء البريطاني يتكلم في مجلس اللوردات كما يتكلم مع إخوانه وأصدقائه المقربين.

أمّا السؤال عن البديل، فيرى أنه ذكر خطوطه العريضة، أمّا الدخول في تفاصيله فيحتاج إلى عمل موسوعي ومؤسساتي كبير.

---

١٦٥. نفسه: ١٧١.

أقــول – مع الأسف– تمخّض الجبل فولد حَصاة. إن السيد "أوزون" يعتــريه طائف ممّا يسمّى جنون العظمة، فهو يرى أن الجموع تتلقف كتابه مــتلهفة فور قذف المطبعة أول نسخة منه، وهم بعد أن يغنموا ما غنموه من هــذه النـــسخ ينتحي كل منهم زاوية، أو بطن وادٍ ينكبّ فيه على هذا السفر العظــيم، فيــصدرون عنه زمراً ثلاثاً. ونقول ههنا للسيد أوزون إن ما في الكتاب لا يمكن أن يؤيده من كان له مُسكة من انتماء إلى لغته وتراثه، ليس لأنه يهاجم العربية وأهلها وحسب، بل لأنه يدعو إلى التدمير والفوضى، ولا يملك منهجاً للبناء. فلكل مصلح ثلاثة أركان لا يمكنه أن ينجح دونهن، الأول أن يــتملكه حب المبادئ التي يبغي إصلاحها، وثانيهما أن يكون على معرفة بدقائــق تلــك المبادئ، والثالث أن يمتلك منهجاً واضحاً لهذا الإصلاح. ولا أظن أن السيد "أوزون" يحتقب أياً منها.

أمّـــا هدفه المباشر وتأسيسه قواعد جديدة، مبنية على دور الكلمة في النظم، وإعمال العقل، وفاعلية الأدوات، فنقول له: هدفك في اطراح الإعراب معروف، ولكن من أنبأك بأن العربية تعتمد على أواخر الكلمات وحسب؟ أمّا مــسألة إعمال العقل وفاعلية الأدوات فلا أظن أن أحداً يمكن أن يخوض هذا المــيدان غيرك، كما رأينا، لأنك تضرب فيه بما يهجس في عقلك، دون سند مــن رواية ولا دراية. وأمّا سعيك إلى أن يأتي جيل عربي يتكلم لغة عربية واحــدة دون ازدواجــية بين العامية والفصحى، فأقول لك إن كل دعوة مثل دعــوتك مــصيرها الإخفاق؛ لأن أيّ دعوة تتجاهل اللغة العربية الفصيحة، ســيكون مصيرها مصير عروس من الثلج، لوحتها شمس الظهيرة، وسيبقى هــذا الجيل حلماً في رؤوس أصحابه، لا يمكن أن يتحقق، فالتمسك بالعربية الفــصيحة هو تمسّك بالعقيدة، وتمسك بالوحدة، لأنها السلك الذي ينتظم كلّ مقوّماتنا.

أمّا إشارته الصريحة إلى وجوب عدم الخلط بين ما ندعو إليه، وبين لغة القرآن الكريم، فأقول إن ما أفسدته من اللغة التي تدعو إليها، وازدراءك لغـــة القرآن، ودعوتك إلى العامية صراحة، لا يجعل هذا التباكي على لغة القـــرآن يجوز على أحد. أو تظن أنه لو تحققت دعوتك الهدامة، سيبقى من يفهـــم هـــذا الكـــتاب المقـــدس؟ أمْ تـــريد أن يتحول تراث العربية أيقونات ومخطـــوطات يعـــد عارفـــوه فـــي عـــداد العارفين بالكنعانية والفرعونية والآشورية.

أما هدفه البعيد وهو خلق أمة عربية متطورة لها بصماتها في العالم المعاصر، لا بصمة أجدادها الغابرين، فأقول"شِنْشِنَةٌ أعْرِفُها مِن أَخْزَم"، فبعد أن ضرّجتَ لغتك بالعقوق، أنت تعيش أوهاماً قد عاشها الكثير قبلك ولم تتعظ مـــن تجـــاربهم، فأيّ عامية هذه التي تدعو إليها يا سيد أوزون؟ ومن الذي ســـيأخذ بهـــا؟ السورية أم المصرية، أم الأردنية، أم المغربية، الحضرية أم الـــبدوية الـــشمالية أم الجنوبية؟ أمّا حلمك أن نصبح كرئيس مجلس الوزراء البريطانـــي يـــتكلم فـــي مجلـــس اللوردات كما يتكلم مع إخوانه وأصدقائه المقـــربين، فلا أقول إنك لست تعرف لغتك وحسب، بل ولغة غيرك أيضاً، وإذا ظنـــنت أن لغة رئيس مجلس الوزراء البريطاني، في مجلس اللوردات هي نفسها التي يتحدث بها في الشارع فأنت واهم، على الاختلاف البيّن بين العربية والإنجليزية.

فاللغـــة الإنجليزية تتفرع إلى عدد اللهجات المختلفة المتباعدة، والتي هي في طريقها لتصبح لغات منفصلة متمايزة، وما عليك إلاّ أن تدير محرك بحـــث "الانترنت" في الندوات والمناقشات التي تدور في الكلام على عولمة

اللغـــة الإنجليـــزية لتعرف هذه الحقيقة(١٦٦)، ويمكن استشفاف بعض الحقائق المهمـــة في هذا الشأن من مقال"باربارا ولراف"المحررة في مجلة "atlantic monthtly" "اللغـــة العالمـــية"(١٦٧)، علـــى الـــرغم من أنها تأمل أن تكون الإنجليـــزية لغة المستقبل. وقد صنف بعض المؤلفين الإنجليز معاجم في لغة الشارع، كما صنع سكوت سمبسون في معجمه " the wee book of scots slang" (١٦٨)، ويحـــشد فـــيه طائفة من ألفاظ الشوارع، لا يعرفها أهل اللغة أنفسهم.

ويقـــول تراسك – ولعلك أكثر ثقة فيما يقوله– في كتابه: "أساسيات اللغـــة"(١٦٩):كل لغة محكية عبر امتداد كبير من الأرض تتجلى فيها تنوعات كالإســـبانية والفرنـــسية والإيطالـــية والعربية... "، فالعربية ليست بدعاً من اللغات في هذا، كما أن الإنجليزية يجري عليها ما يجري على غيرها، يقول كلوكـــسبيرغ ودانكـــس فـــي كـــتابهما(١٧٠)" مـــدخل إلى علم النفس اللغوي التجريبي":في بلد كبير مثل الولايات المتحدة هناك " إنجليزية فصيحة" وهي لهجـــة مثالية لا تدل لا على إقليم المتكلم ولا على طبقته.. وهي السائدة بين المذيعـــين ومقدمـــي البرامج التلفزيونية" وجاء في الصفحة نفسها عن اللغة الألمانية:"إنك تفهم كلام الناس ما دمت تسير من منطقة إلى منطقة مجاورة،

---

١٦٦. وينظر ما كتبه د. أحمد أبو زيد في مجلة العربي العدد "٥٤٢" يناير ٢٠٠٤: ٣٠ "هل تقوم لغة عالمية واحدة؟".

١٦٧. Atlantic monthly, November. ٢٠٠٠ "global language".

١٦٨. Scots simpson "The wee book of scots slang".

١٦٩. R.L.Trask: language. The basics: ٧٥، وأرشدني إلى هذا نص ما جاء في كتاب" العربية تواجه التحديات" للدكتور طالب عبد الرحمن:٧٦.

١٧٠. نقلاً عن كتاب"العربية تواجه التحديات:٧٧.

ونحن إذا انتقلت إلى مسافة بعيدة ضمن الأرض الألمانية فلن تستطيع الفهم"، فهل اطلع أوزون على مثل هذه الحقائق.

وبعد فإن السؤال الذي لا يفارق الذهن عند قراءة ما كتب "أوزون "، وما كتب أمثاله قبله، وما سيكتب على نهجه من سيجيء بعده، إذا كانت اللغة العربية الفصيحة – ولنضع جانباً أنها لغة القرآن الكريم- عجزت عن مواجهة الحضارة- كما يزعمون- والقيام بواجباتها نحوها، بكل ما تحمل من خبرة ونجاح في مستوياتها كافة، وفي شتى ميادين العلوم على مدى قرون، أيمكن للهجة عامية فقيرة بين آلاف اللهجات أن تنوء بالعبء نفسه، بالكفاءة نفسها؟

وإنّ المرء ليحار حينما يسمع عربياً يزعم انتماءه إلى العربية ينادي بوأد العربية الفصيحة لعدم صلاحيتها، ويتأمّل ما يقوله المستشرقون ممن يفترض أنهم يعتزون بلغتهم التي يعرفون دقائقها، ولا يسعهم إلاّ أن يقرّوا بعظمة العربية، ومن هؤلاء "فيلا سبازا"، إذ يقول[١٧١]: "واللغة العربية من أغنى لغات العالم بل هي أرقى من لغات أوربا لتضمنها كلّ أدوات التعبير في أصولها، في حين أن الفرنسية والإنجليزية والإيطالية وسواها قد تحدّرت من لغات ميتة ولا تزال حتى الآن تعالج رِمَم تلك اللغات لتأخذ من دمائها ما تحتاج إليه".

١٧١. الفصحى لغة القرآن: ٣٠٨.

خلاصة الموضوع:

- العنوان الذي وسم الكاتب عمله به ينبئ بشكل جليّ، بأنه يبحث عن الإثارة أكثر من سعيه إلى المنهجية والموضوعية في مناقشة القضايا التي طرحها(١٧٢).

- إن القارئ المنصف لأي فصل من فصول كتاب "أوزون"، لا يسعه أن يصف الكتاب إلا بأنه دعوة لإشاعة الفوضى في اللغة العربية الفصيحة، ودعوة صريحة للهدم، وازدراء التراث، بقطع النظر عن أهداف الكاتب.

- الكاتب يفور غيظاً على العربية الفصيحة وتراثها، وعلى الرغم من محاولته إخفاء هذا الشعور إلا أنه بادٍ في كلّ كلمة يتفوه بها. وما نقده الجائر لشعر امرئ القيس، إلاّ مظهراً جلياً من مظاهر هذا الشعور.

- كثيراً ما يخلط بين مستويين من مستويات اللغة، المستوى اللهجي والمستوى الفصيح.

- يدعي "أوزون" إصلاح لغة وهو لا يملك الأدوات ولا المنهج لتحقيق هدفه الذي يسعى إليه.

- ينتقد في كثير من آرائه اللغة ومسالكها لا اللغويين والنحاة.

- يدعو إلى نبذ باب من أهم أبواب العربية وأكثرها حيوية وهو الاشتقاق، وكفى بهذا هدماً.

---

١٧٢. ويبدو أن الكاتب اتخذ "الجناية" منهجاً في تأليفه، كما أشرت في المقدمة، وقد أضاف إلى "جناية سيبويه" جناية الشافعي، وجناية البخاري، ولعله يفكر في تأليف موسوعة للجنايات.

- حِرْصــه على انتقاد تجاوز اللغويين -كما يرى- في إعراب بعض آيـات كـتاب الله الكـريم- وعلى الأخص مسألة زيادة الحروف- ضرب من السخرية، والاستهزاء، ومحاولة للتعريض باللغة.
- إن مــن أبــرز الإشكاليات عند الكاتب المصطلحَ النحوي، وتحديد مفهومه.
- استخدم الكاتب مصطلحات مضطربة، وأسلوباً ركيكاً ملبساً في كثير من مناقشاته.
- أسلوبه في كثير من مناقشته لقضايا اللغة، فيه كثير من الإسفاف.
- يـستخفّ بالقارئ، ويحسب أن حصيلة هذا القارئ اللغوية تمكنه من تمريـر هـذا الكم الكبير من معلوماته الخاطئة، فضلاً عن تحليلات سقيمة جلّها لا يمت إلى النصّ ولا الإصلاح بصلة.
- محاولـته اليائـسة فـي السير على خطى تفكيك العلاقة بين اللغة الفصيحة والقرآن الكريم محاولة بائسة ولا تجوز على أحد، فالزراية باللغـة الفـصيحة والتقلـيل من شأنها بهذه الصورة التي أنشأها لا تستثني أي نصّ عربي.
- إن الكاتب يستنكف أن يوثق رأياً محدداً من أيٍّ من المراجع النحوية أو اللغوية، على الرغم من صلتها بالموضوعات التي يطرحها، وما وثّقه منها، إنما هو إيهام بأنه عاد إلى شيء منها.
- تلبيـسه علــى القارئ، إذ يتناول الكثير من القضايا النحوية تناولاً جـزئياً، ويحرفها عن قصد، ليعطي القارئ صورة مشوهة عن تلك القضايا.

- يطرح الكثير من الانتقادات والملحوظات دون أن يطرح البديل.

- إن منهجه يثير الشكوك في كل ما يتعلق باللغة العربية الفصيحة، وهذا المنهج يمثل خطراً كبيراً عندما يطالعه من لا يملك المعرفة الحقيقية للعربية، فإن أضاف القارئ إلى هذا موقفاً سلبياً منها كان خطره أشدّ.

- الكاتب يدعو - كغيره ممن نَهَج نهجه- إلى لغة يأنف هو من استخدامها.

- ثمة قضايا أثارها الكاتب، هي قضايا تمسّ اللغة، وهي بحاجة إلى نظر وبحث، غير أن منهج الكاتب وحصيلته اللغوية وأسلوبه لا تؤهله لمناقشتها.

- إنّ المطّلع على كتاب السيد "أوزون" يخلص بحقّ إلى أن ما يليق به مقعد الدرس، لا منبر المصلح.

المصادر والمراجع

- الأستَراباذيّ، الرضيّ، شرح الكافيَــة، دار الكُتب العلميّة.
- امرؤ القيس، ديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف،ط٤.
- الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،١٩٨٢.
  - أسرار العربية، تحقيق فخر قدارة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٥
- أوزون، زكريا،جناية سيبويه"الرفض التام لما في النحو من أوهام"، رياض نجيب الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠٠٢.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٦.
- التوحــيدي، أبــو حيان، كتاب الإمتاع والمؤانسة، ضبط وتصحيح أحمد أمين، وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ثعلــب، أحمــد بن يَحيى، مَجالس ثعلب، تحقيق عبد السّلام هارون ، دار المَعارف، ط٢.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط١٩٩٢،٣.
- ابــن الجــزري، محمــد بن أحمد، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- جرير، ديوانه، شرح إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٨٢.
- الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.

- ابـن جنّي، أبو الفتح، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت .

- حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٦٦.

- أبـو حـيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٩٩٣.

- ابـن خلدون،محمد،مقدمـة ابن خلدون،تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية،بيروت٢٠٠٣.

- الـزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨.

- الراجحي، عبده، التطبيق النحوي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥.

- الزَّجّاجيّ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، مَجالس العُلماء، تحقيق عبد السّلام هارون، وزارة الإرشاد، الكُويت،١٩٦٢.

- الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر، الكشّاف، دار الفكر .

- السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الفكر، الأردن، ط٢، ٢٠٠٢.

- ابـن الـسرّاج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٨ .

- السموأل، ديوانه، مطبوع مع ديوان عروة بن الود، دار صادر، بيروت.

- سـيبَوَيهِ، الكِـتاب، تحقيق عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، هَمْع الهَوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

- • الاقتراح، تحقيق أحمد الحمصي ورفيقه، جروس بروس، بيروت، ط ١، ١٩٨٨.

- الشوباشي، شريف، لتحيا اللغة، يسقط سيبويه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٤.

- الصبان، محمد بن علي الصبّان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧.

- الحموي، ياقوت، مُعجَم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي،ط١٩٩٣،١.

- عبد الرحمن، طالب، العربية تواجه التحديات، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العدد، ١١٦، السنة السادسة والعشرون، ط١، كانون أول، ٢٠٠٦.

- عبد العزيز، محمد حسن، محاضرات في اللغة العربية ومشكلاتها، مكتبة الشباب .

- ابن العجاج، رؤبة، تصحيح وليم بن الورد، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٩٧٩.

- عضيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة.

- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ١٩٩٠.

- الفراء، أبو زكريا، مَعاني القرآن، دار السرور، بيروت لبنان، ج١:تحقيق أحمد نَجاتي ومحمّد النّجّار، ج٢: تحقيق محمّد النّجّار، ج٣: تحقيق د.عبد الفتّاح شلبي.

- فليش، هنري، العربية الفصحى"نحو بناء لغوي جديد"، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.

- القرطبي،أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لإحكام القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣.

- الكسائي، علي بن حمزة، مَعاني القرآن، تحقيق.عيسى شحاتة،دار قُباء للطّباعة، ط١، ١٩٩٨.

- الكنغراوي، صدر الدّين، المُوفي في النّحوِ الكوفي، تحقيق محمّد بهجة البَيطار، المَجمَع العِلميّ العربيّ .

- ابن مالك، محمد، شرح الكافية الشافية، تحقيق علي معوض وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

- المُبَرِّد، محمد بن يزيد، المُقتضَب، تحقيق عبد الخالق عُضَيْمة ، عالَم الكُتُب.

- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف.

- المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٩٦٤.

- مدكـــور، إبـــراهيم، مجمــع اللغة العربية في ثلاثين عاماً، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٦٤.

• محاضر الجلسات في الدورة الحادية عشرة، القاهرة، ١٩٧١.

- ناصف، علي النجدي، سيبويه إمام النحاة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٩.

- الهـــروي، علي بن محمد، الأزهية في علم الحروف، تحقيق عبد المعين الملوحي، ١٩٨١ .

- ابن هشام، جمال الدين عبد الله، أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، تحقيق بركات هبّود، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤.

• مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق، مازن المبارك وزميله، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٦.

• ابـــن هشام، عبد الله بن يوسف، تخليص الشواهد، تحقيق عباس الصالحي، المكتبة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

- ابـــنِ يَعيشَ، موفق الدين، شرح المُفصَّل، المَطبعة المُنيريّة بالقاهرة .

- The "Scots simpson, black and white publishing, ٢٠٠٤ wee book of scots slang"

- R.L. Trask: Language. The basics. ٢nd edition. Routledge ١٩٩٥.

المنشورات:

- مجمـــوعة القـــرارات العلمية في خمسين عاماً(١٩٣٤-١٩٨٤)، أخرجها محمد شوقي أمين وإبراهيم الترزي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨٤.

المجلات:

- مجلة العربي العدد "٥٤٢" يناير ٢٠٠٤.

- مجلـــة التـــراث العربــــي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمـــشق، العدد٩٣-٩٤، السنة الرابعة والعشرون، آذار وحزيران، ٢٠٠٤، المحرم وربيع الثاني ١٤٢٤هـــ.

-Atlantic monthly, November ٢٠٠٠

ثالثاً: تعليقات ومناقشات

نصوص ضائعة من كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"

لأبي الحسن علي بن بسّام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ)

هلال بن ناجي*

قبل أكثر من ربع قرن من الزمن نشر العلاّمة د. إحسان عباس كتاب ابن بسام الموسوم "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" في ثمانية أجزاء. وكان الظفر بهذا الكتاب كاملاً في طبعة علمية -بعد إذ توقفت الطبعة المصرية عقوداً من السنين حتى ألغتها طبعة إحسان عباس – يعدّ نصراً كبيراً في ميدان نشر النصوص الأندلسية المخطوطة الغميسةِ وإحسان عباس غنيٌّ عن التعريف، فقد حقق أكثر من خمسين مصنفاً، وأكثر من ستة وعشرين كتاباً، هذا عدا المقالات العلمية المتناثرة في شتى الدوريات العلمية.

وقد انصبّ جانب كبير من تحقيقاته على النصوص الأندلسية حتى عُد من أكثر المحققين المشارقة اهتماماً بالنصوص الأندلسية المخطوطة. وكان أبرزها كتاب "نفح الطيب" للمقري وقد طبع في ثمانية أجزاء، و"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام، وصدرت في ثمانية أجزاء أيضاً.

ولقد بذل الدكتور إحسان عباس جهوداً ضخمة للظفر بأصولها وتنقيتها من الاختلاط، ثم إخراجها إخراجاً سليماً. وقد تنبّه أثناء عمله إلى وجود أسقاط في النصوص بضياع بعض التراجم أو أجزاء منها فأشار إلى ذلك.

---

*عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق ورئيس اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين الأسبق والحائز على جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تحقيق المعجمات.

وخلال وُقوفي على مخطوطة "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" للعمري أحمد بن يحيى بن فضل الله (قسم شعراء المغرب والأندلس) شدّت نظري نصوص أندلسية نُقلت من كتاب ذخيرة ابن بسّام لكنّها غير موجودة فيما نُشر منها. أي أنها من النصوص الضائعة المكمّلة والمتممة للذخيرة المنشورة.

ورأيـــت في جمعها ونشرها خدمة للكتاب بعد رحيل محققه عسى أن تظهر فـــي طبعة ثانية. وأنا أهديها إليه وهو في عالم الخلود في ذكرى رحيله –رحمه الله رحمة واسعة–.

النصوص الضائعة

(١)

نص ضائع يخص ترجمة الشاعر عن الجليل بن وهيون المرسي [قال ابن بسّام، وقد ذكر واقعة اذفونش مع المعتمد ويوسف بن تاشفين فقال: وكان اذفونش قد اضـــطره الخَـــوَرُ يومئذٍ للفرار فتسنّم الجبال الشاهقة والأوعار العالية إلى أن جُنَّ الظلام، فنحا نحو الحارث بن هشام، برأس طمرّةٍ ولجام، فدخل طليطلة مع شرذمة من اتباعه قليلة، ونفوس طائفته مخذولة. فقال ابن وهيون، وذكر له شعراً من قوله:

نَمَى في حميرٍ ونَمَتْكَ لخم ... وتلك وشائجٌ فيها التحامُ

فيوسفُ يوسفٌ إذْ أنت منه ... (....) يعمّكما التئامُ

نَهَجْتَ لسبيله نهجاً فوافي ... وفي آذيّه الطامي عُرامُ

فَهِيلَ به كثيبُ الكفرِ هيلاً ... وكلُّ رقيقةٍ منه ركامُ

وصاروا فوق ظهرِ الأرض أرضاً ... كأن وهادها منهم أكام

عديدٌ لا يشارفه حسابٌ ... ولا يحوي جماعته زمامُ

تآلفتِ الوحوشُ عليه شتّى ... فما نَقَص الشرابُ ولا الطعامُ

فإنْ يَنجُ اللّعين فلا كَحُرِّ ... ولكن مثلما ينجو اللئامُ]

(٢)

نص ضائع يخصّ ترجمة أبي الوليد البجلي[1] .

...[قال ابن بسام فيه: كان باقعة دهره، ونادرة عصره، ولم يَصدْ دراهمَ ملوك أُفقنا إلاّ بحرً النادرة، وكان يُضحك من حَضَرَ، ولا يكاد يتبسّم إذا نَدَّر، وهو القائل يصف طلوعَ الشمس ومقابلة القمر لها:

أما ترى الشمس وهي تمنعُ ... عنها إدامة النَّظَرِ

حمراء صفراء في تَلَوُّنها ... كأنّها تشتكي من السَّهَرِ

مثلَ عروسٍ غداة ليلتها ... تُمْسِكُ مرآتها من القَمَرِ

---

(1) الصواب: النحلي.

قـــال ابـــن بسّام : ومن نوادر الآفاق، الحلوة المساق، الغريبة الاتفاق، خَبَرُ البجلـــي هـــذا مع المعتمد بن عباد، وذلك أنه مشت يوماً بين يديه بعضُ نسائه، في غلالـــة لا تكـــاد تفرق بينها وبين جسمها، وذوائب تخفي إياة الشمس في مُدْلَهِمّها، فسكب عليها إناء ماء ورد كان بين يديه، فامتزج الكلُ ليناً واسترسالاً، وتشابه طيباً وجمالاً، وأدركت المعتمد أريحية الطَّرَب، ومالت بعطفيه راحُ الأدب فقال:

وهويتُ سالبةَ النفوس غريرةً تختال بينَ أسنَّةٍ وبواترِ

ثـــم تعذر عليه المقال، وشغلته تلك الحال، فقال لبعض الخَدَم القائمين على رأسه : سِرْ إلى البجلي، وخَذْه بإجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ منه، فأضاف البجلي الأول إليه، وألحق هذه الأبيات عليه وهي:

راقـــتْ محاسُـــنها ورقَّ أديمُهـــا	فـــتكاد تُبـــصرُ باطـــناً مـــن ظاهـــرِ
وتمايلـــت كالغـــصن أورقَ فـــي النقا	والـــتفَّ فـــي ورقِ الـــشباب الناضرِ
يـــندى بمـــاءِ الـــورد مُـــسْبَلُ شعرها	كالطـــلِّ يَـــسقُطُ مـــن جـــناحِ الطائرِ
تزهـــى بـــرونقها وحُـــسْنِ جمالهـــا	زهـــدَ "المـــؤيد" بالثـــناءِ العاطـــرِ
ملـــكٌ تـــضاءلت الملـــوك لقـــدره	وَعَـــنا لـــه صـــرفُ الـــزمان الجائر
وإذا لمحـــــتَ جبيـــــنَه ويميـــــنَهُ	أبْـــصَرْتَ بـــدراً فـــوق بحـــرٍ زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له: أحسنت، أو معنا كنتَ؟

فأجابه البجلي بكلام معناه: يا قاتل المحل، أو ما تَلَـــوتَ (وأوحـــى ربُّـــك إلى النحل) وله:

واجـــدلٍ أقلقـــهُ طـــولُ القـــرَمْ
قحمـــتُهُ بـــين الكراكي فاقتحم
وعـــاد للكـــفِّ ومـــا شـــكا ألَمْ
يمـــسحُ مـــنقاراً عـــلاهُ منه دَمْ
ككاتـــبٍ يمـــسحُ حِبْراً من قَلَمْ]

تعلـــيق: وجدتُ الخبر كاملاً في نفخ الطيب ٣/٢٣٣- ٢٣٤، وفيه تصحيف في اسم قائل الأشعار فهو في النفح أبو الوليد النحلي، وأرجح ما ذهب إليه صاحب النفح، والنحلي من أهل بطليموس. وأورد الحكاية أيضاً ابن ظافر الأزدي في البدائع ص ١١٣- ١١٤. ونسب الشعر للنحلي أيضاً.

(٣)

تـــرجمة الـــشاعر أبـــي الحسن بن هارون الشنتمرّي ساقطة من الذخيرة المطبوعة، وفيها نص نقله العمري عن ابن بسام هو:

[وقـــال ابـــن بسّام فيه : وأبو الحسن هذا سهل الكلام، بارع النظام، ممّن اغترف من بحر الكلام بكلتا يديه، وجذب بثوب البيان من كلا طَرَفَيْه، فأمّا سَلَفُهُ من قبل فقد انخذع لهم الزمان بُرَيهةً، وهَيَّتَم بأسمائهم السلطان هنيهةً، إلى أن نبَّه الدهرُ الغافلُ على أمرهم، وأسكتَ عن ذكرهم. وممّا أنشد له قولُه في أسدٍ من ذهَبٍ يَصُبُّ ماءً:

وحديقـــةٍ شَـــرِقت بِغَمْـــرِ نميـــرِها | يحكـــي صـــفاءَ الجـــوِّ صَفْوَ غديرِها
تُجــري المــياهَ بهـــا أســـودٌ أُحكمَتْ | مـــن خـــالص العقـــيان في تصويرِها
وكأنَّهـــا أُسْــدُ الــشَّرى فـــي شــكلِها | وكـــأنَّ صـــوتَ الماءِ صوتُ زئيرِها

وقوله:

انظـــرُ إلـــى ثابـــتٍ علـــى طِـــرْفِهْ | قـــد سَـــلَّ ســـيفَ المـــنون من طَرْفِهْ
وهـــزَّ مـــن قَـــدِّه لـــواء ردىً | يُـــردي الـــصحيح الـــسليم مـــن حَتْفِهْ
يطـــوفُ بـــالحجِّ مـــنه بـــدرُ دجـــىً | علـــى جـــوادٍ كالبـــرق فـــي خَطْفِـــهْ
يكـــادُ مـــن لِيـــنه ونِعْمَـــتِهِ | يعقـــدُ عقـــدَ العِـــنان فـــي نـــصفِهْ]

(٤)

القطعة التالية من نثر أبي عبيد البكري ساقطة من الذخيرة المطبوعة. وقد تصدّر ترجمته قول ابن بسّام فيه "[وأورد من نثره قوله : وأنّى لي في هذا بإصابة عـــرضِ أرْمـــيه، أو إِضاءةِ سقطِ أُريه، مع زمانةِ الزمان، وبلادة البلدة من قريحة قـــريحه، وطـــبعٍ طُـــبع، وخَيْمٍ وخيم، ونحوٍ قد نُبذ، ولُغةٍ جُعلت لغواً، وطالبُ العلم مُطالب، والمتحلّي بن مُخَلّى، وقضايا العقل معكوسة، وحظوظ الفعل منحوسة].

(٥)

تـــرجمة أحمد بن محمد بن حجاج سقطت من كتاب الذخيرة المطبوع، وقد نبَّه محققها إلى ذلك في ص ٢٣٥، ٢٣٨ ق ٢ م ١ منها.

قـــال د. إحــسان عباس في هامش ص ٢٣٨ ما نصه (هنا تقع ترجمة أبي عمر أحمد بن محمد بن حجاج ... وأرجو أن أوفق إلى العثور على الترجمة كاملة وإلحاقها بهذا القسم من الذخيرة). ولم يتح له العثور عليها.

[قـــال ابـــن بـــسّام : من أسرةٍ طلعوا مع الكواكب كواكب، وملأوا عيون العجائـــب عجائب، أهلُ بيتٍ عُمْدَةَ القنا والقنابل، وأطنابُهُ اللُّهى والفواضل، فصالَتْ دونَهُ القبائل، وتقاصر عنه الدهر المتطاول، ونَجَم هذا الرجل فكان بحبوحة شرفهم، وسابق سلَفِهم وخلَفهم، وقد خَرَّجتُ له ما يشهد أنه سريُّ أسرِبَة، وقريع أهل تجربَةْ. ومما أنشد له قوله:

المـــوتُ مـــوردنا إلـــيه توضـــعُ ونفوسُـــنا طيـــر إلـــيه وُقَّـــعُ
دُنـــيا كعهـــد المومـــسات بقاؤهـــا والـــوغد يـــضمنه اللئـــيم الأكـــوعُ
تجـــري الـــنفوسُ بهـــا إلـــى آجالها فـــي مُـــدَّة هـــي للمنـــية مهْـــيَع
أيـــن القـــرون الـــسابقات إلى النهى هـــل مُقْلَـــةٌ تـــرنو وأذنٌ تـــسمعُ

ومما أورد له من نثره:

أنا بين أمواج عَرْفك الغدِق، كالمغمور الغرِق، كلّما رُمْتُ الوصول إلى فُلك الشكر لم أصل إليه، أو طلبتُهُ لم أقع عليه، فصرتُ كما قال القائل:

أقـــبلتُ أرجـــو فـــضولَ نائلـــهِ فَـــصِرْتُ أشـــكو مـــن ســـيبِه الغرَقا

وإننـــي لمّا ترادفَتْ عليَّ تلك الأمواج، وغمرني ذلك البحر العجاج أظفرني

الله بسفينة الدُّعاءِ، فوصلتُ إليها ونجوتُ عليها.

(٦)

فـــي ترجمة أبي أيوب سليمان بن أبي أمية سقط النص التالي المنقول عن الذخيـــرة. وهـــو هـــو [قال ابن بسّام وقد ذكره : فصل في ذكر الفقيه أبي أيوب، وإثـــبات جملة من نظمه ونثره اللذين عَطّلا الدُّرَّ في النحور لا في البحور، وأخجلا الزهْـــرَ في الكمام، والمدام في أيدي الندام، وهو في وقتنا هذا بحر الأدب وساحِلُه، وسَـــنامُ العَـــرَب وكاهلُه، وسنانُ المجد وعاملُه، ورافعُ لواءِ الحمد وحاملُه. ودارت دولـــة المعـــتمد على أبيه مدارَ مذهب المدينة على مالك، وكانت ترجع إليه رجوعَ الحـــساب إلـــى فدلك (كذا)!. ونشأ ابنه الوزير أبو أيوب والخطابة تجنُّ به جنونُها، والكتابة تمدُّ إليه شمالُها ويمينُها، فنظر إليها بمؤخرعين لا يروى، إلاّ بشحظ كتاب، أو خطّة محراب، وأرعاها جانبَ سَمْعٍ لا يأنس إلاّ بدعوة مستقيل أو نعمة مستنيل، حتى انجابت لم يحلّ لها حُباه، ولا صَرَفَ فيها رأيَهُ ولا هواه، وقد أثبتّ مما وجدت له ما يملأ الأسماع، ويرُهف الطباع، وتجاوز حدّ الإجادة والإبداع. ثم ذكر شيئاً من شعره وقال: وهذه نبذة تظهر للقريب الغريب، اختلستُها خُلسة الذيب، واحتملتُ فيها مـــنه مـــضض اللوم والتثريب، لانتقائه جملةً عن الإقرار بالأشعار، واعتلائه عن الخطو في ذلك المضمار، اللهمّ إلاّ ما يجيءُ به عفواً واسترسالا، ويدبّ على لسانه نمالا (كذا) أو سحراً حلالا. وأنشد له قوله:

هفـــوت وأيّـــنا يعـــصي هـــواهُ اذا نَـــصتَتْ ســـوالِفَها الـــضِباءُ
فَــدَعْ لومـــي فـــبعضُ الغـــيِّ رُشْـــدٌ حياتـــــي أن يفارقنـــــي الحـــياءُ

وقوله:

أمِــسكَ داريـــنَ حـــيّاك النـــسيمُ بـــه أم عنبـــرُ الـــشحر أم هـــذي البـــساتينُ
بـــشاطئ النهـــر حـــيثُ الـــنور مؤتلفٌ والـــراح تعـــبقُ أم تلـــك الـــرياحين

وقـــال ابن بسّام بأعقاب ما أنشد له من النظام : انتهى ما اختطفتُه من هذه الـــبدائع الروائع. وإذ قدْ أعوز إفساحها، واستمرّ مع الأيام والتياحها، فلنعقبها بما قد أشـــبهها كثـــرة طائـــل، وشرف قائل، ممّا قد استفدته فأجدته من كلام الوزير أبي الحسين القرشي العامري، الذي هو عقله المستوفز، وفرصة المنتهز، وتحفة الغلام المبرّز، وذلك قطعة شعر بل نفثة سحر، تتعلق ببعض ما أنشدت، وبه أشرتُ، قال يصف ما يوضحه فيستملحُه:

لله بالـــــربوة العلـــــياء ليلتُــــنا | والـــراح يأخـــذ مـــنّا والـــرياحينُ
أيـــام جـــادت لـــنا الدنـــيا بما ذخرتْ | مـــن النعـــيم ولـــم يـــبخل بـــنا الدينُ
والعـــين مـــن أُمّـــة الرحمن قد مُلِئَتْ | حُـــسناً وأَبْهَجَهـــا قُـــربٌ وتمكـــينُ
غـــرّاء يزهـــى بها خولان إن فخرت | وإن تهـــادت فَـــنعمانٌ ويبـــرين
لا مـــثل مـــنطقها المعـــسول منـــشدهُ | وإن يُحَـــيّا تناســـتنا أفانـــينُ
(أَمِـــسْكَ داريـــن حـــيّاك النـــسيمُ به | أم عنبـــرُ الـــشحر أم هذي البساتينُ)
يـــا روضـــةً بأنـــيق الحـــسن حاليةً | وحـــسبُ روض الربى وردٌ ونسرين
هـــل تذكـــرين – فَدَتْكِ النفسُ من عِدَةٍ | جَـــرَت بهـــا للهـــوى الكيرُ الميامينُ
وحـــاش للمجـــد أن لا يقتـــضى وطرٌ | يغنـــي بـــه مـــنكِ ذاك اللطفُ واللينُ

ثـــم قال: أردتُ حُسْنَ التضمين لقول الوزير أبي أيوب، فانظر ما أبدع هذا الامتزاج والالتفات، وأبرع هذه الازدواج والائتلاف كما التقى الثريات، واتّسق سحر البيان، بل كماءِ الغمام، وصفو المدام. ولا غرو إن تعارفت تلك الأرواح وتشاكلت الطباع، فاطرد هذا الإغراب والإبداع].

(٧)

وســـقطت من الذخيرة المطبوعة ترجمة أبي الحسين القرشي العامري وها هي ذي:

وهو سالم بن محمد بن سالم بن محمد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي بن محمـــد بن أحمد بن مسلم بن طلحة بن مسلم بن عبد العزيز بن زمعة بن قيس بن عبد شـــمس بن عبد ودّ بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن

مالـك بن النضر. هكذا ساق نَسَبَهُ ابن بسّام. قال ابن بسّام : والنضر هو نبعة قريش الذي يضمهم دوحُها، ويعلّمهم روحها.

ثـم قـال ابـن بـسّام: ولله أبـو الحسن فإنّه جِلدةٌ بين الأنف والعين، فـإن يكـن قـد نمـاهُ الأبطح، وجلاّه الحَسَبُ الأوضح، فلقد باء بمزيّة الصهر الكـريم، وشـرف الحـديث والقـديم لأنّ عـبد زمعـة المعـدود مـن نفره، الموجـود فـيه كـريم جوهـره، هـو أخـو سودة – أم المؤمنين– زوج النبي صـلّى الله علـيه وسـلّم– وجـدّ جدّه إسماعيل هو الطالع على شرق الأندلس فـي سـلطان الحكـم المستنـصر بالله، رحل من مصر مع السنتين والثلاثمائة مـن دخـول بنـي عُبَـيد إلـيها، واستيلائهم عليها، هاجراً للوطن، فاراً بدينه، وسـرّ يقيـنه المـستبطن، وآثـر بـوفادته، وسـائر قادته، بني أمية على بني العـباس، لانـتظام بنـي عامـر فـي الحـروب العلوية معهم، ونزوعهم فيما شَـجَر بـين الـسلف منـزعهم، فحـلّ يومئذٍ لدى الحَكَم على السَعة والرحب، والـصاغية الكـريمة والقُـرب. وجعـل يُحَدِّث عن ابن سفيان وعن فُلٍ وفُلان مـن علمـاء مـصر فـي ذلك الزمان. فلمّا ثارت الدولة العامرية حين تقلّصت ظـلال قـريش، وتنكّـر لهـم مـا عهدوا بقرطبة من خفض العيش، أوى إلى أشـبيلية فأوطـنها داراً، واتخـذها قـرارا، وبهـا لَقِـيَهُ ابـن عبد البر علاّمة الأندلس، ومُحيي آثارها الدُرُس، فَدَرَس عليه، واقتبس ممّا لديه.

ثـم نقـل ابـن بـسّام مـا قيل في خبر هذا الرجل ثم قال: ولم يزلْ عقبةُ علـى تخـرّم المـنون، وتنكّـر الدهـر الخؤون، ذوي العرض المصون، إلى أن

نجَم فـيهم هـذا النيّـر الثاقب، ونشأ هذا الصيِّب الناكب، فرجح بالجميع، وذهب بمـا هـنالك مـن عتـيد وبديع، مع أدبٍ كروض الحَزْن، ولؤلؤ الخَزْن، وبلاغة أربَـتْ علـى كـلِّ ظـنّ، وبـراعةٍ أخذت من العلوم في غير ما فنّ، إلى شيمةٍ كالزلال، وهمّةٍ على قمة الهلال.

ومما أنشد ابن بسّام لهذا الرجل قوله:

لانَـتْ لـكَ الأيّـامُ بعـد شـماسِ	وحللـتَ مـنها فـي ظـلام كـناسِ
وضَـفَتْ علـيك بـرودُ عـزٍّ أقعسٍ	يبقـى ولا يبلـى بطـول لـباسِ
وجَـرَتْ سـعودُك غير وانية المدى	جَـرْيَ الخلافـة فـي بنـي العـبّاسِ
أنـتَ الـذي بـك للمكـارم هِـزّةٌ	ليـست لفـرع الـبانة المـيّاس
مـا مالـكُ ابـن الـذئب أو ما حاتم	كُـلاً سـبقتَ إلـى الـندى والـباسِ
لهفـي علـى تلـك النُهـى مُنـثالةً	بغـرائب الآداب والإيـناس
أغـدو إذا عاطيـتُها وكأنّمـا	لَعِـبَتْ بأعطافـي حُمَـيّا الكـاسِ
إنْ فـرّقَ الدهـرُ المُـذَمَّمُ بينـنا	فالدهـر للأحـرار غيـرُ مواسـي
واهـاً علـى عَهْـدٍ بمنعـرج اللِّوي	لَـدْنٍ كمـا اهتـزّ القـضيبُ الكاسي
وإلـيكَ مـن سـرِّ الـضلوع تحـيةً	تـندى علـى مُتَـضَرِّمِ الأنفـاس

وقوله:

سـقى الروضَ مُختالاً به العَلَمُ الفَرْدُ ... مُلِـئْ لجـيد الزهـر مـن نظمه عقدُ
وحَـيّا الأراكُ الـدوحَ تهفو به الصَّبا ... كمـا رُنِّـح النـشوانُ سـاورَهُ الوَجْدُ
ولا بَـــرِحَتْنا نفحـــةٌ يمنـــيَّةٌ ... تجافـى لهـا عـن سرِّها البانُ والرندُ
وبالخـيمة القـصوى عقـيلةُ رَبْرَبٍ ... لبَـرْدِ ثـناياها علـى كـبدي بَـرْدُ
لتـصغي إلـى الجرْسِ الخفيِّ لعلّني ... خلـصتُ ودونـي للعـدى حَدَقٌ رُمْدُ
وليلتـنا بالجـزع والطـلُّ سـاقطٌ ... ودونـيَ فيـنانٌ مـن الآيـات ممـتدُّ
يحـوم ولا إلمـام إلا بسلـسلٍ ... على الرشف ما الصهباءُ منه ولا الشَّهْدُ
ومـن دون نجـوانا استماعةُ صاحبٍ ... تواصَـتْ لـدى كـتم السرار به الهندُ
تُقاوِضُـهُ النكـباءُ سـرَّ حديـثها ... فـتطويهِ إلاّ مـا جنـى المـسكُ والندُّ
خليلـيَّ هـل ليلـى ونجـدٌ كعهدنا ... فـيا حـبّذا ليلـى ويـا حـبَّذا نَجْـدُ

وهذه هي النصوص الأندلسية التي سقطت من ذخيرة ابن بسّام، وظفرنا بها في مخطوطة باريس من كتاب مسالك الأبصار للعمري.

وبعد : فقد كانت الشام الكبرى بأقسامها الأربعة: فلسطين والأردن وسورية ولبـنان منـبعاً ثرّاً للكفاءات في مختلف العصور، فحين جنحت شمس العلاّمة د. إحـسان عباس إلى المغيب، لأسباب صحية، كانت شمس العلامة د. محمد رضوان الدايـة – وهو شامي من سورية- قد استقرت في كبد سماء الدراسات والتحقيقات الأندلسية في المشرق العربي. وكان من آثاره في هذا الميدان ما يمكن تصنيفه في جذمين رئيسيين : الأول نصوص أندلسية محققة، والثاني : دراسات أدبية صنّفها.

فأما الجذم الأول فقد ضمّ النصوص المحققة الآتية:

١- المعيار في أوزان الأشعار لمحمد بن عبد الملك الشنتريني - بيروت ١٩٦٨.

٢- إحكام صنعة الكلام لابن عبد الغفور الكلايمي - بيروت ١٩٦٦.

٣- نثير فرائد الجمان لابن الأحمر - بيروت ١٩٦٧.

٤- شرح الحماسة المغربية- جزءان.

٥- شرح مشكل شعر المتنبي - ابن سيده الأندلسي - دمشق ١٩٧٥.

٦- آيات المبرزين وغايات المميزين: ابن سعيد - دمشق ١٩٨٧.

٧- ديوان ابن عبد ربه - بيروت ١٩٧٩.

٨- رسائل ابن أبي الخصال - دمشق ١٩٨٨.

٩- سعيد بن جودي السعدي الألبيري الأندلسي - سيرته ومجموع شعره- ١٩٧٧.

١٠- نثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزمان :ابن الأحمر - ١٩٧٦.

١١- ديوان ابن خاتمة الأنصاري- دمشق ١٩٧٢.

١٢- ديوان ابن إسحاق الألبيري الأندلسي - بيروت ١٩٧٦.

١٣- الحدائق والجنان - ديوان بني فرح شعراء جيان- أبو ظبي ٢٠٠٣.

وأمّا الجذم الثاني فيضم الدراسات الآتية:

١- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس - بيروت ١٩٦٨.

٢- في الأدب الأندلسي – دمشق ٢٠٠٠.

٣- أندلسيات شامية – دمشق ٢٠٠٠.

٤- الأدب العربي في الأندلس والمغرب.

٥- أبو البقاء الرندي- شاعر رثاء الأندلس- بيروت ١٩٧٦.

٦- ابن خفاجة- دراسة – دمشق ١٩٧٢. وغيرها.

وبعـــد فهـــذه بعض جهود محمد رضوان الداية في حقل الأندلسيات تحقيقاً وتأليفاً. حتى جاز لي أن أقول:

"رَحَلَ إحسان وآلت الراية إلى رضوان"

رحم الله الأول وأمدّ في عمر الثاني

والحمد لله أولاً وآخراً.

رابعاً: أخبار مجمعية

الندوات والمؤتمرات والمحاضرات

- اجتماع اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية وندوة "صوغ المصطلح العلمي وتوحيده" في المدة من ٢٢-٢٣/١٠/٢٠٠٧م في رحاب مجمع اللغة العربية في طرابلس/ ليبيا.

توصيات الندوة العلمية لمجمع اللغة العربية (طرابلس) "صوغ المصطلح العلمي وتوحيده"

عقد اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية اجتماعه السنوي في المدة من ٢١ – ٢٣ تشرين الثاني (أكتوبر) ٢٠٠٧م، في رحاب مجمع اللغة العربية في طرابلس/ ليبيا. وعلى هامش اجتماعات الاتحاد عقدت في طرابلس ندوة بعنوان " صوغ المصطلح العلمي وتوحيده ".

ومثل مجمع اللغة العربية الأردني في هذه الندوة الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع ، كما قدم عضو المجمع الدكتور عبد المجيد نصير بحثاً إلى الندوة ولكنه لم يحضر لأسباب خاصة.

وقد أصدرت الندوة توصيات ذكرت فيها أن اللغة العربية سمة من سمات الشخصية الحضارية لأمتنا العربية، فهي لساننا المبين ولغة القرآن الكريم، ورمز من رموز وجود الأمة ، وإحساساً من أبنائها الغيورين بما يعانيه متكلمو هذه اللغة من تأخر، وما تواجهه من حملات محاربة وتشويه. إن عالمنا المعاصر يشهد تطوراً علمياً سريعاً وسيلاً عارماً من المصطلحات العلمية الأجنبية في ميادين العلم المختلفة، إذ لم يبق علم من العلوم إلا اتسع مجال النظر

فيه، بما تأتى لـــه من البحوث في أدق مسائله، والدراسات التي أرسيت لها النظريات والاكتشافات المتواصلة والاختراعات التي عملت على تطوير مجالات الحياة كلها.

لقد كان من الطبيعي مع هذه التطورات أن تشهد اللغة تسارعاً كبيراً في مجال المصطلحات العلمية حتى أصبحت الإحاطة بمصطلحات العلم الواحد على قدر كبير من الصعوبة.

واستشعاراً للمسؤولية الملقاة على عاتق أبناء العربية، هب المخلصون من أبنائها إلى حل هذه المشكلة ، فبادروا إلى تعريب المصطلحات وترجمتها بل إلى وضع المصطلحات، إلا أن هذه الجهود تحتاج إلى مزيد من التنسيق والتوحيد تمهيداً لتوحيد المصطلح العلمي، فكان للمجامع العربية جهود مشكورة في هذا السبيل، من هذا المنطلق بادر مجمع اللغة العربية الليبي إلى عقد ندوة علمية بعنوان: "صوغ المصطلح العلمي وتوحيده" في الفترة من ٢٢- ٢٣/١٠/ ٢٠٠٧م بمجمع اللغة العربية بطرابلس، بالتعاون مع أمانة اللجنة الشعبية العامة للتعليم العالي. وبعد عرض علمي لما يقرب من العشرين ورقة قدمها نخبة من الأساتذة من مختلف الدول العربية، وشارك في إثرائها جمع ممن لديهم اهتمام بلغتنا بنقاش هادف من خلال المحاور الأساسية الآتية:

١. إشكالات المصطلح العلمي، المظاهر والأسباب والعلاج.
٢. تجارب المؤسسات العلمية اللغوية في تعريب المصطلح وتوحيده.
٣. المصطلح العلمي بين التعريب والترجمة.
٤. ضوابط تعريب المصطلح عبر العصور.
٥. معجمـــات المعانـــي فـــي العـــربية، وأهمية الرجوع إليها في تعريب المصطلح العلمي.

توصل المشاركون إلى الآتي:

أولاً: صوغ المصطلح:

عند صياغة المصطلح العلمي يجب أن يراعى ما يأتي:

- تحديد معالم المفهوم تحديداً دقيقاً قبل وضع المصطلح المناسب له.
- اختـيار أقرب كلمة، وأنسب صيغة صرفية لاحتواء هذا المضمون، والتعبير عنه.
- الاستفادة من السوابق واللواحق والدواخل عند صوغ المصطلح، مع مـراعاة الـدلالات التـي تؤديها هذه الأدوات، واختيار أقربها إلى المعنى المراد التعبير عنه.
- اختصار المصطلح في أقل عدد ممكن من الكلمات.
- خلو المصطلح من أدوات العطف والاستدراك.
- الحـرص علـى ضبط المصطلحات عامة، والمعرب منها خاصة بالشكل حرصا على صحة نطقه ودقة أدائه.
- تجـنب الارتجال الفردي في صوغ المصطلح والعودة إلى المجامع العربية فيه.
- الاسترشـاد بالمـصادر التراثية للاهتداء بعلمائنا القدامى في صوغ المصطلحات العلمية.
- مـراعاة القـواعد الصوتية والصرفية التي تسير عليها العربية في صوغ ألفاظها.
- يـتم الالتـزام بالوسائل التي أقرتها مجامع اللغة العربية في صوغ المصطلح العلمي وهي:

الاشـتقاق، المجـاز أو القـياس ، النحت والتركيب ، الاقتراض ، التعريب والترجمة.

- الابتعاد عن النزعة الفردية والتعصب القطري عند صوغ المصطلح ومراعاة مصلحة الأمة عامة.

ثانياً : توحيد المصطلح:

- اتفاق مجامعنا على مصطلح واحد مقابل الوافد، وأن يكون لها حق فرض استعماله على الجميع.
- تنسيق الجهود بين المجامع اللغوية العربية والوسائل المختلفة للإعلام والثقافة.
- إضافة المعلومات المصطلحية طبقاً لخطة عربية متوافقة عالمياً.
- وضع خطة للعمل العربي المصطلحي مع توزيع الأعباء.
- الالتزام بحصر المصطلح المطروح بدلالة واحدة، تقابل دلالة اللفظة الأجنبية بحيث لا ندع مجالاً للالتباس بين مفهومين متقاربين.
- مراعاة ما اتفق عليه المختصون من مصطلحات ودلالات علمية خاصة بهم معربة كانت أو مترجمة شريطة أن تقرها المجامع اللغوية.

ثالثاً: توصيات عامة:

- تسجيل المصطلحات المتاحة التي أقرتها المجامع والمؤسسات العلمية.
- الدعوة إلى توحيد المفاهيم وثقافة المتخصصين، قبل صياغة المصطلح حتى لا تختلف صيغه.
- تنظيم التعاون الدولي مع مصارف المصطلحات العالمية.

- الحث على التواصل بين الهيئات والمؤسسات العلمية في الوطن العربي لتوحيد المصطلح العلمي.
- الحث على عقد المزيد من الندوات لصوغ المصطلحات العلمية وتعريبها وتوحيدها.
- تأكيد الرأي القائل برد الأعجمي إلى رسّه العربي.
- التقيد الدقيق بما يصدر عن الندوات والمؤتمرات العلمية الخاصة بالمصطلح – صياغة وتوحيداً.
- تقويم مسيرة المجامع العربية في صوغ المصطلح العلمي وتوحيده.
- الإسراع في تعريب ما يرد إلينا من المصطلحات الأجنبية قبل أن يشيع استعمالها.
- عرض المصطلحات على المؤسسات المشاركة وخبرائها.
- استخدام المصطلح في التدريس والتأليف والترجمة، وفي التعليم العام والتعليم الجامعي وفي المجالات الثقافية والإعلامية.
- تكوين جيل من الاصطلاحيين للعمل في المجامع والمؤسسات المعنية.
- دعوة المجامع اللغوية العربية التي لم تستحدث بعد موقعاً لها في شبكة المعلومات الدولية أن تسارع إلى ذلك لتيسير التواصل بينها وبين غيرها من المجامع والمؤسسات العلمية العربية لنشر المصطلحات المقررة.
- اقتراح إنشاء مرصد للمصطلحات العربية الأجنبية لتبادل المعلومات المصطلحية وتيسير عمل الخبراء والباحثين.

- الدعــوة إلـــى فـــتح مـــساقات مـــتعلقة بتدريس علم المصطلح في الجامعات العربية.
- لقـــاءات علمـــية وثقافـــية تحـــت عنوان "دور المجامع اللغوية في حمايـــة اللغـــة العـــربية وتطويـــرها لمواكـــبة الـــسير الحضاري والـــتقدم التقنـــي" أقامـــتها الجامعـــة الأسمرية للعلوم الإسلامية في ليبيا في المدة من ٢٠-٢١/١١/٢٠٠٧م.

وقـــد مـــثل المجمـــع فـــي هذه اللقاءات الدكتور عبدالحميد الفـــلاح الأمـــين العـــام للمجمـــع وألقـــى بحـــثاً حول مجمع اللغة العـــربية الأردنـــي ؛ أهدافـــه ودوره فـــي حمايـــة اللغـــة العربية وتطلعاته المستقبلية.

رسائل الدكتوراه والماجستير

حرصاً من المجمع على التعاون والتنسيق مع المؤسسات العلمية والأكاديمية، وعلى رأسها الجامعة الأردنية، فقد تمت في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع مناقشة الرسائل الآتية:

اللغة العربية وآدابها

- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالبة فوزية جميل عبدالكريم دنود وعنوانها "شروح جمل الزجاجي في النحو للبطليوسي وابن عصفور وابن أبي الربيع - دراسة موازية"، بإشراف الدكتور محمد حسن عواد، وذلك يوم ١٥/٧/٢٠٠٧م.

- رسالة ماجستير مقدمة من الطالب محمد عبدالله الخباص، عنوانها "النفي بين النظرية والتطبيق"، بإشراف الأستاذ الدكتور إسماعيل عمايرة وذلك يوم ١٦/٧/٢٠٠٧م.

- رسالة مقدمة من الطالب بشير أحمد علي، عنوانها "الأسطورة والمكان في أدب إبراهيم الكوني"، بإشراف الدكتور إبراهيم خليل، وذلك يوم ٣١/٧/٢٠٠٧م.

- رسالة مقدمة من الطالبة جنات علي محمد أحمد، عنوانها "التركيب الإضافي في العربية نحو توصيف في ضوء اللسانيات الحاسوبية" وذلك يوم ١/٨/٢٠٠٧م.

- رسالة مقدمة من الطالب ناجح جميل عبدالله صوافطة عنوانها "أثر الدلالة النحوية في استنباط الأحكام الفقهية في كتاب "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع"، بإشراف الأستاذ الدكتور محمد حسن عواد، وذلك يوم ٢٠٠٨/٨/٢م.

- رسالة مقدمة من الطالب محمد كميخ العجمي عنوانها "شعر جرير ابن عطية: دراسة أسلوبية"، بإشراف الدكتور محمد القضاة وذلك يوم ٢٠٠٧/٧/٣٠.

- رسالة مقدمة من الطالب بشير أحمد علي جلالة وذلك يوم ٢٠٠٧/٧/٣١م.

- رسالة مقدمة من الطالبة عدالة مصطفى موسى السالم بعنوان "سورة الصافات: دراسة أسلوبية"، بإشراف الدكتور محمد القضاة، وذلك يوم ٢٠٠٧/٨/٥م.

- رسالة مقدمة من الطالب سالم خليل الأقطش عنوانها "جهود أحمد مختار عمر اللغوية: دراسة تحليلية"، بإشراف الدكتور محمود الحديد، وذلك يوم ٢٠٠٧/١١/٢٧م.

كلية الشريعة

- رسالة دكتوراه مقدمة من الطالبة هيام محمد عبد القادر بتاريخ ٢٠٠٧/٧/٨.

- رســالة دكــتوراه مقدمــة مــن الطالب محمد أمين الكيلاني تاريخ ٢٢/٧/ ٢٠٠٧.

- رســالة دكــتوراه مقدمــة من الطالب محمد مهند الغرايبة وذلك يوم ٢٩/ ١١/٢٠٠٧م.

- رســالة دكــتوراه مقدمــة مــن الطالب أحمد إبراهيم الحسنات وذلك يوم ٢٦/١١/٢٠٠٧م.

إلى الأخوة الكتاب:

يرجى مراعاة ما يلي:

١- أن تقتصر البحوث على اللغة العربية، والتراث العربي الإسلامي: العلمي والأدبي والفني، وشؤون التعريب، ومراجعة الكتب المحققة وما إليها، والمناقشات والتعليقات المتعلقة بهذا وأمثاله.

٢- أن يتأكد الكاتب من سلامة اللغة ، وحسن الترقيم، والتوثيق قبل إرسال بحثه للنشر.

٣- أن تتسم البحوث النقدية بأسلوب النقد العلمي الهادئ، الخالي من الانفعالات الحادّة التي قد تسيء إلى المؤلف أو الباحث.

٤- أن تكون البحوث المرسلة للنشر في نسختها الأصلية، وخاصة بالمجلّة.

٥- الأبحاث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير أو المجمع.

رئيس التحرير

Journal
Of The Jordan Academy Of Arabic

No. 73 | Vol XXXI

Jumada II - Thu Al-Hija 1428H | July - December 2007